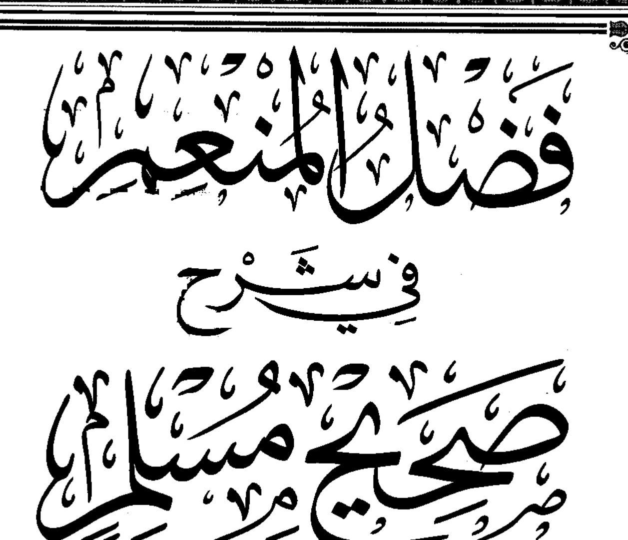






تأليف

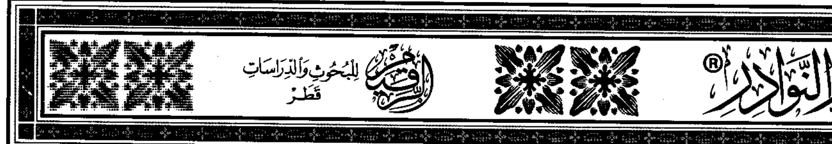
القاضي شمس الدين الهروي

أبي عبد الله محمد بن عطاء الله بن محمد الهروي الحنفي ثم الشافعي

المولود بهراة سنة ٧٦٧ هـ والمتوفى بالقدس سنة ٨٢٩ هـ
رحمه الله تعالى

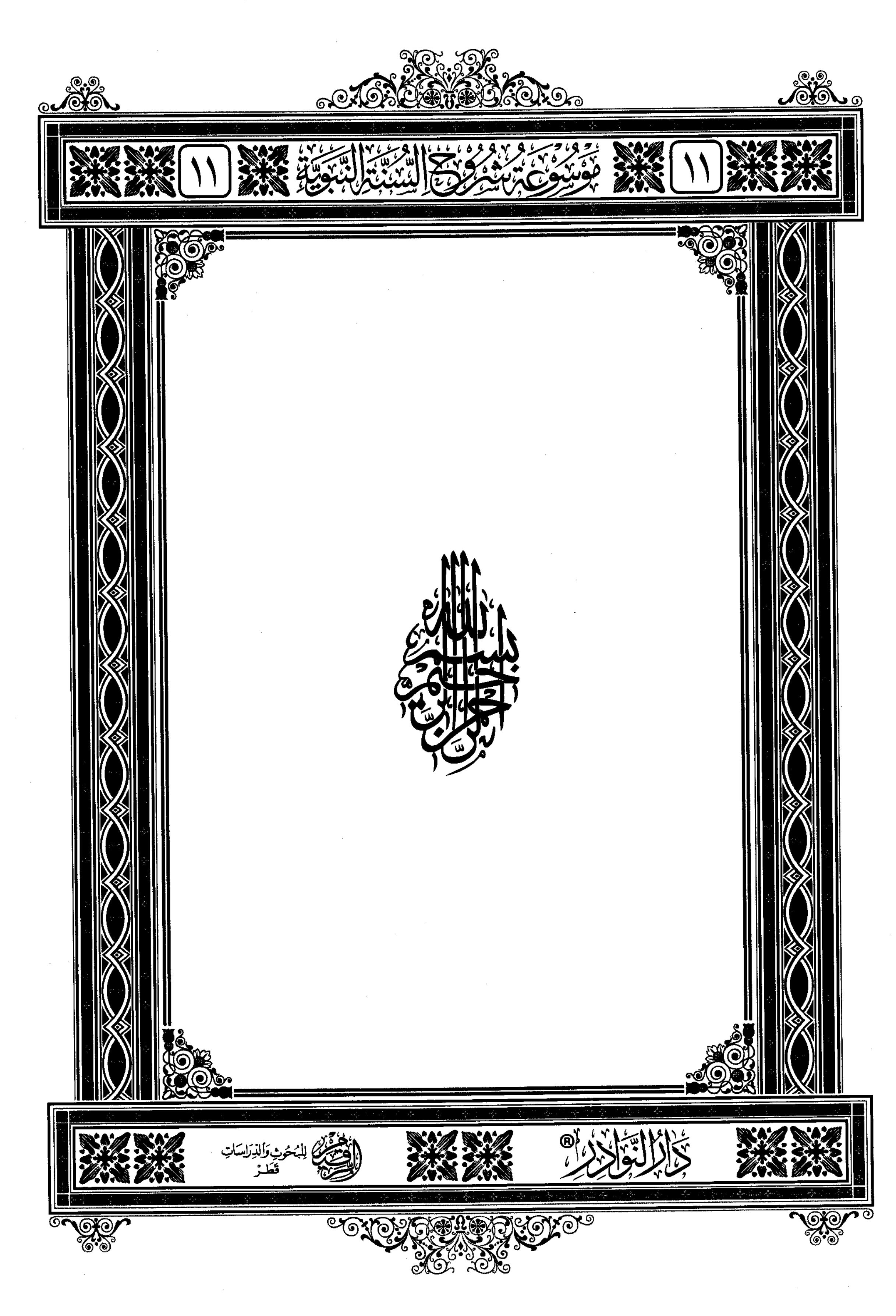
تحقيق ودراسة
مختصة من المحققين
بإشراف
نور الدين طالب

المجلد الرابع

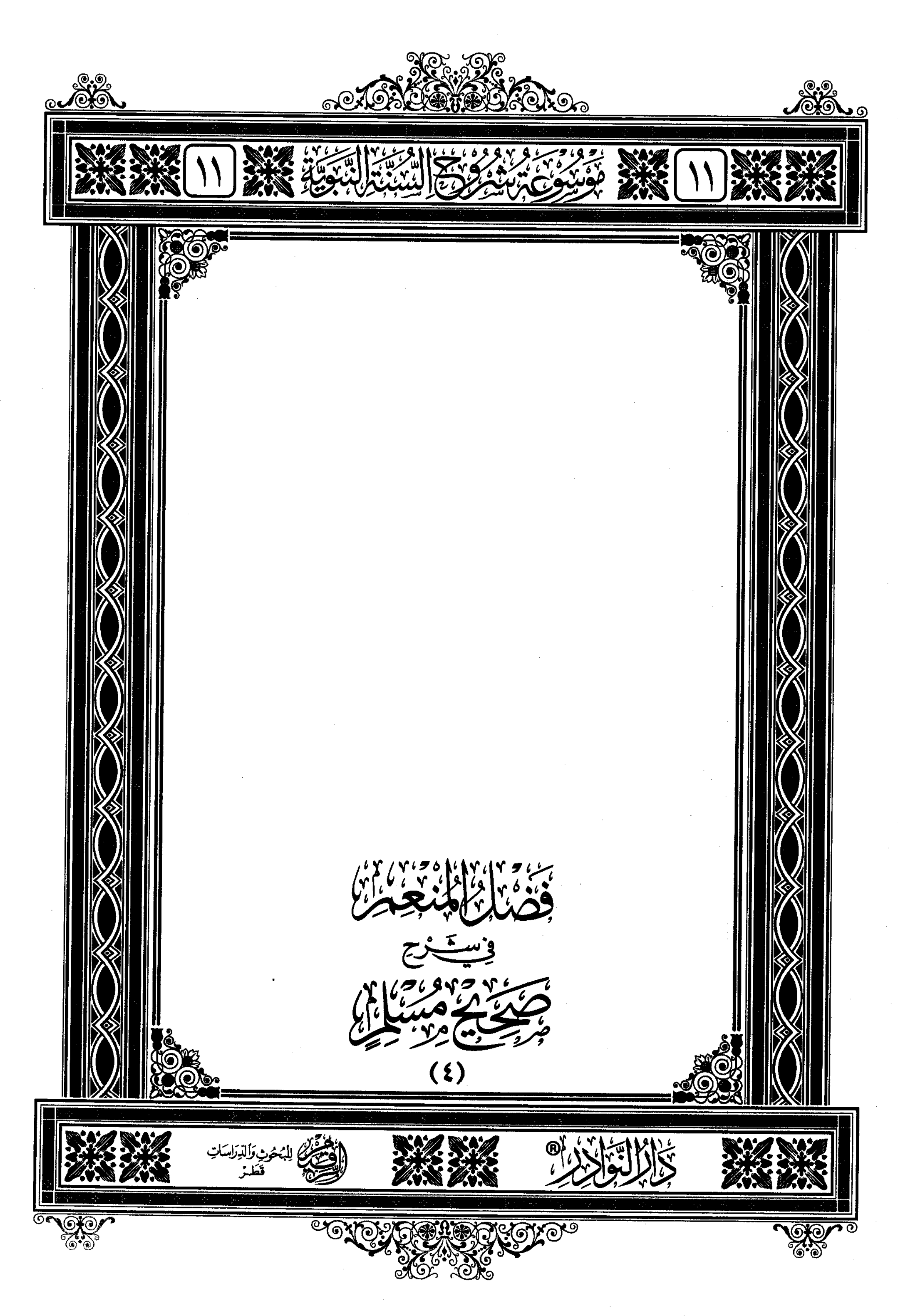








موسوعة شروح السنة النبوية
١١
١١
بسم الله الرحمن الرحيم
دار النوادر
أوقاف للبحوث والدراسات
قطر



موسوعة شروح السنة النبوية
11
11
فضل المنعم
في شرح
صحيح مسلم
(٤)
دار النوادر
للبحوث والدراسات
قطر




موسوعة شروح السنة النبوية ١١



الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

ردمك: ٧ـ٤٣ـ٤١٨ـ٩٩٣٣ـ٩٧٨ :ISBN
9789933459437



للبحوث والدراسات
قطر - الدوحة
فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٤٤١٨٧٠
Email: arraqeem@gmail.com

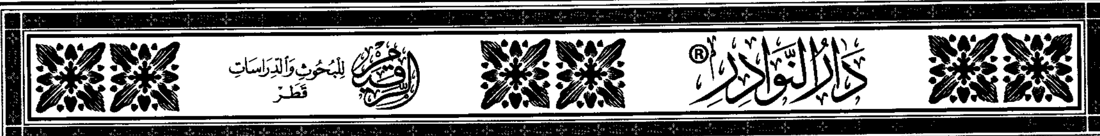


سورية - لبنان - الكويت

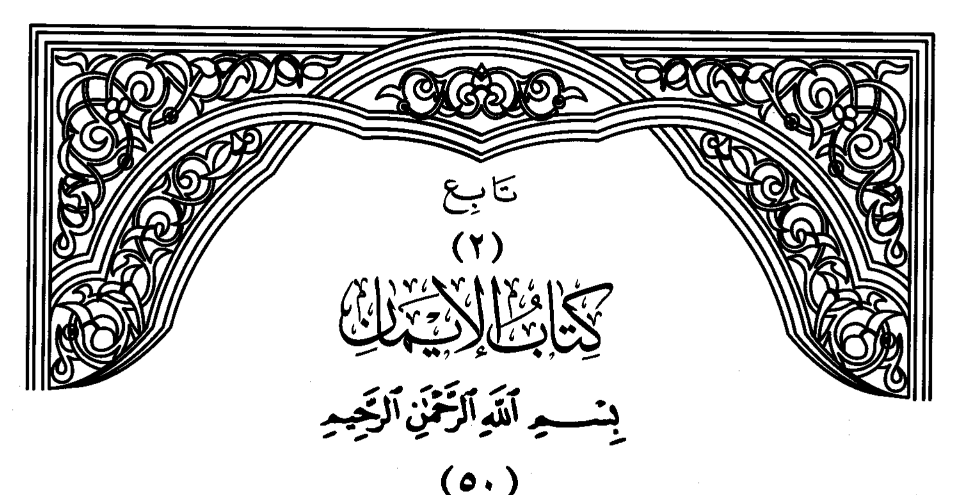
مؤسسة دار النوادر م.ف - سورية * شركة دار النوادر اللبنانية ش.م.م - لبنان * شركة دار النوادر الكويتية ذ.م.م - الكويت
سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب: ٥١٨٠/١٤ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - الصالحية - برج السحاب - ص. ب: ٤٣١٦ حولي - الرمز البريدي: ٣٢٠٤٦
هاتف: ٢٢٢٧٣٧٢٥ - فاكس: ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)
www.daralnawader.com info@daralnawader.com











بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(٥٠)

باب

بيان بدوِّ الوحي، وعلامات النبوة

[٧٥ ـ باب
بَدْءِ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ]

٤٢٢ ـ (١٦٠/ ٢٥٢) ـ حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ: الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ وَهُوَ التَّعَبُّدُ ـ اللَّيَالِيَ أُولاَتِ العَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» ـ قَالَ: ـ «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ ـ قَالَ: ـ

قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَـارِئٍ ـ قَالَ: ـ فَأَخَذَنِـي فَغَطَّنِـي الثَّانِيَـةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّـي الجَهْـدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِـي فَقَـالَ: اقْرَأْ، فَقُلْـتُ: مَا أَنَا بِقَـارِئٍ، فَأَخَذَنِـي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق: ١ ـ ٥]». فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِـي زَمِّلُونِـي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي؟». وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، قَالَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلاَّ، أَبْشِرْ، فَوَاللهِ! لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً، وَاللهِ! إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِـيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِـيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعَرَبِـيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِـيراً قَدْ عَمِيَ. فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا بْنَ أَخِي! مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَآهُ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَـةُ: هَذَا النَّامُـوسُ الَّذِي أُنْـزِلَ عَلَى مُوسَـى، يَا لَيْتَنِـي فِيهَا جَذَعـاً، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّاً حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟». قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ، أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً».

٤٢٣ ـ (١٦٠/ ٢٥٣) ـ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، قَالَ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ، وَسَاقَ الحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَوَاللهِ! لاَ يُحْزِنُكَ اللهُ أَبَداً، وَقَالَ: قَالَتْ خَدِيجَةُ: أَيِ ابْنَ عَمٍّ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ».

٤٢٤ ـ (١٦٠/ ٢٥٤) ـ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ المَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ: قَالَتْ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: «فَرَجَعَ إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ»، وَاقْتَصَّ الحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ وَمَعْمَرٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَوَّلَ حَدِيثِهِمَا مِنْ قَوْلِهِ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ». وَتَابَعَ يُونُسَ عَلَى قَوْلِهِ: «فَوَاللهِ! لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً»، وَذَكَرَ قَوْلَ خَدِيجَةَ: «أَيِ ابْنَ عَمٍّ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ».

أخرج فيه حديثين:

الأول: حديثُ عائشة، قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ وَهُوَ التَّعَبُّدُ ـ اللَّيَالِيَ أُولاَتِ العَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ

لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ - قَالَ: - «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ - قَالَ: - قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ - قَالَ: - فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق: ١ - ٥]». فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي؟». وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، قَالَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلاَّ، أَبْشِرْ، فَوَاللهِ! لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً، وَاللهِ! إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ. فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا بْنَ أَخِي! مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَآهُ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ

الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّاً حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟». قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ، أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً».

أخرجه البخاري، والترمذي ساق أوله.

وفي الباب: عن ابْن عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِخَدِيجَةَ: فَذَكَرَ عَفَّانُ الحَدِيثَ، وَقَالَ أَبُو كَامِلٍ، وَحَسَنٌ فِي حَدِيثِهِمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «إِنِّي أَرَى ضَوْءاً، وَأَسْمَعُ صَوْتاً، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ بِي جَنَنٌ». قَالَتْ: لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ يَا بْنَ عَبْدِاللهِ، ثُمَّ أَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ: إِنْ يَكُ صَادِقاً، فَإِنَّ هَذَا نَامُوسٌ مِثْلُ نَامُوسِ مُوسَى، فَإِنْ بُعِثَ وَأَنَا حَيٌّ، فَسَأُعَزِّزُهُ، وَأَنْصُرُهُ، وَأُومِنُ بِهِ» رواه أحمد، والطبراني، ورجاله ثقات.

إذا عرفت هذا، فالكلام في مواضع:

الأول: في التعريف برواته سوى ما سلف.

(عائشة) وهي أم عبدالله، عائشةُ بنت أبي بكر الصديق ـ أمُّ المؤمنين ـ التيميةُ، الفقيهةُ، الربانيةُ، حبيبةُ رسول الله ﷺ، ومناقبُها كثيرة غزيرة، وسيجيء في الكتاب طرفٌ منها.

روي لها عن رسول الله ﷺ ألفا حديث، ومئتا حديث، وعشرة أحاديث، اتفقا على مئة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم بثمانية وستين، وأخرج لها الأربعة ـ أيضاً ـ.

روى عنهـا ابن عباس، وابن الزبيـر، وأبو موسى الأشعـري، وجماعات من الصحابة والتابعين.

وفي الصحابة عشرة [أسماؤهن] عائشة: هي، وبنت سعد بن أبي وقاص، وبنت عجرد، وبنت الحارث القرشية، وبنت أبي سفيان الأشهلية، وبنت عبد الرحمن بن عتيك، وبنت عمير الأنصارية، وبنت مسعود بن المغيرة، وبنت قدامة بن مظعون، وبنت طلحة بن عبيدالله.

وليس في «الصحيحين» من اسمها عائشة من الصحابيات سوى هذه الصدِّيقة، وعائشة بنت طلحة بن عبيدالله، وفي «البخاري» عائشة بنت سعد، وفي «ابن ماجه» عائشة بنت مسعود بن العجماء العدوية، عن أبيها، وليس في مجموع الكتب الستة غيرهن.

توفيت الصدِّيقة بعد الخمسين؛ إِمَّا بسنة خمس، أو ست، أو سبع، أو ثمان، وأَمرت أن تدفن ليلاً بعد الوتر بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة ـ رضي الله عنها ـ.

الثاني: في حال هذا [الحديث]:

ذهب جمع من الناس إلى أن هذا الحديث من مراسيل عائشة ـ رضي الله عنها ـ؛ لأنها ما أدركت هذه القضية، وأوردوا الخلاف في حجية مراسيل الصحابة.

وهذا القول لا يكاد يصح[1]؛ لأن احتمال سماع الصحابي

(١) في الأصل: «يتضح».

الحديثَ من صحابي آخر قائمٌ، فيما أدرك الراوي القضيةَ ـ أيضاً ـ؛ بأن تكون القضية في زمان كونه صحابياً، ولا يسمع ذلك من النبي ـ عليه السلام ـ؛ فإن كيفية اغتسال النبي ـ عليه السلام ـ مثلاً إذا رواه أحد من الصحابة، فإنه يحتمل أنه شاهده، أو سمعه من النبي ـ عليه السلام ـ، ويحتمل أنه سمعه من صحابي آخر، كما أن احتمال سماعه من النبي ـ عليه السلام ـ قائمٌ فيما لم يدرك الراوي زمان القضية.

ولا ريب في أن الحديث بهذا الاحتمال لا يصير مرسلاً، وإلا، لكانت الأحاديث المشتملة على القصص، والأخبار السابقة، وجميع روايات الأنصار، والداخلين في الإسلام بعد الهجرة عن الأمور التي جرت في مكة قبل الهجرة، مراسيلَ، ولم يقل به أحد، فتعليلُهم كونَ هذا الحديث مرسلاً بأن عائشة ما شاهدت هذه القضية غيرُ مستقيم، والظاهر: أنها سمعت من رسول الله ﷺ، وذكر لها ذلك[1] على سبيل حكاية الحال الواقعة.

نعم، لو قالوا: إن في الرواية: (قالت)، وليس فيها: (سمعت)، فهو يحتمل الإرسال ـ لما عرفت ـ، أي: (سمعت) محمول على الاتصال، وفي (قال) خلاف = لكان وجهاً، ولكن لا تعلق له بكون الراوي عند حدوث القضية صحابياً وشاهداً لها، أم لا.

والحاصل: أن عائشة سمعت ذلك من النبي ـ عليه السلام ـ فليس بمرسل؛ إذ لا يشترط في الاتصال حضور زمن المحدَّث به، بل

(١) في الأصل: «وذكر لها في ذلك».

السماع عن المحدث عنه.

و(مِنَ) في قوله: (مِنَ الوَحْيِ) قيل: للبيان، وقيل: للتبعيض.

واعتُرض بلزوم كون الرؤيا من الوحي.

وأجيب: بإلزامه بأن الرؤيا جزءٌ من النبوة ـ على ما سيجيء ـ، ولأن الوحي إعلام، ورؤيا الأنبياء حق، فيكون إعلامَ بشارة أو إنذار.

وعن ابن عباس: «رُؤْيَا الأَنْبِيَاء حَقّ»، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢] الآية.

وقال المهلب: الرؤيا الصالحة هي تباشير النبوة.

والحكمة في ابتداء الوحي بالرؤيا، وحصول المؤانسة على سبيل التدريج؛ لضعف القوى البشرية، وعدم تحملها لرؤية الملك فجأة، ورؤية الضوء، وسماع الصوت، وسلام [...]، ونحوها.

أيضاً: لأجل الإعداد، وتقوية الاستعداد على الابتداء في النوم؛ لأجل الإيماء إلى شرائط القابلية؛ لأن القوى الحسية يضعف أكثرها في النوم، ويحصل للقوى الروحانية الفراغة أكثر مما في اليقظة، فابتدئ في النوم؛ ليعلم الرسول أن من جملة شرائط مجيء الوحي إليه: الإعراض عن الأمور الإنسانية، والاشتغال بتصفية الباطن، وحضور القلب، ولذلك حُبب إليه الخلاء.

الثالث: في شرح ألفاظه:

* قوله: (الرُّؤْيَا) ووقع في الكتاب: (الصَّادِقَةَ)، وكذا في

«البخـاري» في (كتاب التعبير)، ووقع في صدده: (الصَّالِحَـة) بدل (الصادقة)، والمعنيان متقاربان.

وقيد الرؤيا بقوله: (فِي النَّوْمِ)، وإن كان في عُرف اللغة لا يستعمل إلا بما كان فيه، كما خصَّ الرؤية بالبصر في اليقظة، والرؤية بما كان بالفكر فيها؛ زيادةً للتأكيد، واستعمالاً للرؤيا في المعنى الأعم، حتى يفيد التخصيص بقوله: (في النوم).

* **وقوله: (إِلاَّ جَاءَتْ)**؛ أي: الرؤيا.

(مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ)؛ أي: مثل ضيائه وإنارته، وإنما يستعمل هذا في الشيء الواضح، يقال: هو بيّن مثل فلق الصبح.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾[الأنعام: ٩٦] هو ضوء الشمس بالنهار، وضوء القمر بالليل.

والمعنى: أن النبي ـ عليه السلام ـ لا يرى الرؤيا إلا رؤية واضحة بيِّنة غير ملتبسة بشيء، كأنه رآه في اليقظة مبيناً واضحاً، فالمراد: وضوح رؤية في المنام من غير خفاء عليه.

ويحتمل أن يراد: لا يرى رؤيا إلا جاءت تعبيرها وتأثيرها في الوجود واضحاً مبيناً.

وبالجملة: الغرض: بيان كون رؤياه رؤيا حَقٍّ ويقين، لا شكٍّ وتخمين، والتعبير عن ذلك بفلق الصبح ـ أيضاً ـ مناسب؛ من جهة أن شمس النبوة كانت مبادئ أنوارها الرؤيا، ثم تم برهانها، وظهرت أشعتها.

وفي «جامع الترمذي»: أَوَّلُ مَا ابْتُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ النُّبُوَّةِ حِينَ أَرَادَ اللهُ ﷻ كَرَامَتَهُ، وَرَحْمَةَ العِبَادِ بِهِ: أَنْ لاَ يَرَى شَيْئاً إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ.

* وقوله: (ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ)؛ لأن في الخلوة فراغ القلب عن الشواغل الحسية، وهي مُعينة على الفكر، وأن البشر لا ينتقل عن طبعه إلا بالرياضة البليغة، فحُبب إليه الخلوةُ لذلك.

وقد استدل بعض الصوفية بذلك على أنه لا بد للمريد في ابتداء أمره من الخلوة.

وقال ابن المرابط: كان يخلو بغار حراء اعتباراً وفكرة؛ كاعتبار إبراهيم لمناجاة ربه، والضراعة إليه؛ ليريه السبيلَ إلى عبادته على صحة إرادته.

* وقوله: (فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ) الغار: الثقب في الجبل، وحِراءَ ـ بكسر الحاء وتخفيف الراء المهملتين ـ: جبل على ثلاثة أميال من مكة، على يسار الذاهب من مكة إلى منى، يُمَدُّ ويُقصر، ويذكر ويؤنث، ويُصرف ويُمنع، والمد والتذكير والصرف أكثر، وفتح الحاء مع القصر غريب.

وعن أبي عمرو الزاهد: العوام يخطئون في حراء في ثلاثة مواضع، و[هي]: فتح الحاء وهي مكسورة، وكسر الراء وهي مفتوحة، وقصر الألف وهي ممدودة.

وإنما اختاره للخلوة؛ لأنه يرى بيت ربه منه، وهي عبادة، فكان

في حالة انزوائه مشغولاً بهذه العبادة.

وقيل: لما قال ثَبير ـ وهو اسمُ جبل أيضاً ـ للنبي عليه السلام: اهبطْ عني؛ فإني أخاف أن تُقتل على ظهري، فأُعذَّبَ، ناداه حِراء، وقال: إليّ يا رسول الله.

وذكر الكلبي: أن حراءً وثبيراً سُميا بابني عم من عاد الأولى.

وفي بعض روايات البخاري: (وكان يجاور بحراء) بدل (يخلو)، والمعنى متقارب، وفيه حديث جابر: «جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْراً».

* **وقوله: (يَتَحَنَّثُ)** مفسَّر في الحديث بالتعبد، والرواية بالحاء المهملة ثم النون ثم مثلثة.

وقال أبو أحمد العسكري: رواه بعضهم (التَّحَنُّفُ) بإبدال المثلثة فاءً.

وعن أبي عمرو الشيباني: أنه سئل عن التحنث، فقال: لا أعرف ما معنى (يَتَحَنَّثُ)، إنما هو (يتحنف)؛ أي: يتبع الدين الحنيف، وهو دين إبراهيم عليه السلام.

وفي «الأساس»: ومن المجاز: ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٤٦]؛ أي: الذنب، استعير من حِنْثِ الحَانِثِ، الذي هو نقيضُ بِرِّه.

يقال: وهو يتحنث؛ أي: يتحرَّج ويتأثَّم، والمعنى: يطلب الخروجَ من الإثم [إلى] طلب البر، وإنما اختار هذا اللفظ، ثم فسره

بالتعبد الذي هو سببُ الخروج من الحنث، وهو الإثم؛ إيماءً إلى لزوم العبادة، كأنه حلف على المداومة عليها، ويخاف من التقصير الحِنْثَ في يمنيه.

وتفسير التحنث من كلام بعض الرواة، أو يكون من كلام عائشة.

* وقوله: (اللَّيَالِيَ) منصوب على الظرفية، وهو يتعلق بـ (الحنث)؛ لأن التفسير اعتراض، و- أيضاً -: لو علق، لكان قيداً فيه، فيكون معنى التحنث: تعبد الليالي ذوات العدد، وليس كذلك، بل التحنث: التعبد مطلقاً.

واختلف في تعبد النبي - عليه السلام - قبل البعثة وبعدها، قبل فرضية الطاعات:

فقيل: قبل البعثة وبعدها لا يتعبد بشريعة أحد، وعليه الجمهور، واستدل على ذلك بعضهم بأن في اتباعِه غيرَه تنفيراً عنه؛ لأن التابع يبعد أن يكون متبوعاً. وضعفُه ظاهر، وأكثرهم بأن ذلك لو كان لنقل إلينا؛ لتوفر الدواعي إلى نقله، وهو الوجه.

وقيل: متعبّد بشريعة موسى، وقيل: عيسى، وقيل: إبراهيم، وقيل: نوح، وقيل: آدم.

وقيل: شريعة مَنْ قبلَه من غير تعيين.

وقيل: جميعُ الشرائع شرعٌ له، هذا قبل البعثة، وأما بعدها، فقيل: بواحدٍ مما ذكر.

وقيل: بل كان مأموراً بأخذ الأحكام من كتبهم.

وقيل بالتوقف في تعبده قبل البعثة وبعدها.

والأوجه: أنه مشتغل بربّـه، منشرح الصدر بما جَبَلَـه الله عليـه من نور المعرفة، ومحبة الحق، وبغض ما كان عليه قومه من عبادة الأوثان، وقبح الفعال، فكان يفر منهم بغضاً، ويخلو بمعروفه أُنْساً.

* وقوله: (أُولاَتِ العَدَدِ) صفة الليالي، وفي «البخاري»: (ذَوَاتَ العَدَدِ)، وهو بمعناه، والغرض [من] بيان طول خلوته: أنه يخلو في حراء الليالي الكثيرة المتعددة من غير رجوع إلى أهله؛ لأنه يتعبد فيه في الأيام، ويرجع في الليالي إلى أهله، أو يتعبد فيه الليالي المتفرقة، بل يتعبد فيه الليالي المتعددة المتصلة.

ويحتمل أن يراد بها: الشهر؛ لقوله في حديث جابر: «جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْراً» ـ على ما سيجيء ـ.

وفي التخلي في غار حراء اللياليَ متصلةً إيماءٌ إلى كمال الخلوة؛ لأن حراء بعيدٌ عن العمران، وليس فيه أحد يشوشه عن التفكر، خصوصاً في غاره في الليل، وسكونه فيه الليالي من غير رجوع إلى أهله، إلا لأجل التزوُّد.

وفيه: إشعار بغاية تنزهه من الخلق، ونهاية أنسه بالحق، حتى إنه لولا [ما] فيه البشريـة، لانقطع عن الخلق الانقطاعَ الكلـيَّ؛ بحيث لا يعود إلى طبعهم أصلاً.

وفي (يَرْجِعُ) إيماءٌ إلى أنه لبقاء الإنسانية فيه، وإذا احتاج إلى التردد، وتحصيلِ كمال القابلية؛ برفع وسوسة الطبيعة من طلب الغذاء

ونحوه، يرجع عن تلك الحالة الأنسية التي لا يسع فيه ملك مُقرَّب، ولا نبي مرسل إلى هذه الحالة؛ لبقاء حالة الأنسية فيه. ففي لفظ الرجوع إيماءٌ إلى أن العود من تلك المرتبة لأجل بقاء تلك القابلية فيه.

وفي «البخاري»: (يَنْزِعُ) بدل (يَرْجِعُ)، وفيه ـ أيضاً ـ ذلك المعنى من الرجوع إلى الأصل، وهو البشرية؛ لأن لا يعرف نزاعاً.

ويندرج في التزود: التطيب، والتطهر في البدن والثياب، وإعداد الطعام، وكل ما يحتاج إليه الشخص في ذلك، ويليق بتلك الحالة.

وفيه: أن التزود لا يمنع التوكل، بل بدونه اتكال لا توكل.

ولَمَّا كانت رتبة الحالة القريبة أعلى الرتب، والرجوع إلى الأهل لأجل التزود لتحصيلها، عبَّر عنها قبل حالة الرجوع بلفظة: (لِذَلِكَ)؛ إشعاراً لبعد مرتبتها في الكمال، وعبَّر [عن] الحالة الحاصلة بعد الرجوع وحصول التوجه نحو الخلوة بالضمير الراجع إلى الحالة، أو الليالي، ولم يقل: بمثل ذلك، فأومأ بقوله: (لِذَلِكَ) وبمثلها إلى التفاوت بين حصول الكمال والتوجه إليه بعد الزوال.

وفي (حَتَّى) إشعارٌ بمداومته على تلك الحالة، وأنه لم يزل عليها حتى جاء الوحي.

* **وقوله: (فَجِئَهُ الحَقُّ)** والرواية: فتح الفاء وكسر الجيم، وروي بفتحهما؛ أي: جاءه بغتة، وكذا أورده البخاري في (كتاب التفسير) من «صحيحه»، وأورد في أوله: «حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ»، وفي الفجأة، وهي البغتة، زيادةُ معنى ليس في المجيء؛ لأنها أخص.

وفيه: رمز إلى كمال تصفية النبي ـ عليه السلام ـ، ونهاية مداومته على التعبد، وأنه لا يزال يداوم حتى جاءه الوحي فجأة.

وفيه ـ أيضاً ـ: إيماءٌ إلى غاية قوة النبي ـ عليه السلام ـ، وكمال استعداده؛ حيث جاءه الوحي فجأة، وهو قابل له لا يتزلزل.

والمراد من الحق: الوحي، وفيه إيماءٌ إلى معنى الثبوت؛ يعني: أن الحالة النومية تتغير وتتبدل؛ بخلاف الوحي؛ فإنه ثابت لا مغير فيه.

وفيه ـ أيضاً ـ: رمز إلى مجيئه من عند الحق، واشتماله على الحق.

* **وقوله:** (وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ) زيادةُ بيان لمكان مجيء الوحي، وإن كان يفهم ذلك من لفظة: (حتى).

وفيه: إشعار بكمال انقطاعه عن الخلق، واتصاله بالحق، وحب الموضع الذي يجد فيه الفراغة للتوجه.

وروى ابنُ سعد بإسناده: أن نزول الملك على النبي ـ عليه السلام ـ بحراء يوم الاثنين، لسبع عشرة خلت من رمضان، ورسولُ الله ﷺ ابنُ أربعين سنة.

وعن ابن عبد البر: أنه في ربيع الأول.

ويحتمل أن يكون المعنى من قوله: (فَجِئَهُ الحَقُّ): أنه تمت قابليته لقبول الحق، وكمل استعداده، لذلك، (فَجَاءَهُ المَلَكُ)، وهو جبريل ـ عليه السلام ـ.

وأما على المعنى الأول، وهو: أن المراد من الحق: الوحي،

فقوله: (فَجَاءَهُ المَلَكُ) أن الملك الآمرَ له بالقراءة مجيئُه متعاقب لمجيئه الأول، فعبَّر عن الأول بالحق؛ نظراً إلى المرسِل والمرسَل به، وعن الثاني بالمَلَك؛ نظراً إلى كونه الآمر للنبي - عليه السلام - بالقراءة، والآخذ له بالشدة.

ويحتمل أن تكون الفاء فصيحة، يعني: فإذا فَجِئَهُ الحق، جاءه الملك.

الرابع: في قوله: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ)، (مَا) نافية، ولهذا أدخل الباء في الخبر تأكيداً للنفي؛ أي: ما أُحسن القراءة، وقد جاء في رواية: (ما أحسن أن أقرأ)، ومن زعم أنها استفهامية، استدل برواية ابن إسحاق: (مَا أَقْرَأُ؟)، ولا دلالة فيها لجواز أن تكون نافية في تلك الرواية - أيضاً -. والمعنى: نفي القراءة مطلقاً؛ تنزيلاً للفعل المتعدي منزلةَ اللازم، كما يفعلون ذلك إذا كان غرضهم نفيَ الأصل، لا التعلق، وهو أقوى من استعمال ما ليس له تعلق - كما تقرر في موضعه -.

* (فَغَطَّنِي) يقال: الغط: الغمس[1]، يقال: غَطَّ في الماء بمعنى: غمس، ومنه: غطني في بحر كرمه: إذا أراد نشر إنعامه، وغطيطُ النائم: شخيرُه، يستعمل بمعنى: العصر، والخنق، وهو المراد هاهنا على ما ذهب إليه الشارحون، ويؤيده رواية النسائي؛ لأن البيان الخنق، وكذا رواية (فدعتني).

وبالجملة: في الغط معنى الستر والاشتمال عليه، وإظهار الشدة

---

(١) في الأصل: «الشيء» بدل «الغمس».

والجد في الأمر؛ ليكون توجهه إلى سماع كلامه، والتفطن لما يلقى إليه أتمَّ وأكثر، وليزول عنه ما كان من خواص البشرية من الغفلة، وأخذ الأمر بسهولة ومداراة.

و- أيضاً -: فيه إيماء أن الواجب على قائل الوحي أن ينسلخ عن مألوفات الطبيعة من الدعة والراحة، وأن يوطن نفسه بمقاساة الشدائد؛ فإن مرتبة الرسالة مرتبة عظيمة، لا يصل إلى مناحيها، ولا يرتقي إلى ذروتها إلا الراسخ في [. . .] الفوائد، الخائض في غمرات الشدائد.

وبتثليث الغط إشارة إلى إتمام القابلية؛ لأن الهواجس الظاهرة تخرج بالأول، والبارزة من وجهٍ الخفية من وجهٍ بالثاني، والمكنونة من كل وجه بالثالث.

وفيه: رمز إلى أن هذه المرتبة العلية، والدرجة الرفيعة لا بد فيها من اقتحام المخاوف؛ في الأول من معاداة أعداء الدين، وإظهار عداوتهم للسالكين في مسالك اليقين، والصبر على لجاجهم وتماديهم في الغَيّ، ودخول المساكين والفقراء والأباعد في الدين، وبقاء الرؤساء والأشراف والأقارب على الضلال، وغير ذلك من المشاق.

ومن القيام على أداء الشكر في الوسط، فبظهور دين الحق على الأديان، وانكسار شوكة أهل الكفر والطغيان، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وصيرورة الهدى[1] سُبلاً ومنهاجاً، ومن الاعتناء في الآخر في استخلاص أمر الإجابة، والإخراج من الغم والحسرة والندامة يوم

---

(١) في الأصل: «الضلال».

القيامة، وإدخالهم في دار الكرامة بالطلب من رب العزة بالشفاعة.

وبالجملة: فإن حمل أعباء الرسالة، والقيام بمواجب النبوة، أمرٌ عظيم، وخطب جليل؛ فإن جميع الناس تصير عياله، والواجبُ عليه القيامُ بحقوقهم في دارَي الفناء والبقاء، وطلب النجاة لهم، وحصول الوصول إلى النعيم، ومحافظة أمورهم، ومداومة إرشادهم، وتوجُّه الهمة إلى فوزهم في الأول والوسط والآخر.

وقيل: إشارة إلى الشدائد الثلاث التي ابتُلي بها؛ من الشدة والجوع في الشِّعْب، حين تعاقدت قريش على عدم التعامل معهم، والتوصل إليهم من الخوف والإيعاد بالقتل ونحوه، ومن الإجلاء من أحب الأوطان، ولا شك أن للتثليث في تمكن الأمر وتقرره مدخلاً ليس يخفى، ولهذا يكرر النبي ـ عليه السلام ـ الكلمة ثلاثاً إذا تكلم بها.

واستنبط شريح القاضي من ذلك: أنه لا يضرب الصبيُّ على القرآن إلا ثلاثاً، كما غطَّ جبريلُ رسولَ الله ثلاثاً.

* **قوله: (حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ)**، والجُهْدُ روي مرفوعاً ومنصوباً، وفي الجيم الضمُّ، والفتحُ لغةٌ، ومعناه: غاية المشقة، وقيل: بالفتح: المشقة، وبالضم: الطاقة، وقيل: الفتح في القوة، والضم في العمل، وقيل: هما بمعنى واحد، والمعنى: بلغ الجهد مني مبلغه، أو بلغ المَلَكُ مني الجهدَ. وفي اختيار لفظة الجهد إيماءٌ إلى المعنيين، مع أن فيه مناسبة بمعنى الاجتهاد، كما أن في الإرسال الذي المرادُ منه الإطلاقُ إيماءً إلى معنى الرسالة.

الخامس: في قوله: (﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾) ربما يستدل من هذا الحديث أن أول ما نزل من القرآن: ﴿اقْرَأْ﴾، وهو مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعليه جمعٌ من المفسرين، وذهب أكثر أهل التفسير على أن الفاتحة أولُ ما نزلت، ثم سورة القلم.

وقيل: سورة المدثر ـ على ما سيجيء ـ، وربما يستدل على أن التسمية من السور؛ إذ لم ينزل في أول سورة (اقرأ).

ويجاب: بأنها نزلت بعد ذلك، ولا بُعد في كونها من السور.

وفي «الكشاف»: ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ في محل الحال؛ أي: اقرأ مفتتحاً باسم ربك، قل: بسم الله، ثم (اقرأ).

وقال أبو عبيدة: المعنى: تقرأ اسمَ ربك، والباء زائدة، وإنما لم يذكر مفعول الفعل الأول؛ أعني: ﴿خَلَقَ﴾، وكرره، وذكر مفعوله ثانياً، وهو الإنسان؛ إمَّا لأن لا يقدر له مفعول؛ لتنزيله منزلة اللازم، كأنه قيل: الذي حصل منه الخلق، واستأثر به، لا خالق سواه، وإمَّا لأن يقدر ويراد خلق كل شيء، فتناول كلَّ مخلوق؛ لأنه مطلق، فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض.

* وقوله: (خَلَقَ الإِنْسَانَ) تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق؛ لأن التنزيل إليه، وهو أشرف الخلق.

ويجوز أن يراد: الذي خلق الإنسان، كما قال: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾[الرحمن: ١ ـ ٣]، فقيل: الذي خلق فيها، ثم فسره بقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾؛ تفخيماً لخلق الإنسان، ودلالة

على عجيب فطرته، وإنما اختار صفة الخالق من بين الصفات؛ لأن الكفار - أيضاً - يعتقدون لذلك، ويعلمون أن الله هو الخالق دون أصنامهم.

وإنما قال: ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ على الجمع، وإنما خلق من علقة؛ لأن الإنسان في معنى الجمع، والعلقة: دم غليظ جامد، وقيل: إنها سميت علقة؛ لرطوبتها وتعلقها بما تمر به.

* وقوله: ﴿اقْرَأْ﴾ تكرير للتأكيد، وقيل: ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ يتعلق به، ومعنى الأول: وأَجِدِ القراءة.

* (والأكرم): الذي له الكمال، ومن غاية كرمه وإنافته على كرم كل كريم: أن ينعم على عباده النعم التي لا تحصى، ويحلم عنهم، فلا يُعاجلهم بالعقوبة، مع كفرهم، وجحودهم لنعمه، وركوبهم المناهي، واطِّراحهم الأوامر، ويقبل توبتهم، ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم، فما لكرمه غاية، ولا لحلمه نهاية، وكأنه أومأ إلى أنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية يلزم؛ حيث قال:

* ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، فدل على كمال كرمه؛ بأنه علَّم عباده ما لم يعلموا، أو نقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبَّه على فضيلة علم الكتابة؛ لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دُوِّنت العلوم، ولا قُيدت الحكم، ولا ضُبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزَّلة إلا بالكتابة، ولولا هي، لما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى،

ولطيفِ تدبره دليلٌ إلا أمرُ العلم والخط، لكفى به.

وقرأ ابن الزبير: (علم الخط بالقلم).

وقيل: السرُّ في نزول هذه الآيات أولاً على النبي ﷺ: أنها متضمنة على ما تضمنه القرآن إجمالاً؛ فإن كل ما في القرآن من آيات التوحيد والتنزيه، دل عليه مضمون اسم الرب، وما كان فيه من الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والندب والإرشاد، والمحكم والمتشابه، دل عليه مضمون مقتضى حكم الربوبية، وما كان فيه من استدعاء الفكر والنظر، والاستدلال، وما أشبه ذلك، دلَّ عليه قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾، وما كان فيه من المغفرة والرحمة، والإيناس والإنعام، والترجي والإحسان، والإباحة، وما أشبه ذلك، دل عليه متضمَّنُ كرم الربوبية.

وفيه: إشارة ـ أيضاً ـ إلى التسلي والصبر عند نزول الحوادث، والوعد بالنصرة؛ لما كان في حالة إيجاده من علقة في ظلمة الرحم، ثم تكميله وإخراجه إلى فضاء العالم.

وفيه: تعليم إلى كيفية الاستدلال، وأن المستدل ينبغي أن يخاطب السامع أولاً بما يقرب إلى فهمه، فإن خلق نفسِه لمَّا كان أقربَ إلى فهم النبي ـ عليه السلام ـ من خلق السماوات والأرض، استدل بخلق الإنسان أولاً، ثم بعد تقرر ذلك، انتقل إلى الاستدلال بخلق غيره من الأجرام.

وفيه: إيماء إلى أن الفكرة أفضلُ الأعمال، في ضمن قوله:

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ما يستدعي فكره فيما قيل، حتى يحصل بذلك القطع، وليس الإيمان به بعد الفكرة كالإيمان به بذاته، ولهذا قيل: تفكر ساعة خير من عبادة الدهر؛ إذ بالتفكر يقوى الإيمان.

وفي ذكر: (الأكرم) إشعارٌ إلى أن المتفكر ينظر بعد العظمة والجلال في العفو والكرم.

وفي: (ذكر القلم) إيماء إلى جوانب قوله: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ)؛ يعني: أن الربّ ـ تعالى وتقدس ـ كما علم الإنسان العلوم بواسطة القلم والكتابة، كذلك قادر على أن يعلمه ما لا يعلم من غير وساطة، وفي التصريح بذكر الإنسان في قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وطن ذكره في قوله: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ ـ أيضاً ـ: إشعار بأن الله تعالى يَعَلِّمُهُ أشياء ليس في حد البشر علمُها، وإنما غاية علم الإنسان، وتكريم الله تعالى له علمُ ما يكتب بالقلم.

وفيه ـ أيضاً ـ: إيماء إلى أن عدم اشتغال النبي ـ عليه السلام ـ بالكتابة والقراءة معجزةٌ له ومَحْمَدة؛ إذ به يزول رَيْب من ارتاب في أنه من عند نفسه، لا من عند الله تعالى ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت: ٤٨].

وفي إنزال القرآن عليه بعد غطِّ جبريل له ثلاثاً: إشارة إلى أن التخلية قبل التحلية.

وفيه: أن التخلية مكتسبة، وفيضٌ من الرب، وقد جمعهما رسول الله ﷺ؛ حيث تعبد أولاً، ثم غطَّه المَلَك، وقد يجتمعان لجمع

من أمته، وقد ينفرد البعض بالكسب، والبعض بالفيض، ولكن الأفضل هو الجامع، وهو المرشد دون غيره، ولهذا قالوا: الصالح للإرشاد: السالكُ المجذوب، لا السالكُ غيرُ المجذوب، ولا المجذوبُ غيرُ السالك.

* **في قوله: (فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ)**؛ أي: بالآيات إلى خديجة، وفي إيراد هذا: إيماء إلى النبي ـ عليه السلام ـ بحفظ الآيات عند إلقاء الملك إليه، فرجع بها محفوظة ما نسيها، مع استيلاء الخوف عليه، وعدم اعتياده بالوحي.

* **وقوله: (تَرْجُفُ)** حال من رسول الله ﷺ، والمعنى: رجع رسول الله ﷺ خائفاً، تظهر عليه أمارات الاضطراب والرجف. يقال: رَجَفَ البَحْرُ: اضْطَرَبَ، والإِرْجَافُ: الإخبار بالشيء المخوف من غير تحقيق، ومنه قولهم: الإِرْجَافُ مقدِّمة الكَون.

والبادِرَة: اللحمةُ التي بين المنكِب والعنق، يقال: احمرَّتْ بوادر الخيول، والبادرة ـ أيضاً ـ: ما يبدو عند الحِدَّة، وبادرة السهم: طرفه.

وبالجملة: في البدور وما اشتُق منه معنى الإسراع.

ويروى: (يَرْجُفُ فُؤَادُهُ) على ما سيجيء في رواية يونس، ففي هذه الرواية من الإيماء إلى سرعة وقوع هذا الأمر، وأن إتيان الوحي، وما يتابعه عند حدوث هذا الأمر، كان على السرعة، وهذه القضية مقدمة الأمر، ما ليس في رواية: (يَرْجُفُ فُؤَادُهُ)، وـ أيضاً ـ حصول الاضطراب في الأعضاء البدنية أقل تأثيراً، فيكون النسب لبيان حدوث

الخوف في النبي ـ عليه السلام ـ من الرواية الدالة على حدوثه في قلبه، خصوصاً في فؤاده الذي هو عين القلب.

* **وقوله: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي) هكذا الرواية مكررة.**

وفي حديث جابر: «فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثِّرُونِي».

وفي روايته ـ أيضاً ـ: «دَثِّرُونِي، فَدَثِّرُونِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً».

وفي «البخاري» في (كتاب التفسير): «زَمِّلُونِي» مرة، والمعنى متقارب.

يقال: دَثَّرَهُ بالثياب: إذا ألقى بعضها فوق بعض، وغطي بها، ومن المجاز: رجلٌ دَثُور: خامل الذكر، ورجلٌ دثور: متمول، ومنه: «ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ».

ويقال: زَمَّلَوهُ في ثيابه لِيَعْرَقَ، وَتَزَمَّلَ هو: تَلَفَّفَ فيها، وزَمَلَ الشيءَ: حمله، ومنه: الزَّامِلَةُ، ورجل زَمِلٌ: كسلان جبان يتزمل في بيته، لا ينهض للغزو، وفي التنزيل سماه الله تعالى: مُزَّمِّلاً، ومُدَّثِّراً.

فقيل: سبب نزول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ هو المذكور في هذا الحديث.

وقيل: إنما يكون بعد هذه الحالة في وقت كان رسول الله ﷺ نائماً بالليل، متزملاً في قطيفة، فنبه، ونودي لا لئلا تجيء إليه الحالة التي كان عليها من الزمل في القطيفة، واستعداده للاشتغال بالنوم، كما يفعل من لا يهمه أمر، ولا يغنيه شأن، فلذلك شمر رسول الله ﷺ وأصحابه حق التشمير.

وقيل: كان متزملاً في مِرْطٍ لعائشةَ يصلي، فهو على هذا ليس بتهجين، بل هو ثناء عليه، وتحسين لحالته التي كان عليها، وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب.

وعن عكرمة: معناه: يا أيها الذي زمل أمراً عظيماً؛ أي: حمله.

هذا والظاهر أن نزول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ بعد القصة التي ذكرت في هذا الحديث، وأن النبي ـ عليه السلام ـ لما رجع إلى خديجة خائفاً من ذلك الأمر، أمرها أن يتداوى بحسب ما اعتاده من [. . .][1]، فقال: «زَمِّلُونِي»، أو قال: «دَثِّرُونِي»؛ لأنهما بمعنى، فدثَّروه، وصبوا عليه ماءً بارداً، على ما هو المتعارف عندهم في التداوي.

وأما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، فظاهرُ حديثِ جابر: أنها نزلت في هذه الحالة ـ على ما سيجيء ـ.

وفي لفظ الزمل والدَّثر ومشتقاتهما مناسبة لمعاني الحمل والخوف عن الإقدام على الأمر لعظمته وجلالته، وأنه ـ مع ذلك ـ حاملٌ له، مع عظمة ما عني به، وليس أمر وراءه آخر، وأنه كان خامل الذكر قبل ذلك، فصار سبب ذلك، ولديه البيان، فقاله من نباهة ليس وراءه نباهة.

والسابع: في قوله: (أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي؟ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، قَالَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي) الظاهر من لفظ الكتاب أن قوله: **(قَالَ: لَقَدْ**

---

(١) بياض في الأصل مقدار كلمتين.

خَشِيتُ) جملة مستأنفة؛ لأن لما قال لخديجة [ما] قال، وأخبرها ما وقع له في غـار حراء من أمـر المَلَك، كأن سائلاً سأل: فماذا قال بعد ذلك؟ فقيل: لقد خشيت.

وفي البخاري في أول «صحيحه»: (فَقَالَ لِخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي) بدون ذكر: (أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي؟). وبدون إعادة (قَالَ)، فهو إذاً مقول القول؛ أي: قال لخديجة: لقد خشيت على نفسي، والباقي موطئة لذكره.

وفيه: بيان جواز التحدث بالأمر الواقع لأهله، ومن يثق به من أصحابه إن كانوا أصحاب دين ورأي، والتعليم بأن الواجب على صاحب الواقعة أن يفحص عن حاله، ويقدم المخوف على المرجو، ويبحث عن حالة الخوف؛ ليحصـل له الأمن، ومعنى خشـية النبـي ـ عليه السلام ـ: عدم تحمله لحمل مشاق النبوة وأعباء الرسالة، أو حدوث المرض له من ملاقاة الملك، وزهوق الروح من تواتر رؤيته.

وبالجملة: فحدوث هذه الحالة له أمر عجيب، لا يحدث مثله في زمانه لأبناء نوعه، بل ربما يحدث مسُّ الشيطان لبعض الناس، وكثر ذلك في العرب؛ لسكونهم في البراري، وغلبة السوداء على أمرهم، والتبس على طباعهم، فخاف من حدوث الجنون، أو المرض المزمن، أو الموت منه، يعني: من كثرة وقوع هذا الأمر على خلاف عادته، خاف على حدوث مرض من جنون ونحوه الذي يحدث في زمانه كثيراً.

إلا أنه بعد رؤية الملك، وإلقائه إليه القرآن، شك في رسالته، أو خشي من تسلط الشيطان، لا يجوز، فلا يتصور في حقه ذلك، بل خوفه لما قلنا، ويؤيده: حديث ابن عباس ـ على ما مَرَّ ـ، ولما حصل له ذلك الخوف؛ لأنه أمر على خلاف عادته، تشاور بذلك مع أهله وأنيسه؛ لينظر رأيها في ذلك، وفكرها في حاله؛ لأنها غير واقعة في الاضطراب، قارعة عن الانزعاج، مجتمعة الفكر والحواس، فلعلها تفكر في ذلك الأمر، وتحل برأيها عقدته، فعملت خديجة ـ رضي الله عنها ـ في هذه الواقعة بحكم استصحاب العادة، وحكمت بأن ذلك أمرُ بشارة، وفاتحةُ خير وكمال، وأكدت ذلك بالحلف؛ تأكيداً لذلك؛ ليذهب عنه الروع والحزن بتمامه، وصرحت أولاً بكلمة دالَّةٍ على نفي ما خاف منه، وإبعاده عن حاله، فقالت: (كَلاَّ)؛ أي: ليس الأمر على ما وقع في خاطرك، بل (أَبْشِرْ) بالفوز العظيم، والسرور الدائم، (فَوَاللهِ! لاَ يُخْزِيكَ اللهُ)؛ أي: لا يفضحك، ولا يصل إليك هوان ومذلة من الخزي والفضيحة والهوان، فهو بضم التاء وسكون المعجمة في هذه الرواية، ورواية عقيل.

وأما في رواية معمر: (تَحْزُنْكَ) بفتح التاء وسكون الحاء المهملة؛ أي: لا يغمك، ولا يهمك من الحزن، والمعنيان متقاربان؛ لأن في وصول الخزي إليه حزنٌ وأيُّ حزن، ففي نفي الخزي نفي الحزن، وبالعكس، والغرض: بيان [أن] هذا الأمر الذي وقع له ليس مما يخاف ويحزن، ولا مما يتوهم منه حدوث شيء فيه الخزي؛ من

الجنون، والمرض المزمن، وغير ذلك، بل أنواع البشارة والسرور له، أكدت ذلك بقولها: (أَبَداً) زيادةً في البشارة وبياناً؛ لأنه قابل مستحق لوصول الخيرات إليه دائماً؛ لأن ذلك الاستحقاق مركوز فيه، جِبِلِّي له، غيرُ متكلف، ولا ناشئ بسبب نزول.

ثم ذكرت أسباب استحقاقه لذلك، فقالت: (وَاللهِ! إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ. . .) إلى آخره، وأكدت المذكورات بالحلف؛ إيماءً إلى أنها مما لا شك فيها، وأنها حاصلة فيه، وإشعاراً بأن حلفها على وجود تلك الخصال في النبي ـ عليه السلام ـ كما كان واقعاً لا ريب فيه، والنبي ـ عليه السلام ـ أيضاً يعرف وجودها منه، فكذلك لا شكَّ في حلفها الأول، بحسب اعتقادها بأن الله تعالى يوصل إليه الخيرات، وما فيه صلاح الدارين له.

وقدم من الصفات: صلة الرحم، وهو الإحسان إلى الأقارب بالمال والخدمة والزيارة والسلام، وسائر أنواع الإحسان، وإيصال المنافع، ودفع المضار؛ إيماء إلى أن جزاء الإحسان هو الإحسان، فالنبي ـ عليه السلام ـ لما كان محسناً مراعياً حقَّ الأقرباء، مع عجزه وضعفه، وكونه مخلوقاً، فالخالقُ القادرُ العالمُ، المنزَّهُ عن صفات النقص والعجز، الحكيمُ الجوادُ البَرُّ الرحيم، لا شك في أنه يجازي مثلَ ذلك الشخصِ الفاعلِ للإحسان بالإحسان.

ثم وَصْفُه بعد ذلك بصدق الحديث، وهو الفضيلة الشاملة لجميع أنواع الفضائل، فيه إيماء إلى بيان المناسبة للنبوة؛ إذ ملاكُ أمر

النبي صدقُ الحديث، ونبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان من صغر سنه إلى هذا الزمان، معروف بصدق الحديث، معدن له، فهو مناسب لنزول الوحي إليه؛ لما فيه هذه الخصلة التي هي رأس الخصائل.

وفيه ـ أيضاً ـ: إشعارٌ بقبول الناس قوله؛ لِمَا عرفوا من صدق حديثه، فلا يلحقه حزن من جهة عدم الالتفات إلى قوله.

ثم قالت: (وَتَحْمِلُ الكَلَّ) بفتح الكاف وتشديد اللام؛ أي: الثقل، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾[النحل: ٧٦]، وأصله من الكَلاَل، وهو الإعياء، ومنه: الكلالة؛ للقرابة التي ليست من جهة الولد والوالد؛ لأنها أعيب عن القرابة المماسة، وفي (تحمل الكل) يندرج الإنفاق على الصغير واليتيم والعيال، وغير ذلك، والغرض منه: الوصف بالتحمل، وقابلية الصبر على أعباء الرسالة ومشاق النبوة، والله تعالى لا يفوض أمره إلا للمطيق.

* **وقولها: (تَكْسِبُ المَعْدُومَ)** الرواية المشهورة: فتح التاء المثناة الفوقانية، وروي بضمها، وذكر الشارحون في المشهورة وجهين: الأول: أنها بمعنى المضمومة؛ أي: تكسب غيرك المالَ المعدوم؛ أي: تعطيه له تبرعاً، أو تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد، ومكارم الأخلاق، فمعنى أَكْسَبَ: أعطى غيره، وكسبه، فـ (كسب) على هذا الوجه بمعنى: أكسب، والثاني بمعناه؛ أي: تَكْسِب أنت المال المعدومَ، وتصيب منه ما يعجز غيرُك عن تحصيله، وكانت العرب تتمادح بكسب المال، خصوصاً قريش، وقد عرفوا

بقريش التجار، وسموا بذلك من التقرش، وهي التجارة على أحد الأقوال، فعلى هذا لا تكون التاء إلا مفتوحة، ذكره القاضي نقلاً عن ثابت صاحب «الدلائل»، وضعَّفَهُ النووي، وقال: لا معنى لهذا القول في هذا الموطن، اللهم إلا أن يضم إليه البذل في وجوه الخيرات؛ إذ المقام يناسب بيان إيصال النفع إلى الغير لا تحصيل المال وادخاره.

وقال صاحب «التحرير»: المعدوم: الرجل المحتاج العاجز عن الكسب، سُمي معدوماً؛ لكونه كالميت؛ حيث لم يتصرف في المعيشة تصرف الغني.

واعترض الخطابي بأن الواجب حينئذ المُعْدَم ـ بدون واو ـ، وصححه النووي؛ بأن ذلك على وجه المجاز، والمعنى: يسعى في طلب عاجز بنفسه؛ أي: يعطي ويعين العاجز.

هذا ما ذكروه مع زيادة تصحيح، والعجب منهم كيف تركوا المعنى الظاهر الذي عليه أهل اللغة، وذهبوا كلَّ مذهب، وأن الكسب لا يختص بالمال، بل يتناول جميع الخيرات.

قال الله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[البقرة: ٢٨٦]، ويقال: كَسَبَ فلانٌ خيراً، وفي «تهذيب الأزهري»: قال أحمد بن يحيى: كلُّ الناس يقولون: كَسَبَكَ فلانٌ خيراً؛ إلا ابن الأعرابي، فإنه يقول: أكسبك خيراً. فالمشهورة على المشهور، والمضمومة على قول ابن الأعرابي.

والمعنى: إنك تَكْسِبُ الخيرَ المعدوم في الناس، كما أنك تحمل

أثقالهم، والغرض: بيان أنه ـ عليه السلام ـ لم يزل في تحصيل أشياء وصفات من الخير لا يوجد شيء منها[1] في أبناء جنسه، فهو مختص بقابلية الوحي، والامتياز عن الغير بوصول تلك النعماء إليه، كما أنه ممتاز عنهم بكسب الفضائل التي لا يوجد شيء منها في الغير، ولا تخطر [في] باله.

ففي صلته الرحم إيماءٌ إلى استحقاقه لوصول الإحسان إليه؛ لأنه محسن، وفي صدق الحديث إلى أنه قابل للنبوة والإخبار عن الله تعالى، وفي حمل الكلِّ إلى أنه صبور قابل لتحمل أعباء الرسالة، وفي كسب المعدوم إلى أنه لم يزل طالباً لتحصيل الفضائل، فهو قابل لحصول تلك الفضيلة فيه، ففي ذكر هذه الأوصاف الأربعة بيانُ اختصاصه بجميع ذلك، وأنها تختص بنزول الوحي إليه؛ إذ لا توجد الخصائل في غيره.

ثم نبهت على الصفات التي توجد في غيره؛ إيماء إلى أنه ـ عليه السلام ـ هو الجامع لما ليس في غيره من الصفات الجميلة، مع أنه فيه من الصفات ما ليس في غيره، فقالت: (وَتَقْرِي الضَّيْفَ)؛ أي: يضيفه، ويعطيه النعم، وخصت هذه الصفة؛ لأنها أكرم صفات العرب، وأفخر مفاخرهم، فذكرت بأن ذلك ـ أيضاً ـ يوجد فيه، يعني: كل ما كان منهم من الصفات الجميلة، فهو مشاركهم فيها، ويمتاز عنهم بصفات جميلة لا توجد فيهم، كما أنهم يمتازون عنه

---

(١) في الأصل: «فيه».

بخصال قبيحة لا يوجد شيء منها قط فيه، فهو مستحق لذلك الفضل العظيم دون غيره.

ولَمَّا كانت الإعانة على النوائب ـ وهي الحوادث ـ موجودةً فيهم، ولكنهم لا يفرقون بين الحق فيها والباطل، بل كلُّ قبيلة تعاون حليفَها، أو واحداً منها، إذا صدر منه شيء من قتل أو نحوه، من غير تفريق بين حق وباطل، ذكرت أنه ـ عليه السلام ـ أيضاً يشاركهم في ذلك، لكن فيما كان على الحق، لا على الباطل، فقالت: (عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ)، ففي (قرى الضيف) لمَّا كان كلُّه خيراً؛ لأن إيصال النفع إلى الغير مستحسَن كلُّه، لا سَرَفَ في الخير = أطلقت ذلك، بخلاف المعاونة على النوائب؛ لأنها قد تكون باطلة يجب الاحترازُ عنها، وكذلك قيدت بـ (الحَقِّ)، فخديجة ـ رضي الله عنها ـ بكمال عقلها وعلمها لمَّا فهمت بأن النبي ﷺ مستحقٌّ لوصول كلِّ خير إليه، جزمت على البشارة، وعلى أن الله تعالى لا يفعل بالنبي ـ عليه السلام ـ إلا الخير، ولا يصل إليه إلا أنواع المبرات والخيرات.

وفيه: إيماء إلى أن مكارم الأخلاق سببٌ للسلامة من مصارع السوء والمكاره، فمن كَثُرَ خيره، حسنت عاقبته، ويرجى له سلامة الدين والدنيا.

وفيه: جواز مدح الرجل بما فيه من الخصال الجميلة في وجهه، وأما النهي عن المدح، فإنما يكون مما لا يكون في الممدوح، ويحصل له بسبب ذلك التكبرُ والنخوة، وفي هذا الموضع لا يكون

ذلك، فلا نهي فيه، و-أيضاً-: يكون ذلك في هذه القضية كالضروري؛ لأنه لأجل تسلية النبي -عليه السلام-، وتسرية الغم عنه، وإدخال السرور في قلبه.

وعلمت خديجة بذلك على أن ذلك مقدمة النبوة؛ لأجل شهرة قرب زمان نبي يبعث في آخر الزمان، وإطباق كلام أهل الكتاب على ذلك، وعن الرهبان والكهان وغيرهم على حصوله لهم، ويؤيد ذلك: حديثُ أبي موسى الأشعري، قال: خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ، وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ، هَبَطُوا، فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ، فَلاَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يَلْتَفِتُ، قَالَ: فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: هَذَا سَيِّدُ العَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عِلْمُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلاَ حَجَرٌ إِلاَّ خَرَّ سَاجِداً، وَلاَ يَسْجُدَانِ إِلاَّ لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَاماً، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ، وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الإِبِلِ، قَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ القَوْمِ، وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ، مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لاَ يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ، فَإِنَّ الرُّومَ إِذَا رَأَوْهُ، عَرَفُوهُ

بِالصِّفَـةِ، فَيَقْتُلُونَـهُ، فَالتَفَـتَ، فَإِذَا بِسَبْعَـةٍ قَدْ أَقْبَلُـوا مِنَ الرُّومِ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا أَنَّ هَذَا النَّبِـيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلاَّ بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ، وَإِنَّا قَدْ أُخْبِـرْنَا خَبَرَهُ بُعِثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا، فَقَالَ: هَلْ خَلْفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّمَا أُخْبِـرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذَا، قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْراً أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِـيَهُ، هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَبَايَعُوهُ، وَأَقَامُوا مَعَهُ، قَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلاَلاً، وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الكَعْكِ وَالزَّيْتِ. أخرجه الترمذي.

ولأجل ظهور أشياء عن النبي ـ عليه السلام ـ من النور، وسائر المَخَايل الدالة على استعداده بحصول الأمر العظيم فيه، واشتهار ذلك فيما بينهم، حتى قيل: إنَّ جده عبد المطلب رأى في ليلة الميلاد أشياء، وجزم على أن له شأناً عظيماً، وخطباً جليلاً، وسمع من أهل الكتاب ما يدل على ذلك.

فمن ذلك: حديث العباس بن عبد المطلب: خَرَجْتُ إِلَى اليَمَنِ فِي إِحْدَى رِحْلَتَيِ الإِيلافِ، فَنَزَلْتُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ، فَرَآنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الدُّيُورِ، فَنَسَبَنِي، فَانْتَسَبْتُ لَهُ، فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى بَعْضِـكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا لَمْ تَكُنْ عَوْرَةً، فَفَتَحَ إِحْدَى مَنْخَرَيَّ، فَنَظَرَ، ثُمَّ نَظَرَ فِي الآخَرِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ فِي إِحْدَى يَدَيْكَ مُلْكاً، وَفِي الأُخْـرَى نُبُـوَّةً، وَإِنَّا لَنَجِدُ ذَلِكَ فِي بَنِي زُهْـرَةَ، فَكَيْفَ ذَلِـكَ؟ قُلْتُ:

لا أَدْرِي، قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ شَاعَةٍ؟ قُلْتُ: وَمَا الشَّاعَةُ؟ قَالَ: زَوْجَةٌ، قُلْتُ: أَمَّا اليَوْمَ، فَلا، قَالَ: فَإِذَا رَجَعْتَ، فَتَزَوَّجْ فِي بني زُهْرَةَ، فَرَجَعَ عَبْدُ المُطَّلِبِ، فَتَزَوَّجَ هَالَةَ بنتَ وُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ حَمْزَةَ وَصَفِيَّةَ، وَزَوَّجَ عَبْدَاللهِ ابْنَهُ آمِنَةَ بنتَ وَهْبٍ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: نَتَجَ عَبْدُ المُطَّلِبِ عَلَى ابْنِهِ، فَوَلَدَتْ لَهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَكَانَ حَمْزَةُ أَخَا رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْهُمَا ثُوَيْبَةُ مَوْلاةُ أَبِـي لَهَبٍ، وَكَانَ أَسَنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. رواه الطبراني.

وقد ذكر أبو طالب في خطبة خديجة شيئاً من ذلك ـ كما مرَّ ـ، فلذلك سُرَّت بذلك، وذكرت أسباب الاستحقاق، ولم تكتف بذلك، بل توجهت معه إلى شخص يعلم شيئاً من ذلك، ويمتاز عن سائر الأقارب بالقراءة والعلم.

والثامن: في قوله: (فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ) وهذا ظاهر على أن خديجة انطلقت مع النبي ـ عليه السلام ـ إلى ورقة بن نوفل لأجل السؤال عنه عن حال النبي ـ عليه السلام ـ.

وفي السير من حديث عمرو بن شرحبيل: أن الصِّدِّيقَ دَخَلَ على خَدِيجَةَ، وَلَيْسَ [عِنْدَهَا] رَسُولُ اللّهِ، ثُمّ ذَكَرَتْ خَدِيجَةُ لَهُ ما رآهُ، فَقَالَتْ: يَا عَتِيقُ! اذْهَبْ مَعَ مُحَمّدٍ إِلَى وَرَقَةَ، فَلَمّا دَخَلَ النَّبِـيَّ ـ عليه السلام ـ، أَخَذَ أَبُو بَكْر بِيَدِهِ. فَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَقَالَ: «وَمَنْ أَخْبَرَكَ؟» قَالَ: خَدِيجَةُ، فَانْطَلَقَا إِلَيْهِ، فَقَصّا عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِـيَّ ـ عليه السلام ـ: «إِنّي إِذَا خَلَوْت وَحْدِي، سَمِعْت نِدَاءً خَلْفِي:

يَا مُحَمّدُ، يَا مُحَمّدُ! فَأَنْطَلِقُ هَارِباً فِي الأَرْضِ»، فَقَالَ لَهُ: لاَ تَفْعَلْ، إِذَا أَتَاك، فَاثْبُتْ حَتّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ لَك، ثُمّ ائْتِنِي، فَأَخْبِرنِي، فَلَمّا خَلاَ، نَادَاهُ: يَا مُحَمّدُ! قُلْ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، حَتّى بَلَغَ ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ، فَأَتَى وَرَقَةَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: أَبْشِرْ ثُمّ أَبْشِرْ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنّك الّذِي بَشّرَ بِهِ ابْنُ مَرْيَمَ، وَأَنّك عَلَى مِثْلِ نَامُوسِ مُوسَى، وَأَنّك نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَأَنّك سَتُؤْمَرُ بِالجِهَادِ بَعْدَ يَوْمِك هَذَا، وَلَئِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ، لأُجَاهِدَنّ مَعَك.

وفي «سيرة سليمان بن طرخان التيمي»: إن خديجة ركبت إلى بَحيرا بالشام، فسألت عن جبريل، فقال لها: قُدُّوس، يا سيدة قريش! أنَّى لك بهذا الاسم؟ فقالت: بَعْلي وابنُ عمي أخبرني أنه يأتيه، فقال: ما عَلِمَ به إلا نبيّ؛ فإنه السفيرُ بين الله وبين أنبيائه، وإن الشيطان لا يقدر أن يتمثل به، ولا أن يتسمى باسمه.

وفي كتاب «الأوائل» لأبي هلال من حديث سُويد بن سعيد: أن خديجة خرجت إلى الراهب ورقةَ، وعَدّاس.

ووجهُ الجمع بين هذه الأخبار ظاهر؛ فإن خديجة ـ رضي الله عنها ـ لكمال عقلها وشدة اعتنائها بأمر النبي ـ عليه السلام ـ خرجت إلى ورقة مرة بنفسها مع النبي ـ عليه السلام ـ، وأرسلته مع الصدِّيق مرة أخرى، وخرجت إلى بَحيرا بالشام وحدَها مرة أخرى، وذهبت بالنبي ﷺ إلى الراهب وعَدَّاس مرة أخرى، وغرضُها ـ رضي الله عنها ـ:

تحقيق ما خطر ببالها وقَدِمَ عليها من البشـارة للنبـي ـ عليه السلام ـ، وتمام التسلية له؛ فإن هذا أمر من الله تعالى، وفضل منه، لا من الشيطان، ولا يقدر هو على ذلك.

وفيه: بيان من ادَّعَى شيئاً، فعليه القيامُ على ذلك أحسنَ القيام، والسعي في إقامة البرهان.

وفيه: جواز مساندة المرأة مع زوجها في المهمات.

وفيه: الإرشاد إلى أن الواجب على الواقع في أمر أن يسأل أهل العلم والرأي عن ذلك.

والتاسع: في قوله: (وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ)؛ لأنه ورقة بن نوفل ابن أسد، وهي خديجة بنت خويلد بن أسد، فهو ابن عمها حقيقة، وإنما أكد بقوله: «أَخِي أَبِـيهَا» إزالة للوهم بأن ورقة عمُّها، وتحقيقاً بأنه ابن عمها، فإنه لما ذكر هاهنا أنه ابن عمها، ثم في مواضع أُخَرَ خاطبته بالعم، فقالت، «أَيْ عَمِّ!»، ولا شك أن أحدهما مجاز، صرح بأنه ابنُ أخي أبيها؛ أي: ابنُ عمها حقيقة، والخطاب بالعم مجاز، على طريقة العرب في الخطاب بالعم تكرُّماً.

وأما في الروايـة الأخرى: «أي ابْنَ عَمِّ!»، فهو علـى الحقيقـة ـ أيضاً ـ، وإنما قالت: «اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ» في شأن الرسول ـ عليه السلام ـ، ولم تقل: من ابن عمك؛ لأن تلاصق النسب إذا كان في الأب وأب الأب، فإنه يعبر بالعم وابن العم؛ لأنهما في مرتبة واحدة، أما إذا كان أبعد من ذلك، فإنه يعبَّر بالأخ وابن الأخ، وإنما لم تقل:

من أخيك؛ لأن المرتبـة النسبيـة بين عبدالله أبي النبـي ـ عليه السلام ـ وبين ورقة متساوية، فعبدُالله أخوه نظراً إلى الرتبة، ورسولُ الله ﷺ ابنُ أخيه؛ لأنه محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فلهذا عبَّر بابن الأخ.

وما وقع في بعض الشروح من أنها لو قالت: من أخيك، للزم المساواة، وهو ـ عليه السلام ـ أعز عليها من ورقة، ولو قالت: ابنك، للزم تفضيل ورقة عليه ـ عليه السلام ـ، فلأجل ذلك قالت: (ابْنِ أَخِيكَ) = فغير واضح؛ لاجتماع السببين اللذينِ احترز عنهما هذا القائل في هذا القول، مع أنه لا ينبغي القول بابن عمك.

والعاشر: في قوله: (وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ)؛ أي: دخل دين النصرانية بعدما لم يكن فيه، والجاهلية: ما كانت قبل بعثة رسولنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ، سميت بذلك؛ لكثرة الجهالات فيها، وإنما ذكر هذا الوصف؛ لأنه السبب لاختيار خديجة ورقةَ بنَ نوفل من بين سائر القوم؛ فإن المشاوَرَ في ذلك الشأن لا بد وأن يكون من أهل العلم والدين، وذلك مختص بالقسِّيسين والرهبان؛ لأن العلم في ذلك الزمان فيهم، وحال النبيِّ الموعود مذكورٌ في الإنجيل مع صفته، فلزم عرضُ أمر النبي ـ عليه السلام ـ وما رآه على من تديَّن بدين النصرانية، ويعلم الإنجيل، وهذا الوصف موجود في ورقة، مع زيادة أمر القرابة، فذكر أولاً القرابة؛ لأنه ـ أيضاً ـ سبب المجيء إليه، ولا عار للمرأة في

الذهاب إلى قريبها، بل فيه صلة الرحم.

ثم ذكر دينه بأنه في الجاهلية انتقل إلى الدين، وصار من أهله، وفيه: بيان كمال عقله واعتقاده، واعترافه بأنه لا بد للإنسان من معرفة الله تعالى وصفاته بقدر قوته، وأن امتياز الإنسان من البهائم بذلك، فلذلك اختار الدين، وأخرج نفسه من سلك الجاهلين الذين هم كالأنعام بل هم أضل.

ثم ذكر علمه بأنه يكتب الإنجيل بالعربية؛ إيماءً إلى أنه ليس نصرانياً مقلِّداً لا علم له بالكتاب ولا دراسة، وإنما دخل في الدين بأقوال القسيسين من غير علمه بكتابهم.

ففي هذه الصفات بيان اختصاص ورقة بعَرْض أمر النبي ـ عليه السلام ـ؛ فإنه من جملة أقارب خديجةَ والنبيِّ ـ عليه السلام ـ، وكان ذا رأي وعقل وتمييز في زمان كثرةِ جهالاتِ أبناء جنسه، وعدمِ مرشدٍ يخرجهم من تلك الظلمات إلى النور، وقد اقتضى كمال عقله قبولَ دين النصارى دون اليهود، مع أنهم في الحجاز أكثرُ من النصارى؛ لعلمه بأن المتأخر ناسخٌ للمتقدم.

وفيه ـ أيضاً ـ: بيان ميله للعلم بحال النبي الموعود في آخر الزمان، والإيمان به؛ لأن ذلك في الإنجيل أظهرُ وأشهر من التوراة، وكان مع ذلك يكتب الإنجيل، ويعلم منه الأشياء من غير تقليد، فكمالُ العقلِ والدين والعلم مع القرابة مجتمعٌ فيه، لا يوجد في غيره، فتعين التوجهُ إليه، والسؤال فيه.

وفي البخاري في أول «الصحيح»: (وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ)، وفي (كتاب التعبير) و(التفسير) فيه: (وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ)، والكل صحيح؛ لأن الإنجيل عبراني، فذكر أنه يعلم الكتابة العبرانية، ويكتب من الإنجيل الذي هو عبراني ما شاء الله أن يكتب، ولما كان خطه عربياً، وهو متمكن من الكتابة بالعربية والعبرانية، يكتب الإنجيل[1] بالخط العربي، فصح أن يقال: يكتب بالعربية والعبرانية، والأحسنُ أن يراد بالكتاب: حسن الكتاب، لا الإنجيل؛ ليكون ذكرُ الإنجيل تخصيصاً بعد التعميم، يعني: أنه كاتب يكتب ما شاء من الكتب العربية، ويكتب من الإنجيل ـ أيضاً ـ ما شاء أن يكتب.

والمراد من الكتاب: الكتابة، يعني: أنه كان عالماً للخط العربي.

فلما أتم الأوصاف الدالة على اختصاص السؤال منه، أومأ إلى ذكر سبب التوجه إليه، وعدم الطلب إلى بيت النبي ـ عليه السلام ـ؛ إذ المقصودُ عرضُ الحال عليه، وهو يحصل بالطلب إلى بيت النبي ـ عليه السلام ـ فقال: (وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ) فإزعاجه من موضعه، وطلبه إلى عند النبي ـ عليه السلام ـ قبيح، بل متعذِّرٌ، فوجب التوجُّهُ إليه.

---

(١) في الأصل: «القرآن».

وفي توجه خديجة مع النبي ـ عليه السلام ـ إلى ورقة، وابتدائها بالكلام [. . .] السفير عند التوجه في المهمات، فإن المحتاج إلى السؤال إذا كان له سفير من جملة الشخص الذي يعرض الكلام عليه، ينبغي أن يتوجه السفير مع صاحب الحاجة ويبتدئ بالكلام؛ ليكون أقوى وأحسن، ويجب على السفير أن لا يزيد في رفع الحاجة، بل الأحسن أن يقتصر على الإيماء بأن له حاجة، ولكل بيان الحاجة، كما فعلت خديجة؛ حيث قالت: «أَيْ عَمِّ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ»، وما زادت عليه؛ ليكون المقرر للأمر هو النبي ـ عليه السلام ـ بنفسه؛ لأنه أعرف بحاله وحال ما رأى.

الحادي عشر: في قوله: (هَذَا النَّامُوسُ)، وهو بالنون والسين المهملة: صاحب السر.

وقال ابن سيده: الناموس: السر.

وقال الهروي: هو صاحب سر الملك.

وقال ابن مظفر: الناموس صاحب [سر] الخير، والجاسوس ـ بالجيم، والحاء المهملة ـ: صاحب سر الشر.

وقيل: الباحث عن عثرات الناس جاسوس ـ بالجيم ـ والمستمع لحديث القوم، المبلغ إلى حالهم حاسوس ـ بالحاء ـ.

وأكثرُ أهل اللغة على أن جبريل ـ عليه السلام ـ يلقب بالناموس؛ لأن الله خصَّهُ بالغيب والوحي الذي لا يطلع عليه غيرُه، وربما قيل له: الناموس الأكبر.

وقد جاء في رواية ابن إسحاق في هذا الحديث: أن النبي ـ عليه السلام ـ لما أخبر ورقة بما رأى، قال له ورقة: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّكَ لَنَبِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَلَقَدْ جَاءَكَ النَّامُوسُ الأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ مُوسَى)، وذكر مجيء جبريل ـ عليه السلام ـ على موسى، وهي رواية «الصحيحين» ـ أيضاً ـ، وروي في غيرها: عيسى ـ عليه السلام ـ، وكلاهما صحيح.

وأما وجه تخصيص عيسى، فلقرب زمانه، وكون ورقة على دينه، ووجود بشارة النبي ـ عليه السلام ـ على لسان عيسى ـ عليه السلام ـ أكثر من وجودها على لسان غيره.

وأما وجه تخصيص موسى ـ عليه السلام ـ بالذكر، فللإيماء بأن ورقة يعرف موسى ـ عليه السلام ـ أيضاً، ويُقر بنبوته، وهو الإيمان المعتبر في ذلك الزمان، لا ما عليه النصارى من الإنكار بنبوة موسى ـ عليه السلام ـ، وكان اشتغاله بقراءة الإنجيل وكتابته، ودخوله في دين النصرانية دليلَ اتباعِه لعيسى ـ عليه السلام ـ، واعتقاده بنبوته، وذكره موسى ـ عليه السلام ـ، وأن جبريل ينزل عليه دليل اعتقاده بنبوة موسى ـ عليه السلام ـ، فيكون على الإيمان الحقيقي الجامع المفيد في ذلك الوقت، وإشعار بغاية عقله، وكمال علمه؛ حيث دخل في دين النصرانية بعلم وإتقان، لا بظن وحسبان، على ما هو اعتقاد أكثر القسيسين والرهبان؛ من كون عيسى أقنوماً من الأقانيم الثلاثة، وغير ذلك من أباطيلهم من الإنكار بنبوة موسى ـ عليه السلام ـ.

فإخبارُه بنزول جبريل ـ عليه السلام ـ على موسى ـ عليه السلام ـ

فيه: بيان كمال علمه بالدين، وغاية رسوخه في مسالك اليقين، ففي هذه الرواية فائدة ليست في رواية غير «الصحيحين».

وما ذكره السُّهيلي من أنه إنما ترك ذكر عيسى ـ عليه السلام ـ؛ لأن اعتقاد النصارى أن جبريل ما نزل على عيسى ـ عليه السلام ـ، وإنما هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، على ما هو الاختلاف بينهم، وورقة ـ أيضاً ـ على دينهم، فغيرُ واضح، كيف ولو اعتقد ورقة اعتقادهم، للزم أن لا يقول بنزول جبريل ـ عليه السلام ـ على موسى أيضاً، كما أنهم لا يقولون به، ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾[النساء: ١٥٠]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾[البقرة: ١١٣]، بل الوجه ما ذكرنا، فتأمل.

الثاني عشر: في قوله: (يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً) الضمير راجع إلى مدة النبوة، وفي التأنيث من الإيماء إلى امتداد مدة النبوة ما ليس في التذكير، و(جَذَعاً) ـ بالجيم والذال المعجمة ـ؛ أي: شاباً قوياً، وأصل الجذع في الدواب، قال ابن سِيْدَه: الجَذَعُ: الداخلُ في السنة الثانية، ومن الإبل: فوق الحُقّ، وقيل: من الإبل: لأربع سنين، ومن الخيل والغنم: لسنة، والجمع جِذْعَانٌ وجُذْعَانٌ وجِذَاعٌ.

وقال الأزهري: والدهر يسمى: جَذَعاً، ومنه قولهم: أَهْلَكَهُمُ الأَزْلَمُ الجَذَعُ.

وفي «الأساس»: ومن المجاز: فلانٌ في هذا الأَمر جَذَعٌ: إذا أخذ فيه حديثاً.

ومعنى قوله: (يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً) تمنَّى كونه في زمان ظهور النبـوة شاباً يقـوم بنصر النبـي ـ عليه السلام ـ، ويشتغل بالجهاد معـه، والذبِّ عن الدين وكشف الكذب عن وجهه، ويؤيده: ما جاء في السيرة من قوله: (وَأَنَّكَ سَتُؤْمَرُ بِالجِهَادِ بَعْدَ يَوْمِك هَذَا، وَلَئِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ، لأُجَاهِدَنَّ مَعَكَ).

وقيل: كناية عن أول من يقوم بنصرته؛ كالجذع الذي هو أول الأسنان.

قال صاحب «المطالع»: ويحتمل أن يكون كناية عن الحياة؛ لأن الحي جديد الأعضاء، رطب البنية، وقوله: (يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّاً)؛ فإنه تفسير له، وعبر فائدة أخرى، وهي تمني حياته في وقت إخراج الكفار النبيَّ ـ عليه السلام ـ من مكة، فيكون المعنى: تمني الحياة من أول ظهور الأمر إلى ذلك الوقت بصفة القوة والقدرة على القيام بالأمر.

ثم الرواية المشهورة في «البخاري»، و«مسلم»: (يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً) بالنصب، ووجهُه على ما اختاره الخطابي، والمازري، وابن الجوزي، وغيرهم على أنه خبر (كان) المقدرة؛ أي: يا ليتني أكون فيها جذعاً.

واعتُرض بأن إضمار كان إنما يصح إذا كان في الكلام ما يدل عليـه، كما في قولهـم: إن خيراً فخيـر، علـى ما عُـرف في موضعـه، وهاهنا ليس كذلك.

وأجيب بأن النصب وكثرة الحذف في نظائره يصحح التقدير.

وهذا الاعتراض والحاجة إلى الجواب عنه إنما يكون على مذهب البصريين، وأما عند الكوفيين، فلأنهم يقدرون كان في كل موضع يكون المعنى على تقديره؛ كما قالوا في قوله تعالى: ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾[النساء: ١٧١]: إن التقدير: يكن خيراً لكم، وكذا في غيره.

وقيل: منصوب على الحال، وخبر (ليت) الظرف، والتقدير: يا ليتني أكون في تلك المدة بهذه الحالة والصفة، وهو كونه شاباً قوياً، وهذا اختيار القاضي عياض، والنووي.

وقيل: (ليت) بمعنى: تمنيت، فنصب الجزأين؛ كما قيل في قوله:

يَـا لَيْـتَ أَيَّـامَ الـصِّبَا رَوَاجِعَـا

وفي رواية الأصيلي في «البخاري»، وابن ماهان في «مسلم» (جَذَعٌ) ـ بالرفع ـ، وهو ظاهر.

الثالث عشر: في قوله: «حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ»، وفي «البخاري»: (إِذْ يُخْرِجُكَ)، وذكر بعض الشارحين: أن (إِذْ) ـ هاهنا ـ قد استعمل في المستقبل موضع إذا، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾[مريم: ٣٩]، وقوله: ﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ﴾[غافر: ١٨]، وقوله: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾[غافر: ٧١].

وعكسه من استعمال (إذا) موضع (إذ) قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[آل عمران: ١٥٦]، وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً﴾[الجمعة: ١١]،

وقوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ﴾[التوبة: ١٢٤]، وأشباهها، وفي هذا القول موضع تأمل يعرف بالمراجعة إلى القوانين، فتدبر.

والرابع عشر: في قوله: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟» الرواية الشهيرة بفتح الواو وتشديد الياء، ويجوز تخفيف الياء على وجه، والصحيح الأول، وهو جمع مُخْرِج، ويجوز في الياء المشددة الفتح والكسر، والأفصح الفتح؛ لئلا يجتمع ياءان وكسرة بعد كسرتين، وقرأ في السبعة: (بِمُصْرِخِيِّ) ـ بكسر الياء ـ حمزةُ الزيَّات.

وقال ابن مالك: الأصل: أَوَمُخْرِجوني هم؟ سقطت نون الجمع للإضافة، فاجتمعت واو وياء، وسبقت إحداهما الأخرى بالسكون، فأبدلت الواو ياء، وأُدغمت، ثم أبدلت الضمة التي كانت قبل الواو كسرة تكميلاً للتخفيف.

وقال السهيلي: لا بد من تشديد الياء للتخفيف.

وأما تقديم همزة الاستفهام على حرف العطف، والأصلُ تقديمُ حرف العطف؛ لأن حرف الاستفهام جزءٌ من الكلام الذي دخل عليه، فينبغي أن يعطف مع ما في أجزائها على الكلام السابق، وإنما قدمت ـ هاهنا ـ، فقيل: إيماء إلى أصالة الهمزة في باب الاستفهام، وهي لكونها في تلك المنزلة لا يشتبه المراد، قُدِّمت أو أُخِّرت، وللاستفهام صدرُ الكلام، وهو اختيار ابن مالك، وجماعة.

وقيل: داخل على المعطوف عليه، وحذفُ لدلالة الهمزة عليه، والتقدير: أَمُكَذِّبِيَّ هم ومُخْرِجِيَّ؟ كما قيل: في قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا

﴿عَـٰهَدُواْعَهۡدًا﴾[البقرة: ١٠٠]: إن التقدير: أكفروا بالآيات البينات، وكلما عاهدوا، وعليه صاحب «الكشاف»، وجمعٌ من المحققين.

ويدل عليه ـ أيضاً ـ: ما جاء في «سيرة ابن إسحاق»: أنَّ ورقة قال للنبي ـ عليه السلام ـ: (وليكذبنه، وليؤذينه، وليخرجنه)، فلم يقل في الأوليين شيئاً، وقال في الثالثة: (أو مخرجيَّ هم)؛ استبعاداً لإخراجهم له؛ لأنه لا سبب له، بل أسباب عدم الإخراج كثيرة موجودة؛ لأنه من أبناء أشرافهم، وأكثرهم أقارباً، وهم سكان حرم الله تعالى، والملتجئ إلى الحرم لا يخرج، بل يُعزز، ويُوَقَّر، و ـ أيضاً ـ: هو عندهم معروف بالإحسان والخير والأعمال الجميلة، وكل ذلك يقتضي الاحترام والمحبة، لا الإخراج والبغض، ولكن لما جرت العادة بكراهية النفوس غيرَ المألوف، وإن كان من أنفع الأشياء، ومحبتها المألوف، وجبلت في طباع أهل الدنيا عداوة من يظن أن منه ضرر لحاجتهم وحرمتهم، وإن لم يكن منه ذلك، بل منه ما هو السبب للعز الدائم، والشرف الكامل، وكانت عداوة ذوي القربى أشد مضاضة، وأدوم تأثيراً، قدموا على ما يجب عليهم خلافُه، وهذا في الحقيقة من فَقْدِ التوفيق، وإلقاء الأنفس ما لا يرى إلى الهلاك؛ فإن فيه جحودَ آيات الله تعالى بعد العلم بها؛ ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾[الأنعام: ٣٣].

وأما تقديم (مُخْرِجِـيَّ) علـى (هُمْ)، فقيـل: علـى لغة أكلونـي البراغيث، وقيـل: (هُمْ) مبتدأ، و(مُخْرِجِـيَّ) خبـر مقدم، ولا يجـوز

العكس؛ لأنه نكـرة، وأما على روايـة تخفيـف الياء (هُـمْ) فاعـلُ (مُخْرِجِـي)؛ كقولك: أَوَمُخْرِجِـي هـو فلانٌ؟ واسمُ الفاعـل يعمل؛ لاعتماده على حرف الاستفهام.

وذكر السهيلي أن تخفيف الياء لا يفيد؛ لأن ما بعده لو كان اسماً ظاهراً، لجاز أن يكون فاعلاً، وأما إذا كان ضميراً، فلا يجوز، وتعيَّن كونه مبتدأً، فلا بد من التشديد.

وضعفه واضح، إذ المنفصل من الضمائر جارٍ مجرى الظاهر، ومنه قوله:

أَمُنْجِـزٌ أَنْتُمُـو وَعْـداً وَثِقْـتُ بِـهِ أَمِ اقْتَفَيْتُمْ جَمِيعاً نَهْجَ عُرْقُـوبِ

وفي تقديم (مُخْرِجِيَّ) على (هُمْ) على الرواية المشهورة إنكارُ الإخراج، حيث يلي الفعل إلى اختصاصهم بكونهم المخرجين له، فتأمل.

والخامس عشر: في قوله: «إلاَّ عُودِيَ»، وكذا في أول «صحيح البخاري»، وذكر في (التفسير): (إلاَّ أُوذِيَ)، وكلاهما متقاربان.

والمعنى: أن أهل الباطل دائماً يعادون أهل الخير، ويؤذونهم.

والمراد من (اليوم): يوم ظهور الإسلام، وخروج النبي ـ عليه السلام ـ للدعوة ظاهراً.

والسابع عشر: في قوله: (أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً) الرواية بضم الميم وفتح الهمزة وتشديد الزاي المعجمة وآخرها راء مهملة؛ أي:

قوياً محكماً؛ مِنْ آزَرَهُ؛ أي: أَعانَهُ، وقوّاه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَآزَرَهُۥ﴾[الفتح: ٢٩]؛ أي: قوّاه.

وأما ما يقول العوام بالواو بدل الهمزة، فغلط؛ لأن معنى وازَرَه: صار وزيره، وهو بمعنى: الحامل، ولو كان هذا من وازَرَهُ، فينبغي أن يقول: مُوازراً ـ بالألف بعد الواو ـ، لا موزراً بدونها على ما هو الرواية؛ إذ لا أصل لموزر في الكلام.

الثامن عشر: في قوله: (قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ) كذا وقع في الأصول: (وَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ) ـ بالواو ـ، وذكر النووي أن فائدة الواو: أن معمراً سمع من الزهري أحاديثَ من جملتها هذا الحديث، والزهري قد عطف هذا الحديث على ما حدثه سابقاً، فروى معمر كما سمع احتياطاً، ومحافظة على كيفية السماع دائماً إلى أن هذا الحديث إنما سمعه من الزهري مع جملة أحاديث في مجلس واحد.

والأوجَه: أن الزهري إنما جاء بالواو إيماء إلى أن هذا الحديث قد سمعه من غير عروة ـ أيضاً ـ؛ ليكون آكد، أو أتى بها؛ لئلا يقع التناقض بين حديثيه عن عروة؛ فإن الزهري حدث عن عروة في رواية يونس: (لاَ يُخْزِيكَ)؛ من الخزي، وفي هذه الرواية يروي عنه ـ أيضاً ـ: (لاَ يُحْزِنُكَ)؛ من الحزن، فنبه على أن سماعه من عروة بالوجهين، فقال: حدثني عروة بكذا كما في رواية يونس، وحدثني ـ أيضاً ـ، ونقله معمر لما سمع؛ لعلمه باشتماله على هذه الفائدة.

فالحاصل: أن وجود الواو يفيد معنى زائداً، وهو سماع الزهري

هذا الحديث من غير عروة ـ أيضاً ـ.

ويدل على الوجه الأول: رواية البخاري؛ حيث قال بعد ذكر حديث جابر بن عبدالله: رواية عقيل عن ابن شهاب: (وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)، فهذه الواو يعطفُ ابنُ شهاب هذا الحديثَ على الذي قبله، كأنه قال: حدثني عروة بكذا، وأبو سلمة بكذا، فتدبر.

* * *

٤٢٥ ـ (١٦١/ ٢٥٥) ـ وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ الأَنْصَارِيَّ ـ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ ـ، قَالَ فِي حَدِيثِهِ: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي، سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِساً عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقاً، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٥]، وَهِيَ الأَوْثَانُ. قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ الوَحْيُ.

٤٢٦ ـ (١٦١/ ٢٥٦) ـ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ المَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ،

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «ثُمَّ فَتَرَ الوَحْيُ عَنِّي فَتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي»، ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ يُونُسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَجُثِثْتُ مِنْهُ فَرَقاً حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ». قَالَ: وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَالرُّجْزُ: الأَوْثَانُ، حَمِيَ الوَحْيُ بَعْدُ وَتَتَابَعَ.

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثِ يُونُسَ، وَقَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[المدثر: ١ ـ ٥] قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلاَةُ ـ وَهِيَ الأَوْثَانُ ـ، وَقَالَ: «فَجُثِثْتُ مِنْهُ»؛ كَمَا قَالَ عُقَيْلٌ.

٤٢٧ ـ (١٦١/ ٢٥٧) ـ وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا الوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى يَقُولُ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ: أَيُّ القُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. فَقُلْتُ: أَوِ ﴿ٱقْرَأْ﴾؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ: أَيُّ القُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. فَقُلْتُ: أَوِ ﴿ٱقْرَأْ﴾؟ قَالَ جَابِرٌ: أُحَدِّثُكُمْ مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْراً، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي، نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الوَادِي، فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرَ أَحَداً، ثُمَّ نُودِيتُ، فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَداً، ثُمَّ نُودِيتُ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا هُوَ عَلَى العَرْشِ فِي الهَوَاءِ ـ يَعْنِي: جِبْرِيلَ عَلَيْهِ

السَّلامُ ـ، فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ﴾ [المدثر: ١ ـ ٤]».

الحديث الثاني: حديثُ جابر بن عبدالله، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ الأَنْصَارِيَّ ـ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ كَانَ يُحَدِّثُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ، ـ قَالَ فِي حَدِيثِهِ: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي، سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِساً عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقاً، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٥]»، وَهِيَ الأَوْثَانُ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ الوَحْيُ.

وفي رواية عن يحيى بن أبي كثير، قال: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ: أَيُّ القُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، فَقُلْتُ: أَوِ ﴿اقْرَأْ﴾؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ: أَيُّ القُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، فَقُلْتُ: أَوِ ﴿ٱقْرَأْ﴾؟ قَالَ جَابِرٌ: أُحَدِّثُكُمْ مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْراً، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي، نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الوَادِي، فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرَ أَحَداً، ثُمَّ نُودِيتُ، فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَداً، ثُمَّ نُودِيتُ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا هُوَ عَلَى العَرْشِ فِي الهَوَاءِ ـ يَعْنِي: جِبْرِيلَ عَلَيْهِ

السَّلاَمُ ـ، فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ﴾ [المدثر: ١ ـ ٤]».

أخرجه البخاري، والترمذي.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: في قوله: (وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ) ربما اعترض بأن هذا زائد؛ لأن جابراً من الصحابة المشهورين، وهو أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية عن النبي ـ عليه السلام ـ على ما مَرَّ.

ويجاب: بأن هذا من بعض الرواة زيادة في التبيين لبعض مَنْ يخاطب به، ورواةُ هذا الحديث، وإن كانت جِلَّة كلهم، لا يشتبه عليهم حالُ جابر، ولا حاجة لهم إلى هذه الزيادة، لكن ربَّما كان سماع بعضهم كان في حال الصغر، وفي تلك الحالة كان محتاجاً إلى هذا التعريف، فعُرِّف لذلك، كذا ذكره النووي.

وأنت خبير بأن هذا لا يصلح للجواب؛ لأن السؤال عن تخصيص هذه الصفة بجابر في هذا الحديث، مع أنه من جملة المشهورين، وتركها في شخص ليست شهرتُه بمثابة شهرتِه، وهذا الاحتمال الذي ذكره في الجواب واقع في كل الأحاديث، واختصاص هذا الموضع بذلك لا بد له من نكتة.

وقيل: إنما اختص هذا الموضع بذلك؛ لأن الحديث في صحائف

الرواة مثبت في الأَوَّل، وهو أولُ حديث أُثبت فيها؛ لأنه بيان أول أمر النبي ـ عليه السلام ـ، فقيد الراوي في صحيفته ذلك أولاً؛ تعليماً وإرشاداً، وَصَفَ جابراً؛ لأنه أول صحابي ذُكر، ثم ترك الوصف في سائر المواضع، ولما كان دأب الرواة الرواية بمثل ما سمعوا، ذكر الراوي كما سمع، وإن لم يكن ذلك أول الحديث في الكتب، وهذا ـ مع بُعده، وورود النص عليه بحديث عائشة ـ أقربُ من الأول.

والأوجَهُ أن يقال: إنما ذكر هذا الوصف ـ هاهنا ـ إيماءً إلى أن هذا الحديث ليس من مراسيل جابر، وإن كان يوهم أنه منه؛ لأن فترة الوحي كانت بمكة، وجابرٌ أنصاريٌّ، وهو لم يكن حاضراً في مكة حين الفترة، فحديثُه عن بيان الفترة التي كانت بمكة يحتمل أن يكون لسماعه عن صحابي حاضرٍ في ذلك الوقت؛ كما هو الظاهر من لفظ البخاري؛ حيث قال: (قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ الأَنْصَارِيَّ قَالَ ـ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ، فَقَالَ ـ فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي. . .) الحديث.

فإن أبا سلمة يحدث عن جابر، وهو لا يصرح بسماعه من النبي ـ عليه السلام ـ، بل يحدث [عن] فترة الوحي من غير رفع إلى النبي ـ عليه السلام ـ، فالظاهر سماعه من غيره.

ومسلم ـ رحمه الله ـ لمَّا أراد أن ينبه بأن هذا مرفوع إلى النبي ـ عليه السلام ـ على الاتصال، وليس بمرسل، جاء بزيادة روايةٍ فيها زيادة أشياء على رواية البخاري.

الأول: كون جابر من الصحابة؛ للإيماء بسماعه من النبي ـ عليه السلام ـ، وإن لم يكن صحابياً حال وقوع القضية.

والثاني: (قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ)، وهو تصريح بالرفع إلى النبي ـ عليه السلام ـ عند البعض، ومسلِمٌ منهم، كما مر.

والثالث: إيراد قوله: (وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ) بعد قوله: (قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ)، فيكون (هو) راجعاً على النبي ـ عليه السلام ـ.

والرابع: تكرار القول؛ حيث قال بعد قوله: (وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ): (قَالَ فِي حَدِيثِهِ)، ففاعلُ (قَالَ) هو النبي ـ عليه السلام ـ، والضمير في (حَدِيثِهِ) راجع إليه ـ عليه السلام ـ.

فصار حاصل الكلام: أن جابراً الذي كان من الصحابة حدث عن النبي ـ عليه السلام ـ، وقال: إن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ حالَ كونِه محدثاً عن فترة الوحي، قال في حديثه: كذا وكذا، وهذا ظاهر في أن المراد من هذه العبارة إثبات الاتصال، ودفع توهم الإرسال، فتدبر.

والثاني: في قوله: (عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ)؛ أي: احتباسه بعد متابعته، وتواليه في النزول.

قال ابن سيده: فَتَرَ الشيْءُ يَفْتُر ويَفْتِرُ ـ بالضم والكسر ـ، فُتُوراً وفُتَاراً: سكنَ بعد حِدَّة؛ ولانَ بعدَ شِدَّة، ولعل الحكمةَ في ذلك: إذهاب ما حصل له من الروع، وحصول الشوق إلى عوده، وتثبيت القوة في ملاقاته.

وأما مقدار الفترة: فذكر السهيلي: أنها كانت سنتين ونصفاً، وبهذا يجمع بين قول أنس: إن النبي ـ عليه السلام ـ (أَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَأْتِيهِ الوَحْيِ)، وقول ابن عباس: (إنَّه أقامَ ثلاثَ عَشْرة، وكانَ قد ابتُدِئ بالرُّؤيا الصَّالحةِ ستةَ أشهر)، فمن عَدَّ مدةَ الفتور، وأضاف إليها الأشهر الستة، كان كما قال ابن عباس، ومن عدَّها من حين مجيء الوحي وتتابعه، كانت عشر سنين، هذا ما قاله السهيلي.

وسيجيء في الكتاب في حديث ابن عباس: (مَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّـةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَـةً يَسْمَعُ الصَّوْتَ، وَيَرَى الضَّوْءَ سَبْـعَ سِنِينَ، وَلاَ يَرَى شَيْئاً، وَثَمَانِ سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ)، ونذكر هناك وجه الجمع ـ إن شاء الله تعالى ـ.

والثالث: في قوله: (فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِساً) الظاهر أنه جبريل ـ عليه السلام ـ كما جاء مصرحاً في الرواية الأخرى، وعليه الجمهور.

وعن الشعبي: أن النبي ﷺ وكل به إسرافيل، وكان يتراءى له ثلاث، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء، ثم وكل به جبريل.

وروى ذلك أبو عمر بنُ عبد البرِّ في «استيعابه».

وأنكر الواقدي وغيرُه كونَ الموكَّل به غير جبريل.

و(جَالِساً) منصوب على الحال، وهو الرواية، وفي «البخاري»: (جَالِسٌ) ـ بالرفع ـ، وهو ظاهر.

والرابع: في قوله: (عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)، وفي

الرواية الأخرى: (فَإِذَا هُوَ عَلَى العَرْشِ فِي الهَوَاءِ).

وذكر ابن إسحاق في «السيرة» في رواية جابر: (أَنَّ النبي ـ عليه السلام ـ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَى رَفْرَفٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ).

وفي آخر «صحيح البخاري»: (أن النبي ـ عليه السلام ـ حين فتر الوحي [كان] يأتي شواهق الجبال [يهمُّ] بأن يلقي نفسه فيها، وكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض، فيقول له: يا محمد! أنت رسولُ الله).

والجمع بين هذه الروايات ظاهر؛ فإن جبريل كان يتراءى له على رؤوس الجبال تارة، وتارة على الهواء، وتارة على شيء في الهواء؛ مثل: العرش، أو الكرسي، أو الرفرف، ويحتمل أن يكون المراد من العرش والكرسي والرفوف في هذا الموضع واحداً، والمعنى: أنه رأى جبريل ـ عليه السلام ـ في الهواء ناداه، وعبَّر عن كيفية رؤيته في الهواء بالجلوس على شيء من ذلك.

وفيه: بيان جواز تصوير الملائكة على صور مختلفة، وإقدار الله تعالى لهم في أي شيء شاء من صور بني آدم وغيرهم، وأن لهم صوراً في أصل خلقتهم مخصوصة بهم، على ما سيجيء في حديث رؤية النبي ـ عليه السلام ـ جبريل ـ عليه السلام ـ في صورته.

وفيه ـ أيضاً ـ: إظهار قدرة الله تعالى؛ إذ جعل الهواءَ للملائكة كالأرض، يتصرفون فيه كيف شاؤوا، كما جعل الأرض لبني آدم، وهو مُمْسِكهما بقدرته.

والخامس: في قوله: (فَجُئِثْتُ مِنْهُ) قال القاضي: هذه الكلمة في المواضع الثلاثة ضبطت على ثلاثة أوجه: بضم الجيم وكسر الهمزة وسكون المثلثة، في المواضع الثلاثة، وهي رواية العذري.

وبضم الجيم ومثلثتين، الأولى مكسورة، والثانية ساكنة فيها، وهي رواية السمرقندي.

وبالأول في الأوليين، وبالثاني في الثالثة، وهي رواية الجمهور.

وذكر النووي: أن الصواب في الرواية الأولى، وهي رواية يونس: الجيم مع الهمزة ثم المثلثة، وفي الروايتين الأخريين، وهما روايتا عقيل ومعمر: بالجيم ومثلثتين؛ فإنَّ مسلماً ـ رحمه الله ـ قال بعد ذكر رواية يونس: إن رواية عقيل مثل رواية يونس، غير أنه قال: (فَجُثِثْتُ) كما قال عقيل، فهذا تصريح من مسلم بأن رواية عقيل ومعمر متحدة في هذه، ومخالفة لرواية يونس التي هي الأولى، فالضبط في المواضع الثلاثة بطريق واحد، كما حكى القاضي عياض عن العذري والسمرقندي، أو في الأوليين بطريق، وفي الثالث على خلافه، كما نقل عن الجمهور خطأه، هذا ظاهر لا خفاء فيه.

هذا كلامه، وهو مبني على أن قول مسلم في رواية عقيل ومعمر لأجل بيان هذه الكلمة؛ حتى يفهم منه اتفاقهما، ومخالفة يونس لهما.

وأنت بعد التأمل في سَوْق كلام مسلم، يلوح لك أن مراده من إيراد رواية عقيل: زيادة قوله: (حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ)، وقوله:

(فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقاً)، إنما ذكره لأجل تعلق (حَتَّى) به، واتصاله هو لا يدل على المخالفة بين الروايتين في هذه الكلمة، بل يدل على الاقتصار على قوله: (فَجُثِثْتُ مِنْهُ فَرَقاً) كما قاله يونس، أو زيادة: (حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ) كما رواها عقيل، وكذا زيادة قوله: (حَمِيَ الوَحْيُ بَعْدُ وَتَتَابَعَ) على قوله في رواية يونس: (ثُمَّ تَتَابَعَ الوَحْيُ)، والغرض من إيراد رواية معمر: زيادة قوله: (قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلاَةُ)، فإن هذا زائد على الروايتين، ثم أومأ إلى أن الزيادة التي في رواية عقيل موجودة في رواية معمر، وهو قوله: (حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ) بعد قوله: (فَجُثِثْتُ مِنْهُ؛ كَمَا قَالَ عُقَيْلٌ). فقوله: (كَمَا قَالَ عُقَيْلٌ) إشارةٌ إلى المحذوف، وهو قوله: (حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ)، لا إلى هذه الكلمة، فعلم أن مسلماً ما نص على ضبط هذه الكلمة في المواضع الثلاثة، وليس في كلامه دلالة على اتفاق الروايتين الآخرتين، ومخالفتهما للأول، وهذا واضح عند التأمل، فعلم أن التخطئة ليست بصواب.

وذكر القرطبي: أنه يروى بالجيم والمثلثتين، وبالجيم وهمزة بدل المثلثة الأولى، وبالحاء المهملة والمثلثتين، فزاد في الطُّنبور نغمة؛ فإن رواية الحاء ما ذكرها القاضي، ولا النووي، والقرطبي ما عيَّن ـ أيضاً ـ أن هذه الروايات الثلاث تروى في كل واحد من رواية يونس وعقيل ومعمر، أو مختص ببعضها، ومعنى هذه الكلمة على التقديرين: فزعت، يقال: جُئِثَ بمعنى: فزع، وجُثِثَ ـ بالمثلثتين ـ بمعناه، وفي «البخاري» في: (التفسير) ـ أيضاً ـ كذلك، وفي أول

«صحيحه»: (فَرعبْتُ)، وقد ضبطوه بفتح الراء[1] وضم العين، وبضم الراء وكسر العين، وهما من الرعب، وهو الخوف، فمعنى جميع الروايات واحد.

والسادس: في قوله: (فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾) الظاهر من هذا الكلام: أن النداء بالمدثر لأجل اشتماله بالثياب؛ لأنه نزلت في حال كونه كذلك.

والمُدَّثِّر: لابسُ الدثار، وهو ما يلبس فوق الثوب الذي يلي الجسد وهو الشعار ثوباً آخر، ومنه قوله ـ عليه السلام ـ: «الأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ».

وقرأ عكرمة بفتح المثلثة، وقال: معناه: دُثِّرْتَ بأعباء النبوة وحملِها، كما قال في المزمّل.

وعن ابن عباس: إِنَّ الوَلِيدَ بْنَ المُغِيرَةِ صَنَعَ لِقُرَيْشٍ طَعَاماً، فَلَمَّا أَكَلُوا، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَاحِرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بساحرٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَاهِنٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بكاهنٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: شَاعِرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بشاعرٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سِحْرٌ يُؤْثَرُ، [فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنَّهُ سِحْرٌ يُؤْثَرُ]، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَحَزِنَ، وَقَنَعَ رَأْسَهُ، وَتَدَثَّرَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦

---

(١) في الأصل: «الواو».

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٧]. رواه الطبراني.

فالمعنى على هذا: إنذارهم، قم من مضجعك قيامَ عزم وتصميم، فأنذر وحذِّر قومَك من عذاب الله إن لم يؤمنوا، وذكر الإنذار دون البشارة؛ لعدم الداخل في الإيمان إذ ذاك.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ اختصَّ ربك بالتكبير، وهو الوصف بالكبرياء، وأن يقال: الله أكبر، وقد يحمل على تكبير الصلاة.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أمرٌ بتطهير الثياب من النجاسات؛ لأن من كان مطهراً لجميع أنواع الطهور ينبغي أن يكون جامعاً لجميع أنواعه، ولا يليق للواصل في تلك المرتبة أن يصاحب ما فيه قَذَرٌ ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢].

وقيل: المراد من الثياب: النفس، والجمع نظراً إلى الجملة من البدن والروح، أو إلى الآراء والدواعي، أو إلى الظاهر والباطن.

﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ في الأصل: العذاب، فعبَّر عما يؤدي إليه، وهو الشرك، أو الذنب مطلقاً، أو عبادة الأوثان، وفي رواية الكتاب مصرحاً: أن (الرجْزَ وَهِيَ الأَوْثَانُ)، فمعنى ﴿فَٱهْجُرْ﴾: اترك التوجه والالتفات إليها، بمعنى الثبات على ذلك والدوام؛ لأنه لم يزل بريئاً عن التوجه إليها، ويدل على ذلك حديثُ عروة بن الزبير، قال: (حدَّثَنِي جَارٌ لِخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ لِخَدِيجَةَ: «[أَيْ خَدِيجَةُ!] وَاللهِ! لاَ أَعْبُدُ اللاَّت أَبَداً، وَاللهِ! لاَ أَعْبُدُ العُزَّى أَبَداً» رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

وحديث أنس، مرفوعاً، مثله، رواه[1] البزار والطبراني.

وحديث معاوية، يرفعه، بمثله، رواه الطبراني.

وحديث علي بن أبي طالب، مرفوعاً: «مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ، كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا بِشَيْءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللهُ بِرِسَالَتِهِ» رواه البزار، ورجاله ثقات.

وكيف لا يكون منزَّهاً عن ذلك، وهو نبيٌّ وآدمُ بين الروح والجسد، على ما جاء [في] الأحاديث.

منها: حديث قيس، وقال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَتَى كُنْتَ نَبِـيّاً؟ قَالَ: «وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ» رواه أحمد، والطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

وحديث عبدالله بن سفيـان: عَنْ رَجُـلٍ، قَالَ: قُلْـتُ: يَا رَسُـولَ اللهِ! مَتَى جُعِلْتَ نَبِـيّاً؟ قَالَ: «وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ» رواه أحمد، والطبراني، ورجاله ثقات.

وحديث ابن عباس بمثله، رواه الطبراني.

ومَنْ كان من شأنه كذلك، فهو بريءٌ عن التوجه إلى الأوثان، والالتفات إليها، فالأمر بالهجران لها أمر إلهامٍ وتثبيت، أو أمرٌ لأمته فيه؛ لأن كبير القوم يخاطَب، ويكون المقصود أتباعه، كما قيل في

(١) في الأصل: «ليس من رواة» بدل «مثله، رواه».

قولـه تعالـى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[آل عمران: ١٩٦] الآيـة، وأمثاله؛ لأنه كان بريئاً منه.

والسابع: في قوله: (حَمِيَ الوَحْيُ بَعْدُ) بفتح الحاء وكسر الميم؛ أي: كَثُر؛ من قولهم: حَمِيَت النار والشمس: إذا كثرت حرارتهما، ومنه: حمي الوطيس، والمراد هاهنا: تتاليه وتتابعه، كما في رواية يونس؛ حيث اقتصر عليه، ولكن في هذه الرواية زيادة لطيفة، وهي تأكيد للتشبيه المتقدم، وهو قوله: (مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ)؛ فإن أول آثار النبوة لما كان مشبَّهاً بفلق الصبح، ناسبه أن تُشَبَّه كثرته وتتاليه بحَمْيه، وزيادة حرارته؛ فإن الضوء لا يكثر إلا مع قوة الحرارة. وقرن النبوة[1] به؛ إيماء إلى أنه لا يشبه الشمس من كل وجه، بل في الضياء واللمعان، وقوة النور وسطوعه، لا في أُفوله وكُسوفه؛ فإن نور النبوة ساطع دائماً، لا يلحقه نقص أبداً.

والثامن: في قوله: (أيُّ القُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ) قد وقع للقوم خلاف في أول المنزل، قيل: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وهو ظاهر مما مَرَّ من حديث عائشة.

وقيل: فاتحة الكتاب، على ما مَرَّ في رواية السيرة، وعليه جمع من المفسرين.

وقيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾؛ أخذاً بهذا الحديث.

---

(١) في الأصل: «السابع» بدل «النبوة».

وقيل في وجه الجمع: إن ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ أول منزل، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ أول بعد الفترة، وهذا ظاهر في رواية الزهري. وأما في رواية الأوزاعي، فمشكل؛ لأن السائل لمَّا سمع أن أول المنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، سأل ثانياً بأنها أول أم ﴿ٱقۡرَأۡ﴾؟ ثم بيَّن أنها أول، فعلم أن المدثر أول مطلقاً، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ بعد الفترة.

والأقرب في الجمع أن يقال: إن ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ نزل أولاً إلى قوله: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾، ثم نزلت الفاتحة بتمامها، وكلاهما قبل الفترة، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ في أول وقت زوال الفترة، وحصول تتابع الوحي.

فقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ أولُ ما نزل؛ نظراً إلى ما نزل [من] بعض الكلمات من أولها، والفاتحة أول سورة نزلت؛ لأنها نزلت بتمامها، و﴿ٱقۡرَأۡ﴾ ما نزلت بتمامها، بل نزل بعضها، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ أول القرآن نزولاً؛ إذ الاعتبار من حين تتابع الوحي، وإنما علم كونه قرآناً؛ أي: كلاماً معجزاً بعد أن تتابع الوحي، وحمي، وأمر بالتحدي، وعجز المعارض، فظهر كونه بصفة الإعجاز، فـ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ أول ما نزل، والفاتحة أول سورة نزلت، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ أول القرآن نزل، فتدبر.

* وقوله: **(فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ)** الرواية المشهورة (رَجْفَةٌ) ـ بالراء ـ، وقال القاضي عياض: ورواية السمرقندي: (وَجْفَةٌ) ـ بالواو ـ، والمعنيان متقاربان، وهو: الاضطراب؛ ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾[النازعات: ٨]، ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾[المزمل: ١٤].

والتاسع: في التعريف برواته سوى ما سلف.

(عثمان)، وهو أبو محمد عثمان بن عمرو بن فارس بن لقيط العبديُّ البصريُّ.

عن هشام بن حسان، وقُرَّة بن خالد، ويونسَ بن يزيد، وخلائق.

وعنه أحمد، وابن راهويه، وبندار، وآخرون.

وَثَّقَهُ أحمد، وابن معين، وأخرج له الستة.

توفي سنة تسع ومئتين.

وقال أبو حاتم: صدوق، وكان يحيى بن سعيد لا يرضاه.

العاشر: في الأسماء الواقعة فيه.

وهي: **(أم المؤمنين خديجة)** بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي بن كلاب، تزوجها النبي ـ عليه السلام ـ وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي أم أولاده، كانت عند عتيق بن عائذ المخزومي، فولدت له جارية، ثم تزوجها بعده أبو هالة زُرارةُ بن وقدان الأسيدي التميمي بن حبيب بن جروة، فولدت له هند بن أبي هالة، ومات أبو هالة بمكة في الجاهلية، [وهي أم أولاده ـ عليه السلام ـ] جميعاً، غير إبراهيم، فإنه لم يتزوج قبلها ولا عليها حتى ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ـ على الأصح ـ، وقيل: بخمس، وقيل: بأربع، فأقامت معه أربعاً وعشرين سنة وأشهراً، ثم توفيت، وكانت وفاتها بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام، وأمُّ خديجةَ فاطمةُ بنت زائدةَ بنِ الأصمِّ، من بني عامر بن لؤي.

وخديجةُ أول من آمنت من النساء بالاتفاق، بل أول من آمن

مطلقاً، على قول، وفي «الصحيح» على ما سيجيء من حديث علي، مرفوعاً: «خَيْرُ نِسَائِهَا: مَرْيَمُ [بنتُ عِمْرَانَ]، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ».

وفي حديث أبي هريرة عن جبريل: أنه قال للنبي ـ عليه السلام ـ: «هَذِهِ خَدِيجَةُ [قَدْ أَتَتْكَ بِإِنَاءٍ فِيهِ إِدَامٌ، وَطَعَامٌ وَشَرَابٌ]، فَإِذَا أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلامَ مِنْ رَبِهَا، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لا صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ».

وفي كتاب «الزبير بن بكار»، عن عبد الرحمن بن زيد، قال آدم ـ عليه السلام ـ: مما فضل الله به ابني عليَّ: أن زوجته كانت عَوْناً له على تبليغ أمر الله، وأن زوجي كانت عوناً لي على المعصية.

ومناقب خديجة ـ رضي الله عنها ـ كثيرة مشهورة، مذكورة في الكتب، وسيجيء في الكتاب نُبَذٌ منها.

وللقوم في الفرق بينها، وبين عائشة، وفاطمة الزهراء ـ أيضاً ـ مقال مذكور في موضعه.

وأما (وَرَقَة)، فهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن كلاب، وأمه هند بنتُ أبي كثير بن عدي بن قصي، ولا عَقِبَ له.

وفي «مستدرك الحاكم» من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن النبي ـ عليه السلام ـ قال: «لاَ تَسُبُّوا وَرَقَة؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّة أَوْ جَنَّتَيْنِ»، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ورواه

البزار ـ أيضاً ـ، ورجاله ثقات.

وعن أسماءَ بنتِ أبي بكر: أَنّ النَّبِيَّ ـ عليه السلام ـ سُئِلَ عَنْ وَرَقَةَ بن نَوْفَلٍ، فَقَالَ: «يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ» رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

وعن جابر، قال: سألنا رسولَ الله ﷺ عن زيد بن عمرو بن نُفَيل، فقلنا: يا رسول الله! إنه كان يستقبل القبلة، ويقول: ديني دين إبراهيم، وإلهي إلهُ إبراهيم، وكان يصلي ويسجد؟ قال: «ذاك أمة وحده، يُحشر بيني وبين يَدَيْ عيسى بنِ مريم». وسألناه عن ورقة بن نوفل، وقيل: يا رسول الله! إنه كان يستقبل القبلة، ويقول: إلهي إلهُ زيد، وديني دينُ زيد، قال: «رأيته يمشي في بُطْنانِ الجَنَّةِ عليهِ حُلَّةٌ من سُنْدُسٍ». وسئل عن خديجة، قال: «رَأَيْتُها عَلَى أشْرفِ أَنْهَار الجَنَّةِ، [فِي بَيْتٍ] مِنْ قَصَبٍ، لا تَعبَ فيهِ ولا نَصَبَ» رواه البزار، وأبو يعلى في إسناد حسن.

وفي كتاب «الزبير بن بكار» من حديث عبدالله بن معاذ، عن الزهري، عن عروة، قال: سئل النبي ـ عليه السلام ـ عن ورقة بن نوفل كما بلغنا، فقال: «لقد رأيتُه في المنامِ عليه ثيابٌ بِيضٌ، فقد أَظُنُّ أَنه لو كانَ من أهلِ النارِ، لم أَرَ عليهِ البَيَاضَ».

وفي «جامع الترمذي» عن عثمان بن عبد الرحمن، مثله.

وذكر ابن إسحاق في «السيرة»، عن أبي ميسرة، وعمرو بن

شرحبيل: «رأيتُ القسَّ - يعني: وَرَقَةَ -، وعليه ثيابُ حَرير؛ لأنه أولُ مَنْ آمن بي وصدَّقني».

وقال ابن منده: اختلف في إسلام ورقة، وظاهر الروايات تدل على إسلامه.

وقال المرزباني: كان ورقةُ من علماء قريش وشعرائهم، وكان يُدْعى: القس، وقال النبي - عليه السلام -: «رأيتُه وعليه حُلَّةٌ خضراءُ يَرْفُلُ في الجنةِ»، وكان يذكر الله تعالى في شعره في الجاهلية، ويسجد، ويذكر حال النبي - عليه الصلاة والسلام -، فمن ذلك قولُه:

يَا لَلرِّجَالِ لِصَرْفِ الدَّهْرِ وَالقَدَرِ
وَمَا لِشَيْءٍ قَضَاهُ اللهُ مِنْ غِيَرِ

حَتَّى خَدِيجَةُ تَدْعُونِي لأُخْبِرَهَا
أَمْراً أَرَاهُ سَيَأْتِي النَّاسَ مِنْ أُخُرِ

فَخَبَّرَتْنِي بِأَمْرٍ قَدْ سَمِعْتُ بِهِ
فِيمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ وَالعُصُرِ

بِأَنَّ أَحْمَدَ يَأْتِيهِ فَيُخْبِرُهُ
جِبْرِيلُ إِنَّكَ مَبْعُوثٌ إِلَى البَشَرِ

فَقُلْتُ عَلَّ الَّذِي تَرْجِينَ يُنْجِزُهُ
لَكِ الإِلَهُ فَرَجِّي الخَيْرَ وَانْتَظِرِي

وَأَرْسَلَتْهُ إِلَيْنَا كَيْ نُسَائِلَهُ
عَنْ أَمْرِهِ مَا يَرَى فِي النَّوْمِ وَالسَّهَرِ

فَقَالَ حِينَ أَتَانَا مَنْطِقاً عَجَباً
يَقِفُّ مِنْهُ أَعَالِي الجِلْدِ وَالشَّعَرِ

إِنِّي رَأَيْتُ أَمِينَ اللهِ وَاجَهَنِي
فِي صُورَةٍ أُكْمِلَتْ من أَهْيَبِ الصُّوَرِ

ثُمّ اسْتَمَرَّ فَكَانَ الخَوْفُ يَذْعَرُنِي
مِمَّا يُسَلِّمُ مِنْ حَوْلِي مِنْ الشَّجَرِ

فَقُلْتُ ظَنِّي وَمَا أَدْرِي أَيَصْدُقُنِي
أَنْ سَوْفَ تُبْعَثُ تَتْلُو مُنْزَلَ السُّوَرِ

وَسَوْفَ أُبْلِيكَ إِنْ أَعْلَنْتَ دَعْوَتَهُمْ
مِنْ الجِهَادِ بِلاَ مَنٍّ وَلاَ كَدَرِ

ذكر الحاكم القصيدة بطولها في «مستدركه».

ولورقة أشعار في معرفة الله والنصائح، فمن ذلك قوله:

لَقَدْ نَصَحْتُ لأَقْوَامٍ وَقُلْتُ لَهُمْ
أَنَا النَّذِيرُ فَلاَ يَغْرُرْكُمُ أَحَدُ

لاَ تَعْبُدُنَّ إِلَهاً غَيْرَ خَالِقِكُمْ
فَإِنْ دَعَوْكُمْ فَقُولُوا بَيْنَنَا جَدَدُ

سُــبْحَانَ ذِي العَــرْشِ سُــبْحَاناً يَـدُومُ لَــهُ

وَقَبْلَنَــــا سَـــــبَّحَ الجُـــودِيُّ وَالجَمَــــدُ

مُــسَخَّرٌ كُــلُّ مَــا تَحْــتَ الــسَّمَاءِ لَــهُ

لاَ يَنْبَغِـــي أَنْ يُنَــاوِي مُلْكَــــهُ أَحَــــدُ

لاَ شَــيْءَ مِمَّــا تَــرَى تَبْقَــى بَــشَاشَتُهُ

يَبْقَــى الإِلَــهُ وَيُــودِي المَــالُ وَالوَلَــدُ

لَــمْ تُغْــنِ عَــنْ هُرْمُــزٍ يَوْمــاً خَزَائِنُــهُ

وَالخُلْــدُ قَــدْ حَاوَلَــتْ عَــادٌ فَمَــا خَلَــدُوا

وَلاَ سُــــلَيْمَانُ إِذْ تَجْــرِي الرِّيَــاحُ بِــهِ

وَالإِنْـــسُ وَالجِـــنُّ فِيمَــا بَيْنَهَــا مَــرَدُ

أَيْــنَ المُلُــوكُ الّتِــي كَانَــتْ لِعِزَّتِهَــا

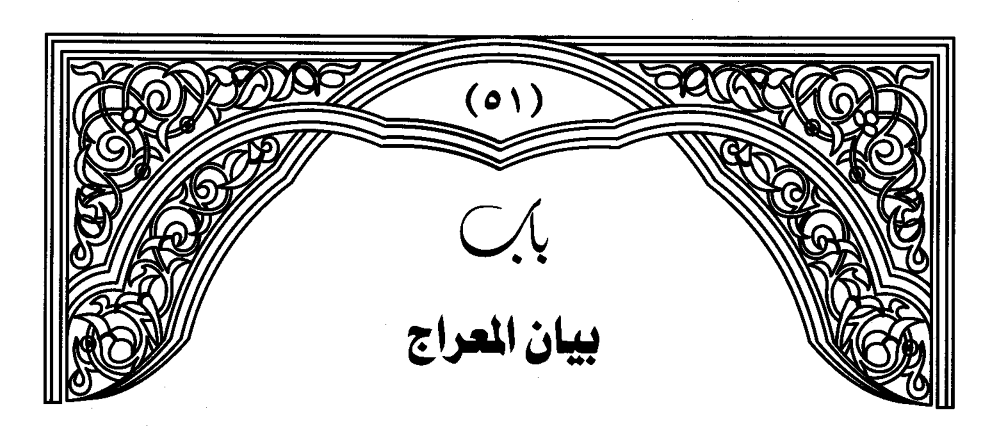
مِــنْ كُــلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَــا وَافِــدٌ يَفِــدُ

حَــوْضٌ هُنَالِــكَ مَــوْرُودٌ بِــلاَ كَــذِبٍ

لاَ بُــدَّ مِــنْ وِرْدِهِ يَوْمــاً كَمَــا وَرَدُوا

وله أشعار كثيرة غير ما ذكرنا في هذه المعاني، وفيما ذكرنا كفاية، والله ولي الإعانة.

* * *



(٥١)

باب

بيان المعراج

٤٢٩ ـ (١٦٢/ ٢٥٩) ـ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ ـ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ ـ قَالَ: ـ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ـ قَالَ: ـ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، ـ قَالَ: ـ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ ـ صَلَوَاتُ اللهِ

عَلَيْهِمَا ـ، فَرَحَّبَا، وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى البَيْتِ المَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ المُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا

كَآذَانِ الفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالقِلاَلِ، ـ قَالَ: ـ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ، تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ؛ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ! خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْساً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْساً، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ـ قَالَ: ـ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ، وَبَيْنَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ شَيْئاً، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ـ قَالَ: ـ فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ـ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ـ فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

٤٣٠ ـ (١٦٢/ ٢٦٠) ـ حَدَّثَنِي عَبْدُاللهِ بْنُ هَاشِمٍ العَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا بَهْزُ بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ المُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُتِيتُ، فَانطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ، فَشُرِحَ عَنْ صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُنْزِلْتُ».

٤٣١ ـ (١٦٢/ ٢٦١) ـ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ البُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ القَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ ـ يَعْنِي: ظِئْرَهُ ـ، فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ المِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ.

٤٣٢ ـ (١٦٢/ ٢٦٢) ـ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ ـ وَهُوَ ابْنُ بِلاَلٍ ـ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِاللهِ ابْنِ أَبِي نَمِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُنَا عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الكَعْبَةِ: أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَسَاقَ الحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ نَحْوَ حَدِيثِ ثَابِتٍ البُنَانِيِّ، وَقَدَّمَ فِيهِ شَيْئاً، وَأَخَّرَ، وَزَادَ، وَنَقَصَ.

أخرج فيه ثلاثة أحاديث:

الأول: حديثُ أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قالَ: «أُتيتُ بِالبُرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، فَوْقَ الحِمَارِ وَدُونَ البَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ - قَالَ: - فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ، - قَالَ: - فَرَبَطْتُهُ بِالحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، - قَالَ: - ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الفِطْرَةَ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ -، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَي الخَالَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا -، فَرَحَّبَا، وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ -، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي

بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[مريم: ٥٧]، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى البَيْتِ المَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ المُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالقِلاَلِ ـ قَالَ: ـ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ، تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ! خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْساً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْساً، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ،

فَارْجِعْ إِلَى رَبِـكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ـ قَالَ: ـ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِـي ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ، وَبَيْنَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ شَيْئاً، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ـ قَالَ: ـ فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِـكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ـ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ـ فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِـي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

قال الشيخ أبو أحمد: ثنا أبو العبَّاس الماسَرْجسي: ثنا شَيبان بنُ فرُّوخ، ثنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ بهذا الحديثِ.

وفي رواية عن أنس بن مالك ـ أيضاً ـ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ، فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِـهِ، فَاسْتَخْرَجَ القَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ ـ يَعْنِي: ظِئْرَهُ ـ، فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقَعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ المِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ».

وكلها من رواية ثابت البُناني، عن أنس، وهما من أفراد مسلم.

ثم أخرج مسلم رواية شَريك بن عبدالله بن أبي نَمِر، قال: حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ أَبِـي نَمِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ

يُحَدِّثُنَا عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الكَعْبَةِ: أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَسَاقَ الحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ نَحْوَ حَدِيثِ ثَابِتٍ البُنَانِيِّ، وَقَدَّمَ فِيهِ شَيْئاً وَأَخَّرَ، وَزَادَ وَنَقَصَ.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع.

الأول: في تحقيق ذلك، وجمع الروايات:

فاعلم: أن مسلماً ـ رحمه الله ـ لما ذكر بدء الوحي، وكيفية مجيء جبريل ـ عليه السلام ـ، انتقل إلى بيان المعراج؛ لأنه هو الأمر العظيم بعد الوحي، وبه ملاك الأمور، وقد فُرضت الصلاة فيه على ما هو الصحيح.

وقد اختلف القوم في معراجه ـ عليه السلام ـ: أهو بجسده، أم بروحه؟ في اليقظة، أم في النوم؟ وفي زمانه ومكانه؟

والأصح الذي تظاهرت عليه الأخبار، ونقلتها الثقات من الرواة: أن الإسراء في اليقظة، وأنه بعد البعثة، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومنه إلى السماء.

وأما ما جاء في رواية شريك عن أنس في الكتاب، وفي «البخاري» في (كتاب التوحيد)، فأنكر الثقاتُ ما فيها من ذكر كونِ المعراج قبلَ البعثة، ومن كونه في النوم.

على أن كونه قبل البعثة في هذه الرواية مصرحاً، وأما كونه في النوم، فغير واضح، بل يحتمل أن يكون أول مجيء المَلَك في حالة

نومه، ومعراجه في اليقظة؛ كما هو المفهوم من رواية مالك بن صعصعة ـ على ما سيجيء ـ.

وأما كونُ المعراج قبل البعثة على ما وقع في روايته، فيمكن الجمعُ بينها وبين الروايات المشهورة؛ لأن في هذه الرواية: (جَاءَهُ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى، فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ، وَتَنَامُ عَيْنُهُ، وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ)، وساق الحديث من حملهم إيَّاه إلى زمزم، وشَقِّهم بطنَه، وغسلِ قلبِه، وغير ذلك، ثم قال: (ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ)، وذكر حديث المعراج، فقوله: (ثُمَّ عَرَجَ بِهِ)، وإن كان ظاهره أنه في هذه الليلة، وهي قبل البعثة على ما صرح به، لكن يحتمل أن يكون حملُه، وشقُّ بطنه، وغسلُ قلبه في تلك الليلة، والمعراجُ [في] ليلة أخرى بعد البعثة، والغرض: أن رواية شريك يمكن أن تحمل على محمل يحصل به الجمع بينه وبين سائر الروايات، ويستفاد منها: أن المعراج كان في اليقظة بعد البعثة، كما يستفاد من غيرها، فالظاهر: أن شق البطن، وغسل القلب كان مرتين ـ على ما سيجيء بيانه ـ، وقد تفطن حماد بن سلمة هذا، وروى حديث الشق مفرداً، وحديث المعراج مفرداً ـ على ما مر ـ، وقد خَلَطهما شريك، فصارت روايته مخالفة لسائر الروايات.

وقال القاضي عياض: في رواية شَريك أَوْهامٌ أنكرها عليه العلماء، وقد نبّه مسلم على ذلك بقوله: (وَقَدَّمَ [فِيهِ شَيْئاً] وَأَخَّرَ، وَزَادَ وَنَقَصَ)، وتبعه النووي على ذلك، وقال: ما قاله القاضي في

رواية شريك هو الحق، وقاله ـ أيضاً ـ غيرُه.

وقال الحافظ عبد الحق في كتابه «الجمع بين الصحيحين» بعد ذكر رواية شَريك: هذه رواية قد زاد فيها شريك زيادة مجهولة، وأتى بألفاظ غيرِ مقررة، وقد روى حديثَ الإسراء جماعةٌ من الحُفَّاظ المتقِنين، والأئمة المشهورين؛ كابن شهاب، وثابتٍ البناني، وقتادة، كلُّهم عن أنس، فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث.

هذا كلامه، وأنت خبير بأن شريكاً من أهل الوثوق، وأخرج له الشيخان أحاديثَ كثيرةً غيرَ المتابعة، وهو من رجال الكتب الستة، والترمذي، وإن لم يخرج له في «جامعه»، فقد أخرج له في كتاب «الشمائل».

والوجه أن يقال: الإسراء مرتين: مرة في اليقظة بجسده بعد البعثة من المسجد الحرام، ومرة في النوم قبل البعثة من بيت أم هانىء، كما قاله بعض المحققين، وبهذا يحصل الجمعُ بين جميع الروايات والأقوال.

وكذا في رؤية الأنبياء، ومواضعهم في السماوات، وفي الروايات اختلاف في الجميع ـ على ما سيجيء ـ، والوجهُ الحملُ على التعدد.

روي: أنه ـ عليه السلام ـ أسري [به] من المسجد الحرام إلى المسجد الذي بارك الله تعالى حوله، وهو الأقصى على ما هو الظاهر من النص.

وقيل: من دار أم هانئ بنت أبي طالب، والمراد بالمسجد الحرام: الحرم كله؛ لإحاطته بالمسجد، والتباسه به، وعن ابن عباس: (الحرم كله مسجد).

وروي: أنه كان نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء، فأسري به، ورجع من ليلته، وقص القصة على أم هانئ، وقال: «مُثِّل لي النَّبيون، فصلَّيتُ بهم»، وقام ليخرج إلى المسجد، فتشبثت أم هانئ بثوبه، فقال: «ما لك؟»، قالت: أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم، قال: «وإنْ كَذَّبُوني»، فخرج، فجلس إليه أبو جهل، فأخبره رسولُ الله ﷺ بحديث الإسراء، فقال أبو جهل: يا معشر كعب بن لؤي! هلم، فحدثهم، فمن بينِ مصفِّق، وواضعٍ يده على رأسه تعجباً وإنكاراً، وارتدَّ ناس ممن كان آمن به، وسعى رجال إلى أبي بكر، فقال: إن كان قال ذلك، لقد صدق، قالوا: أتصدِّقه على ذلك؟ قال: إني لأصدّقه على أبعدَ من ذلك، فسُمِّي الصدِّيق. كذا في بعض التفاسير.

وفي الطبراني عن أم هانئ، قالت: بَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ فِي بَيْتِي، فَفَقَدْتُهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَامْتَنَعَ مِنِّي النَّوْمُ[1] مَخافَةَ أَنْ يَكُونَ عَرَضَ لَهُ بَعْضُ قُرَيْشٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَخْرَجَنِي، فَإِذَا عَلَى البَيْتِ دَابَّةٌ دُونَ البَغْلِ، وَفَوْقَ الحِمَارِ، فَحَمَلَنِي عَلَيْهَا، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى [انتَهَى بِي] إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، فَأَرَانِي

---

(١) في الأصل: «فامتنع من الليل».

إِبْرَاهِيمَ يُشْبِـهُ خَلْقُهُ خَلْقِي، وَيُشْبِـهُ خَلْقِي خَلْقَهُ، وَأَرَانِي مُوسَى آدَمَ طَوِيلاً، سَبْطَ الشَّعْرِ، شَبَّهْتُهُ بِرِجَالِ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَأَرَانِي عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَبْعَةً أَبْيَضَ، يَضْرِبُ إِلَى الحُمْرَةِ، شَبَّهْتُهُ بِعُرْوَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ، وَأَرَانِي الدَّجَّالَ مَمْسُوحَ العَيْنِ اليُمْنَى، شَبَّهْتُهُ بِقَطَنِ ابْنِ عَبْدِ العُزَّى، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ إِلَى قُرَيْشٍ، فَأُخْبِـرَهُمْ بِمَا رَأَيْتُ، فَأَخَذْتُ بِثَوْبِـهِ، فَقُلْتُ[1]: إِنِّي أُذَكِّرُكَ اللهَ أَنَّكَ تَأْتِي قَوْماً يُكَذِّبُونَكَ، وَيُنْكِرُونَ مَقَالَتَكَ، فَأَخَافُ أَنْ يَسْطُوا بِكَ، قَالَتْ أُمُّ هانِئٍ: فَضَرَبَ ثَوْبَهُ مِنْ يَدِي، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ، [فَأَتَاهُمْ] وَهُمْ جُلُوسٌ، فَأَخْبَرَهُمْ مَا أَخْبَرَنِي، فَقَامَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! لَوْ كُنْتُ شَابّاً كَمَا كُنْتُ، مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ، وَأَنْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: يَا مُحَمَّدُ! هَلْ مَرَرْتَ بِإِبِـلٍ لَنَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ وَاللهِ! وَجَدْتُهُمْ قَدْ أَضَلُّوا بَعِيراً لَهُمْ، فَهُمْ فِي طَلَبِـهِ، فَقَالَ: هَلْ مَرَرْتَ بِإِبِـلٍ لِبَنِي فُلانٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، قَدِ انْكَسَرَتْ لَهُمْ نَاقَةٌ حَمْرَاءُ، فَوَجَدْتُهُمْ وَعِنْدَهُمْ قَصْعَةٌ مِنْ مَاءٍ، فَشَرِبْتُ مَا فِيهَا، [قَالُوا: فَأَخْبِـرْنَا عِدَّتَهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ الرُّعَاةِ، قَالَ: قَدْ كُنْتُ عَنْ عِدَّتِهَا مَشْغُولاً، فَقَامَ، فَأُتِيَ بِالإِبِـلِ، فَعَدَّهَا، وَعَلِمَ مَا فِيهَا مِنَ الرُّعَاةِ، ثُمَّ أَتَى قُرَيْشاً، فَقَالَ: سَأَلْتُمُونِي عَنْ إِبِـلِ بَنِي فُلانٍ، فَهِيَ كَذَا وَكَذَا، وَفِيهَا مِنَ الرُّعَاةِ فُلانٌ وَفُلانٌ، وَسَأَلْتُمُونِي عَنْ إِبِـلِ بَنِي فُلانٍ، فَهِيَ كَذَا وَكَذَا، وَفِيهَا مِنَ الرُّعَاةِ ابْنُ أَبِـي قُحَافَةَ، وَفُلانٌ وَفُلانٌ]، وَهِيَ مُصَبِّحَتُكُمْ بِالغَدَاةِ عَلَى الثَّنِيَّةِ،

(١) في الأصل: «فأخذت أم هانئ فقالت».

قَالَ: فغَدَوْا إِلَى الثَّنِيَّةِ يَنْظُرُونَ: أَصَدَقَهُمْ مَا قَالَ؟ فاسْتَقْبَلُوا الإِبِـلَ، فَسَأَلُوا: هَلْ ضَلَّ لَكُمْ بَعِيرٌ؟ قَالُوا: نعَمْ، فَسَأَلُوا الآخَرَ: هَلِ انْكَسَرَتْ لَكُمْ نَاقَةٌ حَمْرَاءُ؟ قَالُوا: نعَمْ، قَالُوا: فَهَلْ كَانَتْ عِنْدَكُمْ قَصْعَةٌ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا ـ وَاللهِ ـ: وَضَعْتُهَا، فَمَا شَرِبَهَا أَحَدٌ، وَلا هَرَاقُوهُ فِي الأَرْضِ، وَصَدَّقَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَآمَنَ بِهِ، فَسُمِّيَ يَوْمَئِذٍ الصِّدِّيقَ.

وروى الطبراني ـ أيضاً ـ عن أبي أمامة حديث المعراج بطوله، وأنه كان بالمنام.

ورُوي عن عائشة ـ أيضاً ـ: أنه كان في المنام.

وعن معاوية: إنما عرج بروحه.

وعن الحسن: كان رؤيا رآها.

وعنه: أنه قبل البعثة بخمسة عشر شهراً.

وقال الحربيُّ: كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة.

وقال الزهري: كان بعد البعثة بخمس سنين.

وقال ابن إسحاق: أسري به، وقد فشا الإسلام بمكةَ والقبائلِ.

وفي بعض الروايات: كان آدمُ في سماء الدنيا، ويحيى وعيسى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، وهو أشهر الروايات.

وفي بعضها: في سماء الدنيا آدم، وفي السادسة إبراهيم، وباقي الأنبياء في السماوات، ولكن ما ضبط الراوي مراتبهم.

وفي «البخاري» في رواية شريك: أن آدم في الأولى، وإدريس في الثانية، ويحيى وعيسى في الثالثة، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة ـ لم أحفظ اسمه ـ، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى، فقال موسى: أي ربِّ! لم أظن أن ترفع عليَّ أحداً».

وفي «النسائي» من رواية يزيد بن أبي مُلَيْكة، عن أنس: «ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِـعَةِ، فَإِذَا فِيهَا هَارُونُ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ، فَإِذَا فِيهَا إِدْرِيسُ».

وفي الرواية المشهورة: أن النبي ـ عليه السلام ـ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ».

وفي رواية شريك: «فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ، فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهَرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟، قَالَ: هَذَا النِّيلُ وَالفُرَاتُ».

فهذا اختلاف في واضعي هذه الروايات.

والذي عليه الجمهور: أنه في اليقظة، وبعد البعثة؛ فإن أكثر الروايات متظاهرة على أنه في اليقظة، وإنكار قريش ذلك، وارتداد من ارتدَّ يدل على ذلك ـ أيضاً ـ؛ إذ لا بُعدَ في رؤية العجائب مثل هذا وأعجب من هذا في المنام، ولا إنكار في ذلك.

وأما ما تمسك به القائل أنه في النوم من قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾[الإسراء: ٦٠] الآية، فقيل: إن هذه قضية أخرى، وهو دخول المسجد الحرام، وفتنة[1] الصدِّ بالحديبية، قاله عكرمة.

وقيل: المراد: قصة المعراج، والرؤيا بمعنى: الرؤية معاينة، قاله ابن عباس في جماعة من أهل التفسير، والفتنة: ارتداد من أنكر ذلك.

وأما حديث أبي أمامة ـ على ما في الطبراني ـ فبعد تقدير صحته، لا ينافي ذلك، فإنها تكون ـ أيضاً ـ على أنها رؤيا من حديث [. . .] بزيادة عليها، فوضعت هذه، ووقع المعراج مرة أخرى باليقظة على ما هو المذكور.

ثم المشهور عند الجمهور: أنه عند فُشُو الإسلام بمكة، فالصحيح: قول الزهري: إنه قبل الهجرة بخمس سنين؛ إذ لا خلاف أن خديجة صلَّت مع النبي ﷺ بعد فرض الصلاة، ولا خلاف في أنها توفيت قبل الهجرة بمدة؛ قيل: بثلاث سنين، وقيل: بخمس، وقد اجتمع العلماء على أن فرض الصلاة كان ليلة المعراج.

وقيل: أسري [به] من مكة إلى المسجد الأقصى في اليقظة، ثم منه إلى السماوات في النوم، ولهذا جُعل المسجدُ الأقصى غايةَ الإسراء، وـ أيضاً ـ: هذا خارج مخرج التمدح، والإخبار بتشريف الرسول ـ عليه السلام ـ، ولا تمدح بالأدونِ مع وجود الأرفعِ منه، فلو

---

(١) في الأصل: «والفتنة».

كان قد صعد إلى السماء بجسده، لكان يقول: أسرى بعبده إلى السماء، فهو أبلغُ في المدح من أن يقول: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[الإسراء: ١].

والصحيح الذي عليه الجمهور، وهو الذي ذكرنا من أن الجميع كان باليقظة، ولا دليل في الآية للقائل؛ فإن الله تعالى أخبر بأنه أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليريه من آياته، فالمسجدُ الحرام مبتدأ الإسراء، والمسجدُ الأقصى محلُّ رؤيته الآيات، وهو الصعود إلى السماوات، وليس في الآية ما ينافي ذلك، بل فيها وفي غيرها من الآيات ما يبين ذلك، ويصححه، والأخبار من روايات الثقات صريحة في ذلك، فلا وجه للعدول عن ظواهرها.

ثم الواقع من الاختلاف في الروايات في بعض الأشياء كما ذكرنا؛ فإمَّا من حفظ الرواة، وإمَّا أن يحمل على كونه مرتين؛ كما قلنا؛ فإن بذلك يحصل الجمع بين الروايات والمذاهب بلا تكلف، والله أعلم.

وأما إنكار الفلاسفة الإسراءَ بالجسد؛ للزومه إمكان صعود الجسم الثقيل العنصري إلى الأفلاك، وإمكان الخرق والالتئام فيها، وسكون الأنبياء الذين ماتوا في السماء بأجسادهم، ورجوعهم إلى الحياة، وتكلمهم معه، ووجود الماء في السماوات، وغير ذلك، فمبني على قواعدهم الباطلة، ولا يلتفت إليه؛ لظهور بطلانه، وقد بين ذلك في موضعه.

والثاني: في البراق: قوله: (أُتِيتُ بِالبُرَاقِ) ـ بضم الباء ـ: دابة

ركبها النبيُّ ـ عليه السلام ـ ليلة الإسراء.

وقـال الزُّبيـدي في «مختصر العين» وصاحب «التحرير»: هي مركب الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يركبونها.

وفي «جامع الترمذي»: «أُتِيَ بِالبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُلْجَماً مُسْرَجاً، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَبِـمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟! فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْهُ، قَالَ: فَارْفَضَّ عَرَقاً». قال الزهري: حديث غريب، ولا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق.

وعن شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ، مرفوعاً: «أَتَانِي جِبْرِيلُ بِدَابَّةٍ [بَيْضَاءَ] فَوْقَ الحِمَارِ وَدُونَ البَغْلِ، [فَقَالَ: ارْكَبْ]، فَاسْتَصْعَبَتْ عَلَيَّ، فَأَدَارَهَا بِأُذُنِهَا حَتَّى حَمَلَتْنِي عَلَيْهَا» رواه البزار، والطبراني.

وأما اشتقاقه، فقال ابن دريد: من البرق بسرعته. وقيل: من الريق؛ لشدة صفائه ولمعانه، وقيل: من الشاة البرقاء، وهي البيضاء التي يكون في خلال صوفها الأبيض طاقات سود، ومنه قوله ـ عليه السلام ـ في الأضحية: «أَبْرِقُوا؛ فَإِنَّ دَمَ عَفْراءَ عِنْدَ اللهِ أَفْضَلُ وأَزْكَى مِنْ دَمِ سَوْدَاوَيْنِ»؛ أي: ضحوا بالبرقاء.

ويحتمل أن يكون من الأَبْرَق، وهو المكانُ الغليظُ الذي فيه الحجارة، سميت به؛ لشدة خَلْقِها، ورصانة حيزها، وتميزها من بين سائر الدواب بركوب الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

وأن يكون من بَرِقَ بمعنى: تحير؛ لأن العقول تتحيَّر في خَلْقها.

وأن يكون من أبرق بمعنى: كشف؛ إذ بركوبها يحصل الكشفُ التامُّ للأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

والاحتمالات الثلاثة [...] أشدُّ مناسبة من الثلاث الأُول، يعرف بالتأمل.

وفي «البخاري»: «يُقَالُ لَهُ الجَارُودُ هُوَ البُرَاقُ».

* وقوله: (دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ) جاء بوصف المذكر؛ لأنه وصفٌ للبراق، ولو أتي به على لفظة الدابة، لقال: طويلة.

ومن حديث أبي هريرة على ما في البزار: أُتي بفرسٍ يَجْعَلُ كُلَّ خَطْوٍ منه أَقْصى بَصَرِهِ.

وعن ابن مسعود: «أُتِيتُ بِالبُرَاقِ، فَرَكِبْتُهُ [خَلْفَ جَبْرَائِيلَ، فَسَارَ بِنَا، فَكَانَ] إِذَا أَتَى عَلَى جَبَلٍ، ارْتَفَعَتْ رِجْلاهُ، وَإِذَا هَبَطَ، ارْتَفَعَتْ يَدَاهُ» رواه البزار، وأبو يعلى، والطبراني.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى: أنَّ جبريل أتى النبيَّ ـ عليه السلام ـ بالبراق، فحلَّه بين يديه، فإذا بلغ مكاناً واطئاً، طالت يداه، وقَصُرَت رجلاه، حتى يستوي به، وإذا بلغ مكاناً مرتفعاً، قصرت يداه، وطالت رِجْلاه، حَتَّى يستوي» رواه الطبراني.

* وقوله: (عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ)، وفي رواية أخرى: «عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ»، الطَّرْفُ ـ بسكون الراء ـ: هو العين، والمراد: بيان أنه سريع بعيدُ الخَطْو.

وفي «النسائي»: «أُتِيتُ بِدَابَّةٍ فَوْقَ الحِمَارِ وَدُونَ البَغْلِ، خَطْوُهَا عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهَا، فَرَكِبْتُ، وَمَعِي جِبْرِيلُ، فَسِرْتُ، فَقَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ، فَفَعَلْتُ، فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ، وَإِلَيْهَا المُهَاجَرُ، ثُمَّ قَالَ: انزِلْ فَصَلِّ، فَصَلَّيْتُ، فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ بِطُورِ سَيْنَاءَ حَيْثُ كَلَّمَ اللهُ ﷻ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، ثُمَّ قَالَ: انزِلْ فَصَلِّ، فَنَزَلْتُ، فَصَلَّيْتُ، فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ بِبَيْتِ لَحْمٍ حَيْثُ وُلِدَ عِيسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ»، وساق الحديث، وهذه الزيادة ليست في باقي الكتب الستة.

وعن شَدَّادِ بنِ أوسٍ، يرفعه، قال: «انطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا تَضَعُ حَافِرَهَا حَيْثُ أَدْرَكَ طَرْفُهَا، حَتَّى انتَهَيْنَا إِلَى أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ، فَقَالَ: انزِلْ، فَنَزَلْتُ، ثُمَّ قَالَ: صَلِّ، فَصَلَّيْتُ، ثُمَّ رَكِبْنَا، فَقَالَ لِي: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ قُلْتُ: «اللهُ أَعْلَمُ»، قَالَ: صَلَّيْتَ بِيَثْرِبَ، صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا تَضَعُ حَافِرَهَا حَيْثُ أَدْرَكَ طَرْفُهَا، حَتَّى بَلَغْنَا أَرْضاً بَيْضَاءَ، فَقَالَ لِي: انزِلْ، فَنَزَلْتُ، ثُمَّ قَالَ لِي: صَلِّ، فَصَلَّيْتُ، ثُمَّ رَكِبْنَا، فَقَالَ: تَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ قُلْتُ: «اللهُ أَعْلَمُ»، قَالَ: صَلَّيْتَ بِمَدْيَنَ، صَلَّيْتَ عِنْدَ شَجَرَةِ مُوسَى، ثُمَّ انْطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا تَضَعُ حَافِرَهَا، أَوْ يَقَعُ حَافِرُهَا حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهَا، ثُمَّ ارْتَفَعْنَا، فَقَالَ: انزِلْ، فَنَزَلْتُ، فَقَالَ: صَلِّ، فَصَلَّيْتُ، ثُمَّ رَكِبْنَا، فَقَالَ لِي: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ قُلْتُ: «اللهُ أَعْلَمُ»، قَالَ: صَلَّيْتَ بِبَيْتِ لَحْمٍ حَيْثُ وُلِدَ المَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ» رواه البزار، والطبراني.

والثالث: في الوصول إلى بيت المقدس:

* قوله: (حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ) روي بتشديد الدال المفتوحة، بمعنى: المُطَهَّرِ، وبتخفيفها، فإما مصدر بمعنى: بيت الطهر، أو اسم مكان بمعنى بيت مكان الطهارة، والمراد من الطهارة: خلوه من الأصنام، وإبعاده منها.

وعن الزجَّاج: لأنه يطهر فيه من الذنوب.

ويقال له ـ أيضاً ـ: إيلياء.

وأما الحَلقة التي تربط به الأنبياءُ دوابهم، فقيل: حلقة الباب، وقيل: غيرها، والضمير في (بِهِ) ـ على ما هو الرواية المشهورة في الأصول ـ راجع إلى الحلقة بمعنى: الشيء، وأما الرواية (بِهَا) [. . .].

وفي ربط البراق: الأخذ بالاحتياط في الأمور، وتعاطي الأسباب.

وفيه: أن ذلك لا يقدح في التوكل، بل يعينه؛ لأن التفويض بدون مزاولة الأسباب اتكال لا توكل.

وفي «الترمذي» من حديث بُريدة، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا انتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، قَالَ جِبْرِيلُ بِإِصْبَعِهِ، فَخَرَقَ بِهِ الحَجَرَ، وَشَدَّ بِهِ البُرَاقَ».

ومن حديث أبي هريرة على ما في «البزار»: «ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى بَيْتَ المَقْدِسِ، فَنَزَلَ، فَرَبَطَ فَرَسَهُ إِلَى صَخْرَةٍ».

وفيه، وفي «الطبراني» من حديث شَدَّادِ بنِ أَوْس: «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي

حَتَّى دَخَلْنَا المَدِينَةَ مِنْ بَابِـهَا اليَمَانِيِّ، فَأَتَى قِبْلَةَ المَسْجِدِ، فَرَبَطَ دَابَّتَهُ، وَدَخَلْنَا المَسْجِدَ مِنْ بَابٍ فِيهِ تَمِيلُ الشَّمْسُ والقَمرُ، فَصَلَّيْتُ في المَسْجِدِ حَيْثُ شَاءَ اللهُ».

والجمع بين الروايات ظاهر؛ فإن ربط البراق إلى صخرة أشار جبريل ـ عليه السلام ـ بإصبعه إليها، فانشق[ـت]، فصار موضع الشق حلقة، وهو مكان ربط الأنبياء ـ عليهم السلام ـ البراق.

الرابع: في الإناء المعروض عليه:

* **قوله: (فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ؛ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ)** في ذلك دليل على المحذوف، وهو: اخترْ أَيَّ الإناءين شئتَ، وما في معناه، كما جاء مصرحاً في باقي الروايات.

وفي حديث أبي هريرة على ما في «البزار»: «ثم أُتي بآنية ثلاثة مُغَطَّاة، فدفع إليه إناءً، فقيل له: اشْرَبْ، فيه ماء، ثم دَفَعَ إليه إناءً آخرَ فيه لبنٌ، فَشَرِبَ منه حتَّى رَوِي، ثم دُفع إليه إناءً آخرَ فيه خَمْرٌ، فقال: قد رَوِيتُ، لا أَذُوقُه، فقيل له: أَصَبْتَ، أَمَا إنَّها سَتُحَرَّمُ على أُمَّتِكَ، ولو شَرِبْتَها، لم يَتَّبِـعْكَ من أمَّتِكَ إلا قليلٌ».

وفيه، وفي «الطبراني» من حديث شَدَّاد بن أوس: «ثُمَّ أُتِيْتُ بِإِنَاءَيْنِ، أَحَدُهُمَا لَبَنٌ، وَالآخرُ عَسَلٌ، أُرْسِلَ إِلَيَّ بِهِمَا جَمِيعاً، فَعَدَلْتُ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ هَدَانِي اللهُ لَهُ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَشَرِبْتُ حَتَّى قَرَعْتُ بِهِ جَبِـينِي، وَبَيْنَ يَدَيَّ شَيْخٌ مُتَّكِىءٌ، فَقَالَ: أَخَذَ صَاحِبُكَ الفِطْرَةَ».

والاختلاف بين هذه الروايات في عدد الإناء، وفيما فيها، وفي التخيير بالعرض عليه جميعاً، أو بالترتيب، ويمكن الجمع بأن ذلك وقع مرتين ـ كما مَرَّ ـ، وهذا كما في بيت المقدس.

وفي حديث مالك بن صَعْصَعـة ـ على ما سيجـيء ـ: أن عرض الآنية في السماء السابعة: إناء لبن، وإناء خمر.

وفي «البخاري»: إناء عسل ـ أيضاً ـ، فاختار اللبن.

واختيارُه ـ عليه السلام ـ اللبنَ دليلُ اختيار الفطرة، وهي الإسلام والاستقامة؛ لأنه غذاء حالة الصغر، وقرب العهد إلى الدنيا، من غير تكليف شيء عليه، وصدور معصية منه، وفي نفسه ـ أيضاً ـ هو غذاء سهلٌ طيب عجيبُ المسلك والمخرج؛ حيث أخرجه الله تعالى بعجيب قدرته من بين فَرْثٍ ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، كما أخرج الولد من بين الأقذار شخصاً حياً مركباً من عجائب القدرة، فيكون اللبن في الرزق يناسب الولد في الخلق في كونهما من عجائب القدرة.

والفطرة في الأصل: الجِبِـلَّة، وفسر قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم: ٣٠]؛ أي: جِبِـلَّةُ الله التي جبلهم عليها؛ من الهداية لمعرفته والإقرار [به].

وقد حُمل الحديث، وهو قوله ـ عليه السلام ـ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ» على هذا ـ أيضاً ـ، وقد جاء مصرحاً في رواية أخرى: «جَبَلَ اللهُ الخَلْقَ على معرفته، فاجتالَتْهم الشَّياطين»، وفيها معنى الحداثة ـ أيضاً ـ، وفطر نابُ البعير: إذا ابتدأ خروجه.

ومنه قول الأعرابي المتحاكِم إلى ابن عباسٍ في البئر: أنا فطرتُها؛ أي: ابتدأتُ حَفْرَها.

وفيها معنى الضعف، ومنه: رأي فَطيرٌ؛ أي: ضعيف.

شك أن في اللبن توجد هذه المعاني، فإنه مناسب للجبلة.

وفيه معنى الحداثة؛ لأنه طعام حديث يطعمه طاعم حديث.

وفيه معنى الضعف ـ أيضاً ـ؛ لأن الصبي ـ في وقت كونه غذاؤه فيه ـ ضعيفٌ.

وفي الخمر أضداد هذه المعاني جميعاً، وهو أم الخبائث، فلذلك كان دليل الغواية والفساد.

وفي «البخاري»: «وإناء من عسل» بعد ذكر الإناءين، والعسل وإن كان فيه شفاء للناس، وإخراجه أيضاً عجيب يناسب بخلقة الإنسان في العجب، لكنه ليس بطعام أول له، ولأن المفسدة، وهي زوال العقل تحصل منه ـ أيضاً ـ، إذ يعمل منه بالسكر، واختيار اللبن أدل على الفطرة، ولهذا صوَّب الملك فعله، ودعا له، كما جاء في رواية أخرى: «أَصَبْتَ، أَصَابَ اللهُ بِكَ، أُمَّتُكَ عَلَى الفِطْرَةِ».

وفيه: إرشاد للأمة في الأخذ بما يليق بهم، وقد جاء مصرحاً في رواية أخرى: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ، غَوَتْ أُمَّتُكَ».

وفي حديث أبي هريرة ـ على ما مَرَّ ـ: «ولو شربْتَها، لم يتبعْكَ من أُمتك إلاَّ قليلٌ».

والخامس: في العروج إلى السماء:

* قوله: (ثُمَّ عَرَجَ بِنَا) يروى بضم العين وكسر الراء، وترك الفاعل إيماءً إلى التعيين، وهو أمر الله تعالى، أو جبريل، أو غيره، والمراد من قوله: (بِنَا): النبي، وجبريل ـ عليهما السلام ـ.

ويروى بفتح العين والراء، فيكون الفاعلُ جبريلَ، وأتى بالنون للواحد المطاع، والأصل: عُرِج بي، كما جاء مصرحاً في قوله تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[النمل: ١٦]، وهو أصح الروايتين في الكتاب، وأشهرهما[١]، وفي «البخاري»: «فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ».

ثم الظاهر من الروايات: أن ركوب البراق من مكة إلى بيت المقدس فقط، ومنه إلى السماء العروجُ مع جبريل ـ عليه السلام ـ.

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بَيْنَا أَنا قاعِدٌ، إذْ جاء جبريلُ، [فوكزَ بينَ كَتِفَيَّ، فقمتُ] إلى شَجَرَةٍ فيها كَوَكْرَيِ الطيرِ، فقعدَ في أحدِهما، وقعدتُ في الآخر، فسمَتْ وارتفعَتْ حتى سَدَّتِ الخافِقَيْن، وأنا أقلبُ طَرْفَي، ولو شئتُ أن أمسَّ السماءَ، لمسستُ، فالتفتُّ إلى جبريلَ كأنه حِلْسٌ لاطِئٌ، فعرفتُ فضلَ علمِه بالله عليَّ، وفُتِحَ بابٌ من أبوابِ السماء، ورأيتُ النورَ الأعظمَ، وإذا دونَ الحجابِ رَفْرَفَةُ الدُّرِّ والياقوت، فأوحى إليَّ ما شاء أن يُوحي» رواه البزار، والطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

---

(١) في المخطوط: «وأشهرها».

وعن عبد الرحمن [بن] قُرط: أنَّ رسولَ الله ﷺ ليلةَ أُسري به إلى المسجد الأقصى، فلما رجعَ، كان بين المقام وزمزم، وجبريلُ عن يمينه، وميكائيلُ عن يساره، فطارا به حتَّى بلغَ السَّماواتِ السَّبعَ» رواه الطبراني، وهو صريح في أن المعراج بعدَ الإسراء، وأنه من مكة، وأنه بعد ركوب البراق.

السادس: في العروج إلى السماوات، ورؤية الأنبياء فيها:

* **قوله: (فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ)** في استفتاح جبريل إيماءٌ إلى حسن الاستئذان، وإلى أن للسماوات أبواباً عليها ملائكة يحفظونها.

* **وفي قوله: (قَالَ: جِبْرِيلُ)** ولم يقل: أنا، إيماءٌ إلى ما ورد في الحديث من النهي من قول المخبر في مثل هذا: أنا؛ لخلوه عن الفائدة؛ إذ غرضُ السائل العلمُ بالمستفتِح، وإنما يحصل كمال العلم بقوله: فلان، لا بقوله: أنا، ففيه إرشاد للمستفتح أن يقول كذلك.

والمراد من قوله: (وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟): السؤال عن البعثة إليه؛ للصعود، لا للرسالة؛ لأن ذلك معلوم لهم.

وعن بعضهم: احتمالُ كون السؤال عن البعثة، قاله القاضي عياض.

ورُدَّ بأن أصل البعثة لا يخفى عليهم.

وأجيب بأنه لا يبعد؛ إذ كل منهم في شأن لا يتعداه.

والوجهُ الأول أوجَه؛ فإن في لفظة (إِلَيْهِ) بعضَ نُبُوٍّ عن الحمل

على الوجه الثاني، وفي «البخاري» في جميع المواضع: «وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟» خلا بَوَّاب السماء السابعة؛ فإنه ذكر فيه: «وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟»، وفي الكتاب ـ أيضاً ـ في بعض الروايات: «وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟».

وأما قول جبريل ـ عليه السلام ـ في الجواب: «قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ» دون أن يقول: (نعم)، كما في سائر الروايات؛ لأجل زيادة التأكيد؛ لما فيه من التكرر، على أن الأمر في رواية أمثال هذا، والألفاظ في مثل هذا الحديث مبين ـ على ما لا يخفى ـ.

وفي ترحيب الأنبياء للنبي ـ عليه السلام ـ ودعائهم: استحبابُ إظهارِ المسرَّة عند ملاقاة الأحبة، والدعاء والكلام الحسن الجميل لهم، وإن كان نوع مدح له.

وفي حديث أبي هريرة على ما في «البزار»: «إلى أن جئت من حفظة الأبواب»؛ أي: الأنبياء.

والجمع ظاهر، فإنه وقع عن الملائكة الحافظين للأبواب، ومن الأنبياء الذين كانوا في السماوات.

وأما منازلُ الأنبياء، واختصاص بعضهم ببعض السماوات، فمما يحتاج إلى معرفة التفاوت في درجاتهم، وهذا مما يُسكب على معرفته العَبَرات، وسيجيء الكلام عليه عن قريب ـ إن شاء الله ـ.

وقد استدل من إسناد إبراهيم ـ عليه السلام ـ ظهرَه إلى البيت المعمور: جوازُ الاستناد إلى الكعبة، وتحويل الظهر إليها.

* وقوله: (سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ) قيل: المراد: التحديد، وهو

الظاهر، وقيل: التكثير؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾[التوبة: ٨٠]، و- أيضاً -: عدمُ عودهم إليه، فقيل: لا يعودون مرة أخرى إليه أبداً، والمراد: بيان كثرة الملائكة، وأنهم مع دخول كل يوم منهم في البيت المعمور سبعون ألفاً، لا تصل النوبة إلى الداخلين مرة أخرى.

وقيل: لا يدخلون ذلك اليوم، والمراد: أن عبادة الملائكة فيه، ودخولهم فيه كل يوم مرة.

والأولُ أظهر، ويدل عليه: ما جاء في بعض الروايات من زيادة قوله: «فَإِذَا خَرَجُوا مِنْهُ، لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرَ ما عَلَيْهِمْ».

وإنما سمي البيت المعمور؛ لكثرة عمارته بدخول الملائكة فيه، وتعبدهم في جوفه.

السابع: في السدرة المنتهى:

* **قوله: (ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ المُنْتَهَى)** - على الوصف -، وهو المشهور من الرواية، وفي بعضها: «سِدْرَةِ المُنْتَهَى» - بالإضافة -، ولكلٍّ وجهٌ.

وفي «البخاري»: «وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ المُنْتَهَى»، والمعنيان متقاربان؛ إذ الأول يدل على ذهاب جبريل - عليه السلام - إلى السدرة، والثاني على رفع الحجاب عنها، وتمكُّنه من النظر إليها.

واختلاف الروايات حيث ذكر أن البيت المعمور في السماء السابعة، وذكر بعده أن جبريل ذهب به إلى السدرة المنتهى، وفي بعضها

بعد ذكر السدرة: «ثم رُفع لي البيتُ المعمورُ»، فقيل: من جملة سائر الاختلافات الواقعة في هذا الحديث.

وقيل: كلاهما في السماء السابعة، والتقديم والتأخير في الذكر بلفظ (ثم) لأجل التفاوت في الرواية تارة، وفي المرتبة الأخرى.

والسِّدْرَة: شجرة نَبْقٍ في السماء السابعة، عن يمين العرش، ووصفت بالمنتهى؛ لأنها في منتهى الجنة وآخرها.

وقيل: لأن عِلْم الملائكة ينتهي إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسولُ الله ﷺ، ولا يعلم أحد ما وراءها.

وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء.

وقيل: ينتهي إليها ما يهبط من فوقها، وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى.

فإن قلت: الظاهر من رواية الكتاب: أن السدرة المنتهى في السماء السابعة، أو فوقها، وقد جاء في «النسائي» من رواية يزيد ابن أبي مالك، عن أنس: «ثُمَّ صُعِدَ بِي[1] فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، فَأَتَيْنَا سِدْرَةَ المُنْتَهَى»، وهذا تصريح بأنها فوق السماوات السبع، وقد جاء في حديث ابن مسعود، وعلى ما سيجيء أنها في السماء السادسة، فما وجهه؟

قلت: الظاهر ـ والله أعلم ـ: أن أصلها في السماء السادسة،

(١) في الأصل: «صعدنا إلى».

وأغصانها وظلها في السابعة، وفوقها، على ما جاء أنها قد أظلت السماوات والجنة من هذه الروايات، لما كان المراد بيان أوراقها وثمرها، ذكر أنها في السماء السابعة وفوقها، ولما كان في حديث ابن مسعود بيان التسمية، وأن إليها ينتهي ما يعرج إليها، ذكر موضع أصلها، وهي السماء السادسة.

وقيل: حديثه موقوف عليه، وحديث أنس وغيره الذي فيه بيان أنها في السابعة أو فوقها مرفوع، وهو أولى، وهذا ضعيف؛ لأنها إنما يصار إليها إذا لم يمكن الجمع.

و ـ أيضاً ـ: أمثال هذه الأمور ليست مما يستقل العقل بإدراكها، فالظاهر أنه سماع من النبي ـ عليه السلام ـ، فالموقوف كالمرفوع.

* **وقوله: (مَا غَشِيها)** تعظيم وتكثير لما يغشاها، وإيماء إلى أنها أشياء لايكتنفها النعت، ولا يحيط بها الوصف، على ما يشير إليه بقوله: «فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا»، ومثل هذا الإبهام أوصَلُ إلى الغرض من التصريح، وفي التنزيل: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾[النجم: ١٦].

وقيل: يغشاها الجَمُّ الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها.

وروي عن النبي ـ عليه السلام ـ: «رأيتُ على كلِّ ورقةٍ من ورقها مَلَكاً قائماً يُسَبـح الله».

وعنه: «يَغْشاها رَفْرَفٌ من طيرٍ خُضْر».

وعن ابن مسعود: يَغْشاها فَراشٌ من ذَهَب.

* وقوله: (فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى) فيه تفخيم للذي أوحي إليه، وقيل: أوحي إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

وأما في فرض الصلاة خمسين صلاة كل يوم وليلة، ثم نسخت إلى خمس، استدل على جواز [النسخ] قبل التمكن من العمل، وعليه كلام لبعض المخالفين، وسيأتي.

الثامن: فرض الصلوات، وسؤال التخفيف:

* قوله: (فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى) هذا ظاهر إلى أن موسى ـ عليه السلام ـ في سماء أخرى تحت السماء التي فيها وحي ما يوحى.

وفي «البخاري» في: (المعراج): «فَرَجَعْتُ، فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى»، وفي (كتاب التوحيد): «ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى»، والمراد من الرجوع إلى الربِّ ـ تعالى وتقدس ـ الرجوع إلى موضع المناجاة، على ما جاء مصرحاً في بعض الروايات في الرجوع إلى مكان الإلحاق.

وأما اختصاص موسى ـ عليه السلام ـ بذلك القول، والأمر بطلب التخفيف لأجل الأمة، فقيل: لأن في شريعته العبادات أكثر من سائر الشرائع، وأن قومه بعد إيمانهم وخلاصهم من يد القبط، أكثرُ اقتراحاً للأمور من سائر الأمم، على ما صرح في قوله: «فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ»، ويؤيد ما جاء في «النسائي» من هذا الحديث: أن موسى ـ صلوات الله عليه ـ قال بعدما أخبره النبي ـ عليه السلام ـ باستقرار الخمس: «فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّهُ

فَرَضَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ صَلاَتَيْنِ، فَمَا قَامُوا [بِهِمَا]».

وقيل: لأن موسى ـ صلوات الله عليه ـ كان في السماء السابعة، وكان أول الأنبياء ملاقاة في المراجعة.

وهو ضعيف؛ فإن الصحيح أن موسى كان في السماء السادسة، وإبراهيم ـ عليه السلام ـ في السابعة، فالوجهُ ما ذكرنا.

وفي حديث أبي هريرة على ما في البزار: أن النبي ـ عليه السلام ـ قال: «كانَ موسى ـ عليهِ السلامُ أَشَدَّهُمْ عَلَيَّ أَوَّلاً، وَخَيْرَهُمْ لِي آخِراً».

التاسع: في الجمع بين الروايات الواقعة في هذا:

* **قوله: (قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ)** ربما يعارض على ذلك برواية شَريك؛ حيث قال: (فرجع النبي ـ عليه السلام ـ إلى الله تعالى بعد بلوغ فرض الصلاة إلى الخمس، فقال: يَا رَبِّ! إِنَّ أُمَّتِي ضُعَفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ، فَخَفِّفْ عَنَّا).

ويجاب: بأنه من جملة زيادات شريك في الرواية، والحق أن في رواية شريك: أن الرسول ـ عليه السلام ـ لما طلب التخفيف في الخامسة، قال الجبار ـ جل جلاله ـ: «يَا مُحَمَّدُ! قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: إِنَّهُ لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الكِتَابِ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَهْيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الكِتَابِ، وَهْيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ»، فقوله في الكتاب: «وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا...» إلى آخره، بيانُ ما جاء في روايـة شريك بلا خلاف في المعنـى، غير أنه ما صرَّح بالرجوع كرَّة خامسة، بل ذكر الجواب مع جواب المرة الرابعة اختصاراً.

نعم، في رواية شريك: أن النبي ـ عليه السلام ـ لمَّا أخبر موسى ـ عليه السلام ـ بفرض الصلوات الخمس، قال موسى: «قَدْ ـ وَاللهِ ـ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، فَتَرَكُوهُ، ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ أَيْضاً. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا مُوسَى! قَدْ ـ وَاللهِ ـ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ»، فجواب النبي ـ عليه السلام ـ لموسى ـ عليه السلام ـ بالاستحياء، إنما هو في أمره له بالرجوع مرة خامسة، في الرواية المشهورة، وسادسة في رواية شريك، ويؤيد رواية شريك في أن النبي ـ عليه السلام ـ راجع ربَّه بعد بلوغ الصلوات إلى الخمس: ما أخرجه النسائي من رواية يزيد بن أبي مالك، عن أنس: أن موسى ـ عليه السلام ـ لمَّا أمر النبيَّ ـ عليه السلام ـ بالرجوع بعد الخامسة، قال: فرجعتُ إلى ربي ﷻ، فسألته التخفيفَ، فقالَ: «إِنِّي يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ خَمْسِينَ صَلاَةً، فَخَمْسٌ بِخَمْسِينَ، فَقُمْ بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ، فَعَرَفْتُ أَنَّهَا مِنَ اللهِ [صِرَّى]، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمِ، فَقَالَ: ارْجِعْ، فَعَرَفْتُ أَنَّهَا مِنَ اللهِ [صِرَّى] ـ أَيْ: حَتْمٌ ـ، فَلَمْ أَرْجِعْ».

وفي هذه الرواية ـ أيضاً ـ: بيان أن النبي ـ عليه السلام ـ لم يزل يراجع ربه حتى علم أن الخمس محتوم، وأنها بمنزلة خمسين، لكل واحد عشراً، ويدل عليه سائر الروايات ـ أيضاً ـ، فهو رد على مَنْ ذهب إلى وجوب الوتر، فإنها لو كانت واجبة، لكانت الصلوات المقررة ستين؛ إذ كل واحدة بعشر، وهو ظاهر.

العاشر: في قوله: (قال الشيخ أبو أحمد): الأحسنُ أن يُكتب هذا في حاشية الكتاب، كما في بعض النسخ؛ لأنه ليس من هذا الكتاب، ولا من كلام مسلم ـ رحمه الله ـ، بل فائدة رواها عبد الغافر الفارسي، الراوي لهذا الكتاب عن شيخه الجُلُودِيّ. وأبو أحمد كنيته، والمعنى: أن الجُلُودِيّ ذكر أن هذه الرواية حدثه بها ـ أيضاً ـ أبو العباس الماسرجسي، عن سفيان بن فروخ، فيكون قد سمع هذه الرواية عن غير ابن سفيان، عن مسلم، بل رتبته فيها رتبة شيخه إبراهيم بن سفيان؛ لأن بينه وبين سفيان بن فروخ في هذه الرواية واسطة واحدة، وهو الماسرجسي، ومسلم، فالجُلُودِيّ ساوى شيخه في هذه الرواية.

الحادي عشر: في شرح حديثه:

* **قوله: (أُتِيتُ فَانْطَلَقُوا)** الشرح في الأصل: الكشف، ومنه: شرح اللحم، وشرح المشكل، ويتعدى بنفسه، وفي تعديته بـ (عن) زيادة مثل إلى معنى الكشف؛ لأنه معدًّى بـ (عن) ـ أيضاً ـ.

وفيه إيماء ـ أيضاً ـ إلى معنى الزيادة والإزالة، كأنه قال: فأزيل عن صدري بعد كشفه ورؤيته ما فيه من العلقة، ثم غسل بعد إزالة ذلك بماء زمزم، ففي إيراد (عن) إيماء إلى هذه المعاني، ولو قيل: فشرح صدري، لم يكن فيه ذلك، فتدبر.

* **وقوله: (ثُمَّ أُنْزِلْتُ)** الرواية على بناء المفعول وسكون اللام ورفع التاء، والظاهر: أنه إيماء إلى رجوعه إلى مكانه الذي كان فيه،

كأنهم أخذوه راكباً، ثم ردوه كذلك إلى مكانه، وتركوه، أو إشارة إلى رجوعه إلى مكانه بعد العروج به، والمعنى: فانطلقوا بي، وأزيل عن صدري ما كان فيه من الأمور المنافية، ثم غسل بماء زمزم، ثم عرج بي إلى السماء، ثم أنزلت، فتكون هذه الرواية مختصرة من التي تأتي بعدها من رواية أبي ذر، ويحتمل أن يكون بمعنى: تركت؛ من أنزل له عن كذا بمعنى: تركه له، ومنه قول ذي الرمة لجرير: انزل لي عن هذه الأبيات.

وأما القول بأن الرواية: (تُرِكْت)، وأن (أنزلت) تصحيف، مع اتفاق جميع نسخ الأصول على ذلك، بعيدٌ جداً.

وأما رواية البَرقاني، وهي: (أُنْزِلَتْ) ـ بفتح اللام وسكون التاء ـ (عَليَّ) ـ بتشديد الياء ـ (طَسْت مِنْ ذَهَبٍ)، فلا تصلح مصححاً لرواية الكتاب؛ لأنه يؤدي إلى القول بكثرة الحذف، وبالتغيير، وهو بعيد، وإيراد الفعل الذي يحصل منه التباس بدون ذكر المسند إليه، ليس من باب الاختصار.

ومنهم من زعم: أن رواية البرقاني: (ثُمَّ أُنْزِلْتُ) بفعل المتكلم، و(على طسْتٍ) ـ بالجر ـ؛ أي: أُدخلت في طست، والمراد: القلب، ذِكْراً للبدن، وإرادة القلب، وهو بعيد.

* وقوله: (**أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ**[1]) فيه: دليل على أن الموكَّلَ بالنبي ـ عليه السلام ـ من أول أمره، بل من أول صباه، هو

(١) في الأصل: «مع الصبيان».

جبريل ـ عليه السلام ـ، وأنه أتاه في الصغر، لكن إتيانه بالوحي إنما يكون بعد استكمال سنّه.

وفي رواية عبد ربه بن سعيد، عن البناني، عن أنس بن مالك: «أَنَّ الصَّلَوَاتِ فُرِضَتْ بِمَكَّةَ، وَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَهَبَا بِهِ إِلَى زَمْزَمَ، فَشَقَّا بَطْنَهُ، وَأَخْرَجَا حَشْوَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَغَسَلاَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ [كَبَسَا] جَوْفَهُ حِكْمَةً وَعِلْماً» أخرجهما النسائي.

وسيجيء في حديث شريك عن أنس: أنه قال: «لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الكَعْبَةِ أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ».

وفي حديث مالك بن صعصعة ـ على ما سيجيء أيضاً ـ: «بَيْنَا أَنَا فِي الحَطِيمِ ـ وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الحِجْرِ ـ بَيْنَ النَّائِمِ وَاليَقْظَانِ، إِذ أَتَانِي آتٍ، فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ»، الحديث، ففي هذه الأحاديث التصريحُ بأن شق البطن كان بمكة في المسجد الحرام.

وكذا حديث أبي ذر على ما سيجيء.

وحديث أُبي بن كعب على ما سيجيء.

وحديث أنس من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عنه صريحٌ في أن الشق كان في وقت كون النبي ـ عليه السلام ـ في بني سعد، وكان يلعب مع الصبيان، فلما أخذ يشق بطنه، جاء الغلمان إلى ظئره.

وجاء في حديث حليمة بنت الحارث: قَالَتْ: فَبَيْنَا هُوَ ـ تعني: النبيَّ عليه السلام ـ يَلْعَبُ وَأَخُوهُ ـ تعني: ابنها ـ يَوْماً خَلْفَ البُيُوتِ

[يَرْعَيَانِ بَهْماً لَنَا]، إِذْ جَاءَنَا أَخُوهُ يَشْتَدُّ، فَقَالَ لِي وَلأَبِيهِ: أَدْرِكَا أَخِي القُرَشِيَّ، قَدْ جَاءَهُ رَجُلانِ فَأَضْجَعَاهُ، فَشَقَّا بَطْنَهُ، فَخَرَجْنَا نَحْوَهُ نَشْتَدُّ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ قَائِمٌ مُنْتَقِعٌ لَوْنُهُ، فَاعْتَنَقَهُ أَبُوهُ، وَاعْتَنَقْتُهُ، ثُمَّ قُلْنَا: مَا لَكَ أَيْ بُنَيَّ؟ قَالَ: «أَتَانِي رَجُلانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، فَأَضْجَعَانِي، ثُمَّ شَقَّا بَطْنِي، فَوَاللهِ! مَا أَدْرِي مَا صَنَعَا»، قَالَتْ: فَاحْتَمَلْنَاهُ، فَرَجَعْنَا بِهِ. رواه أبو يعلى، والطبراني، ورجاله ثقات.

وحديث عتبة بن عَبْدِ السُّلمي: أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: كَيْفَ كَانَ أَوَّلُ شَأْنِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنٌ لَهَا فِي بَهْمٍ لَنَا، وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَاداً، فَقُلْتُ: يَا أَخِي! اذْهَبْ فَأْتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمِّنَا، فَانْطَلَقَ أَخِي، وَمَكَثْتُ عِنْدَ البَهْمِ، فَأَقْبَلَ طَيْرَانِ أَبْيَضَانِ كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَقْبَلاَ يَبْتَدِرَانِي، فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي إِلَى القَفَا، فَشَقَّا بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي، فَشَقَّاهُ فَأَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: ائْتِنِي بِمَاءِ ثَلْجٍ، فَغَسَلاَ بِهِ جَوْفِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِمَاءِ بَرَدٍ، فَغَسَلاَ بِهِ قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِالسَّكِينَةِ، فَذَرَّاهَا فِي قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: حِصْهُ، فَحَاصَهُ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ» رواه أحمد، والطبراني، وإسناده حسن.

وحديث أبي هريرة: أنه سأل النبيَّ ـ عليه السلام ـ عن أمره، فقال: «إني ابنُ عشرِ سنينَ وأَشْهُرٍ، وإذا بكلامٍ فوق رأسي، وإذا برجلٍ يقول لرجل: أهو هو؟ قال: نعم، فاستقبلاني بوجوهٍ لم أَرَها لِخَلْقٍ

قَطُّ، وأرواحٍ لم أجِدْها مِنْ خَلْقٍ قَطُّ، وثيابٍ لَمْ أَرَها على أحدٍ قَطُّ، فأقبلا إليَّ يمشيانِ، حتى أخذَ كلُّ واحدٍ منهما بعَضُدي، لا أجِدُ لأخذهما مَسّاً، فقال أحدُهما لصاحبه: أضجِعْه، فأضجعاني بلا قَصْرٍ ولا هَصْر، فقال أحدُهما لصاحبه: افلقْ صَدْرَه، فَهَوى أحدُهما إلى صَدْري فَفَلَقها فيما أرى بلا دَمٍ ولا وَجَع، فقال له: أخرجِ الغِلَّ والحَسَدَ، فأخرجَ شيئاً كهيئة العَلَقَة، ثم نَبَذَها فَطَرحها، فقال له: أَدْخلِ الرحْمةَ والرَّأفةَ، فإذا مثلُ الذي أخرج شبيه الفِضَّة، ثم هَزَّ إبهامَ رِجْلي اليمنى، فقال: اغدُ واسْلَم، فرجعتُ بها أَغْدُو بها رِقَّةً على الصغير، ورحمةً على الكبير» رواه عبدالله بن أحمد، ورجاله ثقات.

وفي إيراد (عَنْ) في قوله: (فَشَقَّ عَنْ قَلْبِـهِ) ـ أيضاً ـ: إيماء إلى معنى الإزالة ـ؛ على ما مَرَّ ـ؛ حيث لم يقل: فشق قلبه؛ لأن الغرض: بيان شق موضع القلب، وإخراجه، لا شق القلب، فالمعنى: فكشف اللحم، وأزاله عن قلبه بالشق، فأخرج قلبه، ولما كان القلب يطلق على اللحم الصنوبري الذي هو مكان القلب بمعنى الروح والقوة المدركة، وقد شق هو ـ أيضاً ـ، كرر الاستخراج؛ ليعلم أن جبريل ـ عليه السلام ـ شق أولاً صدره، فاستخرج القلب؛ أي: اللحم الصنوبرية، ثم شقه ـ أيضاً ـ، واستخرج منه العلقة التي [أراد] أن تستخرج منه، فأومأ إلى الأول بلفظة (عَنْ)، وإلى الثاني بتكرير الاستخراج، فتأمل، ولا يذهبْ وَهلُكَ بأن معنى قوله: «فَشَقَّ عَنْ قَلْبِـهِ» بمعنى: شق قلبه.

* وقوله: (فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً) بدل من قوله: (فَاسْتَخْرَجَ القَلْبَ) على ما سبق إلى بعض الأوهام، فإنه قول يطرح أشياء مذكورة مفيدة لا وجه في طرحها ـ على ما لا يخفى ـ.

* قوله: (ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ) الظاهر: أن هذا الكلام من شق الصدر، واستخراج القلب منه، وغسله في طست من الذهب بماء زمزم على الحقيقة؛ لأن جميع ذلك من الأمور الممكنة، وقد أخبر بها الصادق الأمين، فوجب الاعتقاد به، ولا يَستبعد ذلك أن شق الصدر وإخراجَ القلب موجبٌ للموت، فإن ذلك أمر عادي، وكان جُلُّ أحواله ﷺ خارقاً للعادة؛ إمَّا معجزة، وإمَّا كرامة.

والظاهر: أن الطست كانت من آنية الجنة؛ إذ لم ينقل أنه لأحد من أهل مكة، و ـ أيضاً ـ: المناسب لكرامة النبي ـ عليه السلام ـ أن تكون تلك من آنيتها.

وفيه ـ أيضاً ـ: بيان شرف ماء زمزم؛ حيث اختص بغسل قلب سيد المرسلين.

وأما ما جاء في بعض الروايات: (من ماء زمزم)، فبمعنى الأول؛ إذ الابتدائيةُ فيها معنى الإلصاق.

وأما كونُ الطست ممتلئة إيماناً وحكمة، فعلى المجاز، كذا ذكره النووي.

ويحتمل أن تكون الطست مملوءة من ماء زمزم، فغسل قلبه من

ذلك الماء، ثم أفرغ الباقي في جوفه، فامتلأ إيماناً وحكمة، وعلى هذا فقوله: (مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ) بلفظ (مِنْ) دون الباء، والمعنى: أن جبريل ـ عليه السلام ـ لمَّا غسل قلبه من ذلك الماء، فرغ بقية ماء الطست في جوفه، ومسح بها سائر مواضع جوفه وعروقه، لينقل الماء في جميع بدنه، فحصل بذلك الإيمان والحكمة، ولا غرو في ذلك؛ فإن ماء زمزم التي هي من معجزات إسماعيل ـ عليه السلام ـ إذا مسح به ملكٌ أمين جوفَ نبي مرسلٍ أمين، لا شك في حصول الخير والحكمة والإيمان من ذلك، وزيادة طمأنينة القلب به، وبهذا يحمل اختصاص فضل وضوء نبينا ـ عليه السلام ـ بكونه مظهرَ الغرائب، ومعدِنَ العجائب على ما وردت الأخبار الصحيحة بذلك، وكذا عرقُه ـ عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات ـ.

وقيل: الطست مملوءة من ماء الحياة، وصبت في قلبه ـ عليه السلام ـ، فامتلأ إيماناً وحكمة؛ إذ بها تحصل حياة القلوب.

وفي «صحيح البخاري» عن شريك: «فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ، حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ، حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ مَحْشُوّاً إِيمَاناً وَحِكْمَةً، فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ ـ يَعْنِي: عُرُوقَ حَلْقِهِ ـ، ثُمَّ أَطْبَقَهُ».

وأما ما يقال: إن شق الصدر، وإخراج القلب وغسله بالماء غسلات لتأييد جبريل ـ عليه السلام ـ وإمداده بالوحي، وحصول الكمالات النفسانية بسبب نزوله، فلا ضرورة إلى المصير إليه مع

إمكان الحقيقة، وورود الأخبار الصحيحة فيه.

وقول أنس ﷺ: (وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ) ـ بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الياء ـ؛ أي: الإبرة في صدره، [...] يكون ذلك على الحقيقة، ودفع بصدر من يُلْحد في صفات رسول الله ﷺ، ونِعْمَ ما قال الأصمعي حين سُئل عن معنى قوله ـ عليه السلام ـ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي» الحديث: أنه لو كان عن قول غير النبي ـ عليه السلام ـ، لقلت فيه شيئاً، ولكن لما كان عن قلبه ـ عليه السلام ـ، فالواجب تركُ الفضول، والاكتفاءُ بالخير الموصول، والإيمان بما نزل، والاحتراز عن التمحلات والجدل.

فإن قلت: رواية ثابت عن أنس تدل صريحاً على أن هذه القضية في صغر النبي ـ عليه السلام ـ؛ حيث قال: «وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ»، وكذا حديث حليمة، وعتبة، وأبي هريرة ـ على ما مَرَّ ـ، ورواية قتادة عنه، وحديث المآدب وسائر الروايات تدل على أنها في الكبر، بل بعد البعثة؛ حيث قال: «ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي»، وقوله: «ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ»، وغير ذلك، فما وجه التوفيق؟

قلت: هذا ـ أيضاً ـ من جملة ما سبق من أن الواجب الإذعان والإيمان بما ورد، والاحتراز عن الخوض بالقبول والرد.

ولكن الخائضين قال بعضهم: ذلك مرتين، ثم اختلفوا، فبعضهم ذهب إلى أن الشيء في حالة الصغر في اليقظة، والأخرى في المنام، مستدلاً بما ورد في الأولى، في رواية ثابت: (وَجَاءَ الغِلْمَانُ

[يَسْعَوْنَ] إِلَى أُمِّــهِ ـ يَعْنِي: ظِئْـرَهُ ـ، فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِـلَ. فاسْتَقبَلْوهُ، وَهُوَ مُنتَقعُ اللوْنِ)، وبما ورد في الثانية من رواية شريك: (وَهْوَ نَائِمٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ).

وقال بعضهم: ذلك مرة واحدة، وهو قوله: «ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ» لا يقتضي كونَ العروج بعد إفراغ الطست بمدة قليلة، فضلاً عن أن يدل على أنها في ذلك اليوم، أو تلك الليلة؛ لأن (ثم) للتراخي، ورواية شريك ليست بقوية عند أرباب النقل ـ على ما مَرَّ ـ، والوجه الأوسط أظهر؛ نظراً إلى ظاهر الروايات، والله تعالى عالم الستر والخفيات، وسيجيء لهذه زيادة بيان ـ إن شاء الله تعالى ـ.

* **وقوله: (يَعْنِي: ظِئْرَهُ)** ـ بكسر الظاء المعجمة وسكون الهمزة ـ: المرضعة، قيل: ثويبة ـ بضم المثلثة ـ مولاة أبي لهب، والأصحّ أنها حليمةُ بنتُ أبي ذؤيبٍ عبدِالله بنِ الحارث، السعديةُ، ويؤيده ما مَرَّ من حديثها.

* **وقوله: (مُنْتَقَعُ اللَّوْنِ)** ـ بضم الميم وسكون النون وفتح التاء المثناة الفوقانية وفتح القاف ـ؛ أي: متغير اللون، يقال: انْـتُقِعَ لونُه: إذا تغير من حزن أو فزع، وفي معناه: امْتُقِعَ ـ بالميم بدل النون ـ، فهو مُمْتَقَعٌ، وابْتُقِعَ ـ بالباء بدلها ـ، فهو مُبْتَقَع، والقاف مفتوحة في اللغات الثلاث.

الثاني عشر: في بيان ما في رواية شريك من الزيادة والنقصان:

وقد عرفت رواية ثابت البناني لهذا الحديث، وستجيء رواية

قتادة ـ أيضاً ـ، ونذكر رواية شريك؛ حتى يظهر ما فيها من التفاوت.

قال شَريك بنُ عبدالله بن أبي نمر: إنه سمع أنس بن مالك يَقُولُ: لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الكَعْبَةِ: أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاَثَةُ نفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَهْوَ نَائِمٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ، فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ: أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ. فَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ. فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ، وَتَنَامُ عَيْنُهُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلاَ تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّى احْتَمَلُوهُ، فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بِئْرِ زَمْزَمَ، فَتَوَلاَّهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ، فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ، حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ، حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ، مَحْشُوّاً إِيمَاناً وَحِكْمَةً، فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ ـ يَعْنِي: عُرُوقَ حَلْقِهِ ـ، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَضَرَبَ بَاباً مِنْ أَبْوَابِهَا، فَنَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ. قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِي مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَمَرْحَباً بِهِ وَأَهْلاً، فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ، لاَ يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللهُ بِهِ فِي الأَرْضِ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ، فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ، وَقَالَ: مَرْحَباً وَأَهْلاً بِابْنِي، نِعْمَ الابْنُ أَنْتَ، فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ، فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهَرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا النِّيلُ وَالفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا، ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ بِنَهَرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ

لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَضَرَبَ يَدَهُ، فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَتِ المَلاَئِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لَهُ الأُولَى: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: مَرْحَباً بِهِ وَأَهْلاً. ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، وَقَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتِ الأُولَى وَالثَّانِيَةُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى الرَّابِعَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ، فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، كُلُّ سَمَاءٍ فِيهَا أَنْبِيَاءُ قَدْ سَمَّاهُمْ، فَأَوْعَيْتُ مِنْهُمْ: إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ، وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ، وَآخَرَ فِي الخَامِسَةِ لَمْ أَحْفَظِ اسْمَهُ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلاَمِ اللهِ، فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ! لَمْ أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ. ثُمَّ عَلاَ بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ، حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ المُنْتَهَى، وَدَنَا الجَبَّارُ رَبُّ العِزَّةِ فَتَدَلَّى، حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى اللهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ خَمْسِينَ صَلاَةً عَلَى أُمَّتِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ مُوسَى، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مَاذَا عَهِدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: عَهِدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ، فَالتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ: أَنْ نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ، فَعَلاَ بِهِ إِلَى الجَبَّارِ، فَقَالَ وَهْوَ مَكَانَهُ: يَا رَبِّ! خَفِّفْ

عَنَّا؛ فَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ هَذَا، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى فَاحْتَبَسَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الخَمْسِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! وَاللهِ! لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلَى أَدْنَى مِنْ هَذَا، فَضَعُفُوا فَتَرَكُوهُ، فَأُمَّتُكَ أَضْعَفُ أَجْسَاداً وَقُلُوباً وَأَبْدَاناً وَأَبْصَاراً وَأَسْمَاعاً، فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ، كُلَّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيَّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ، وَلاَ يَكْرَهُ ذَلِكَ جِبْرِيلُ، فَرَفَعَهُ عِنْدَ الخَامِسَةِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ! إِنَّ أُمَّتِي ضُعَفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ، فَخَفِّفْ عَنَّا، فَقَالَ: الجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ! قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: إِنَّهُ لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الكِتَابِ ـ قَالَ ـ فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَهْيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الكِتَابِ، وَهْيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ، فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: «خَفَّفَ عَنَّا، أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا»، قَالَ مُوسَى: قَدْ وَاللهِ! رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، فَتَرَكُوهُ، ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ ـ أَيْضاً ـ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا مُوسَى! قَدْ وَاللهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ»، قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللهِ، قَالَ: وَاسْتَيْقَظَ وَهْوَ فِي مَسْجِدِ الحَرَامِ»، هذا لفظ البخاري.

وما أخرج مسلم من رواية شريك إلا قدر ما مَرَّ، ولا يخفى بُعْدُ التأويل في هذه الرواية. وروايةُ ثابت وقتادةَ ما في هذه الرواية من الزيادة؛ من جَعْلِ ذلك في المنام، ومكة، ثم مجيء النفر الثلاثة من

الليالي الثلاثة، وذكر الكوثر في السماء الدنيا، [و]مخاطبة النبي ـ عليه السلام ـ لرب العزة، ومشاورته مع جبريل، ومراجعته بعد الخمس، وما فيها من التصرف في ترك قصة شق البطن في الصغر، وترك ذكر الأنبياء في السماوات، وترك ذكر حال السدرة وأبوابها، ودخول الملائكة فيها، وفي التقديم والتأخير في ترتيب الأنبياء في السماوات، وغير ذلك، والله الموفق.

* * *

٤٣٣ ـ (١٦٣/ ٢٦٣) ـ وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، قَالَ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ: فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَفَتَحَ، ـ قَالَ: ـ فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ ـ قَالَ: ـ فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ، ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ، بَكَى، ـ قَالَ: ـ فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ، ـ قَالَ: ـ

قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ اليَمِينِ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ، ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ، بَكَى، ـ قَالَ: ـ ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، ـ قَالَ: ـ فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا: مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَفَتَحَ». فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ: آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَعِيسَى، وَمُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ ـ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ـ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ آدَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قَالَ: «فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِدْرِيسَ ـ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ـ قَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، ـ قَالَ: ـ ثُمَّ مَرَّ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ ـ قَالَ: ـ ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، ـ قَالَ: ـ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى ـ قَالَ: ـ ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، ـ قَالَ: ـ ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ ـ، قَالَ: ـ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولاَنِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ

لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ».

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَفَرَضَ اللهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً، ـ قَالَ: ـ فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ ـ قَالَ: ـ قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ لِي مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: فَرَاجِعْ رَبَّكَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، ـ قَالَ: ـ فَرَاجَعْتُ رَبِـي، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، ـ قَالَ: ـ فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، ـ قَالَ: ـ فَرَاجَعْتُ رَبِـي، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهْيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ ـ قَالَ: ـ فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِـي، ـ قَالَ: ـ ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ المُنْتَهَى، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ ـ قَالَ: ـ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِـذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ».

الحديث الثاني: حديثُ أبي ذر: أنه كان يحدث: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، قَالَ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟

قَالَ: نعَمْ، مَعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ: فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نعَمْ، فَفَتَحَ، ـ قَالَ: ـ فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ ـ قَالَ: ـ فَإِذَا نظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، ـ قَالَ: ـ فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ، ـ قَالَ: ـ قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ اليَمِينِ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، ـ قَالَ: ـ ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، ـ قَالَ: ـ فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا: مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَفَتَحَ». فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَاوَاتِ: آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَعِيسَى، وَمُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ ـ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ـ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ آدَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قَالَ: «فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِدْرِيسَ ـ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ـ قَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، ـ قَالَ: ـ ثُمَّ مَرَّ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ ـ قَالَ: ـ ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، ـ قَالَ: ـ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى ـ قَالَ: ـ ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، ـ قَالَ: ـ ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ

وَالاِبْنِ الصَّالِحِ ـ، قَالَ: ـ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولاَنِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ».

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَفَرَضَ اللهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً، ـ قَالَ: ـ فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ ـ قَالَ: ـ قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ لِي مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: فَرَاجِعْ رَبَّكَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، ـ قَالَ: ـ فَرَاجَعْتُ رَبِّي، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، ـ قَالَ: ـ فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، ـ قَالَ: ـ فَرَاجَعْتُ رَبِّي، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ ـ قَالَ: ـ فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ: قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ـ قَالَ: ـ ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ المُنْتَهَى، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ ـ قَالَ: ـ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ»، أخرجه البخاري.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: رؤية آدم ـ عليه السلام:

والأسودة ـ على وزن أزمنة ـ: جمع سواد، وفي «الأساس»: ومن

المجاز: رأيت سواداً، وأسودة، وأساوِدَ: شخوصاً، ومنه: ساوَدْتُه: سارَرْتُـه؛ لأنك في المساررة تدنـي سوادك من سواده، والسـواد ـ أيضاً ـ: الجماعة، قيل: كثَّرتُ سواد القوم بسوادي؛ أي: جماعَتَهم بشخصي، ومنه: «عَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ»، وهو جماعة المسلمين.

والمعنى: فإذا رجل عن يمينه شخوص، أو جماعة من الناس، وفسرها ـ عليه السلام ـ بأنها «نَسَمُ بَنِيهِ»؛ أي: نفوسهم.

والغرض: بيان أن النبي ـ عليه السلام ـ رأى آدم في السماء الدنيا، وعن يمينه وشماله أرواح بنيه من أهل الجنة وأهل النار.

ولا تنافي بين هذا وبين ما روي أن أرواح الكفار في سِجِّين، وهي في الأرض السابعة، وأرواح المؤمنين في الجنة، أو في الصُّور الذي يُنفخ فيه؛ لجواز أنها تعرض على آدم ـ عليه السلام ـ أوقاتاً، وليلة الإسراء من جملتها.

أو عرض تلك الليلة كرامة للنبي ـ عليه السلام ـ؛ لينظر إليهم، ويعلم حالهم.

أو أنها تكون بين يدي آدم في الجنة والنار في بعض الأوقات.

أو أن باب الجنة والنار عن يمين آدم وشماله، ويؤيده: حديث أبي هريرة: (ثُمَّ صُعِدَ به إلى السَّماء، فاسْتَفْتح جبريل، فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَنْ مَعَكَ؟ قال: مُحمَّد، قالوا: وقد أُرْسِلَ إليه؟ قال: نعم، قالوا: حَيَّاه اللهُ مِنْ أخٍ وخَليفةٍ، فنِعْمَ الأخُ، ونِعْمَ

الخَليفةُ، ونِعْمَ المجيءُ جاء، فَدَخَل، فإذا بشيخٍ جالسٍ تامِّ الخَلْقِ لم يَنْقُصْ من خَلْقِه شيئاً كما يَنْقُص من خَلْقِ البَشَرِ، عن يمينه بابٌ تَخْرجُ منه ريحٌ طيِّبةٌ، وعن شماله بابٌ تَخْرجُ منه ريحٌ خبيثةٌ، إذا نَظَرَ إلى البابِ الذي عن يمينه ضَحِكَ، وإذا نَظَرَ إلى الباب الذي عَنْ يَسَارِهِ بكى وحَزِنَ، فقالَ: يا جبريلُ! مَنْ هَذَا الشيخُ؟ وما هَذَانِ البابانِ؟» قال: هذا أبوكَ آدمُ، وهذا البابُ الذي عَنْ يمينِهِ بابُ الجَنَّةِ، إذا رَأى مَنْ يَدْخُلُه مِنْ ذرِّيَّتِه ضَحِكَ واسْتَبْشَرَ، والبابُ الذي عَنْ شِمَالِهِ بابُ النَّارِ، إذا نَظَرَ مَنْ يَدْخُلُه مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بكى وحَزِنَ» رواه البزار، وإسناده حسن.

وأما ضحكُ آدم وبكاؤه، فمن سرور الأب على حُسن حال ولده، وحزنه على سوء حاله.

الثاني: في ترحيب إدريس بالنبي ـ عليهما السلام ـ:

* **قوله في إدريس: «مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ»** ربما يعترض بأنه ينبغي أن يقول: بالابن الصالح كما قاله آدم وإبراهيم؛ لأن إدريس من آباء النبي ـ عليه السلام ـ؛ لأنه والد جد نوح ـ عليهما السلام ـ؛ فإنه نوحُ بنُ لامَك ـ بفتح الميم وكسرها ـ بن مَتُوشلخ ـ بفتح الميم وضم التاء الفوقانية ثم خاء معجمة ـ ابن خَنُوخ ـ بفتح الحاء المهملة ـ، وقيل: المعجمة وضم النون وسكون الواو ثم خاء معجمة ـ، وهو إدريس عليه السلام.

ويجاب: بأن المراد من إدريس المذكور هنا: هو إلياس النبي

ـ عليه السلام ـ، لا حنوخ المذكور ثمة، وهو اختيار ابن العربي، والسُّهيلي، وبأن المراد: هو، وإنما قال: (الأَخِ) مطلقاً؛ لأن الأنبياء إخوة والمؤمنون إخوة، قاله جمع.

ويحتمل أن يكون الدعاء والثناء من ملائكة السموات، وإدريس معهم، كما جاء في حديث أبي هريرة على ما في «البزار»: أن الثناء من ملائكة كل سماء من السموات بلفظ: «حياه الله من أخٍ وخليفةٍ، فنعمَ الأخُ، ونعم الخليفة، ونعمَ المجيءُ»، والله أعلم.

والثالث: في الصَّريف، وهو فوق السماوات السبع، وسماع صريف الأقلام، فيقال: لإتيانه صريف، وللبَكْرَة صريف.

قال الخطابي: هو صوتُ [ما] تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ، وما شاء الله أن يكتب ويرفع.

وهذه حجة للمذهب الصحيح من أن الأمور تكتب بالأقلام، ووجوب الإيمان به على ما وردت به الآيات والأخبار، وإن كان لا يعلم كيفية ذلك؛ لوجوب الإيمان بأمثاله من المتشابهات، وإن الصرف عن ظواهرها خطأ؛ لأنه مما لا حاجة إليه.

وفي ذلك بيان علو مرتبة نبينا ـ عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات ـ؛ حيث جاوز عن مراتب النبيين، وبلغ إلى محل سمع ذلك.

وقد ذكر البزار في حديث الإسراء عن علي ﷺ: «أنَّ النبيَّ ـ عليه السلام ـ كان مَعَ جبريلَ حتَّى بَلَغَ الحِجَابَ، فَخَرجَ مَلَكٌ مِنْ

وراءِ الحِجَابِ، فقالَ جبريلُ: والذي بعثكَ بالحقِّ! إنَّ هذا المَلَك ما رأيتُه منذ خُلِقْت، وإنِّي أقربُ الخَلْقِ مَكَاناً».

وفي حديث آخر: «فارقَني جبريلُ، فانقطعَتْ عَنِّي الأصواتُ».

الرابع: في قوله: (فَوَضَعَ شَطْرَهَا) قيل: المراد من الشطر: البعض، لا النصف، ثبت أنه خفف في كل رجعة خمس صلوات، وهي بعضُ خمسين، لا نصفها، وما ذكر النووي أنه لا ضرورة إلى هذا التأويل؛ لأنه حط عنه في مرات المراجعة ذلك، وهذه الرواية مختصرة من الأولى، غيرُ واضح؛ لأن شطر الموضوع لو حمل على مراتب المراجعة ـ أيضاً ـ، لا يستقيم إلا بالتأويل المذكور؛ لأن الموضوع خمس وأربعون صلاة، وهي ليست نصف خمسين، بل بعضها ـ على ما لا يخفى ـ.

وما يدل على أن المراد: بيانُ أن في كل مرة يُحط شيء من الصلاة: ما جاء في «النسائي»: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَسَأَلْتُهُ التَّخْفِيفَ» على الترتيب، وهو الحط كل مرة خمس صلوات، وبعضهم ذكروا المقصود، وهو الاستقرار على الخمس.

والخامس: في دخول الجنة:

* **قوله: (ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ)** فيه دليل على كون الجنة مخلوقة، لا أنها ستخلق، على ما ذهب إليه بعض الناس.

وقد استدل من هذا الحديث بأن الجنة في السماء، ويقتضي هذا أن تكون النار في السماء ـ أيضاً ـ، قاله قوم.

ولكن يُشكِل هذا بالأحاديث الكثيرة الصحيحة، مثل: حديث الكسوف، وغيره: أنها في الأرض، وقد جاء في حديث الإسراء عن أبي هريرة: أنَّ رسولَ الله ﷺ [أُتي بِفَرسٍ] يجعلَّ كل خَطْو منه أقصى بَصَرِهِ، فسارَ، وسارَ معه جبريلُ»، وساق الحديث إلى أن قال: «ثمَّ أتى على وادٍ، فوجد ريحاً [باردةً] طيِّبةً، ووجدَ رِيحَ المِسْكِ، وسَمِعَ صوتاً، فقال: يا جبريلُ! ما هذه الريحُ الباردةُ الطيبةُ، وريحُ المِسْكِ؟ وما هذا الصوتُ؟ قال: هذا صوتُ الجنةِ تقول: يا ربِّ! ائتني بأهلي وبما وَعَدْتَني؛ فقد كَثُر عرفي[1]، وحريري، وسُنْدُسِي، وإستبرقي، وعبقريِّ، ولؤلئي، ومُرْجَاني، وفِضَّتي، وذهبي، وأباريقي، وفواكهي، وعَسَلي، ولَبَنِي، وخَمْري، فائتني بما وعدتني، فقال: لك كل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومَنْ آمن بي وبرسلي، وعَمِلَ صالحاً، ولم يُشْرِكْ بي شيئاً، ولم يتخذ من دوني أنداداً، ومَنْ خَشِيَني آمنتُه، ومَنْ سألني أعطيته، ومن [أقرضني جزيتُه]، ومن توكَّل عليَّ كفيته، وأنا الله لا إله إلا أنا لا أُخْلِفُ الميعاد ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ - إلى - ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون: ١ - ١٤]، قالت: قد رضيت. ثم أتى على وادٍ، فسمع صوتاً منكراً، فقال: يا جبريل! ما هذا الصوتُ؟ قال: هذا صوت جهنم تقول: ائتني بأهلي وما وعدتني، فقد كَثُر سلاسلي، وأغلالي، وسَعِيري، وزَقُّومي، وحميمي، [وحجارتي، وغَسَّاقي]، وغِسْليني، وقد بَعُدَ قَعْري، واشتد حَرِّي، فائتني بما وعدتني، فقال:

---

(١) في الأصل: «غرسي».

لك كل مشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وكل خبيث وخبيثة، وكلُّ جَبَّار لا يؤمن بيوم الحساب، قالت: قد رضيت. قال: ثم سار حتى أتى بيت المقدس، فنزل، فربط فرسه إلى صخرة» وساق الحديث، أخرجه البزار، وإسناده حسن، وهذا صريح في أن الجنة والنار في الأرض حيث يريهما قبل الوصول إلى بيت المقدس.

والوجه أن يقال: إن قوله: (ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ) لا يدل تصريحه على أن الجنة في السماوات، وإنما يدل على أنه ـ عليه السلام ـ بعد سدرة المنتهى أُدخل الجنة، فلو كان دعوته بعد النزول إلى الأرض من المرور عليها، لصح أن يقول: (ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ)، فيكون سماع صوتها في المرور قبل العروج إلى السماء، والدخول فيها هي المرور بعد النزول من السماء، أو يكون من الأرض إلى السماء جنة ونار على سبيل الارتفاع، فقاعدتها وأسافلها في الأرض، وأعاليها في السماء، ويدل على ذلك: على ما جاء في حديث أبي هريرة: «وَسَقْفُه عَرْشُ الرَّحْمَنِ» الحديث.

و(جَنَابِـذُ): جمع جُنْبُذَة، وهي القُبَّة.

ووقع في «صحيح البخاري» في كتاب الأنبياء ـ أيضاً ـ كذلك، ووقع في كتاب الصلاة: «حَبائِلُ» ـ بالحاء المهملة والباء الموحدة وآخره لام ـ، وأكثر القوم على أنه تصحيف، والصحيح «جَنَابِـذُ»، وعن ابن التين: أن الغلط إنما جاء من قبل الليث عن يونس.

وقال ابن الأثير: إن صحت رواية «حَبائِلُ»، فيكون المراد بها:

المواضع المرتفعة كحبال الرمل؛ فإنه جمع حبالة، وهي جمع حَبْل على غير قياس.

وقال صاحب «المطالع»: الحَبائِلُ: القلائد والعقود، أو من حبال الرمل، أو من الحبلة، وهي حليٌّ معروف.

وقال ابن الجوزي في «كشف المشكل»: الصحيح: (جَنَابِـذُ)، وقد وقع في بعض النسخ (حَبائِلُ) ـ بالحاء المهملة، وفي بعضها بالمعجمة ـ، والكل تصحيف، والله أعلم.

* * *

٤٣٤ ـ (١٦٤/ ٢٦٤) ـ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ لَعَلَّهُ قَالَ: ـ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ ـ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ ـ قَالَ: قَالَ نَبِـيُّ اللهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ البَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَاليَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْـنِ، فَأُتِيتُ، فَانْطُلِقَ بِـي، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَـا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، فَشُرِحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا». قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِي: مَا يَعْنِي؟ قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ، «فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِـي، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِـيَ إِيمَاناً وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ يُقَالُ لَهُ: البُرَاقُ، فَوْقَ الحِمَارِ وَدُونَ البَغْلِ، يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا، حَتَّى أَتَيْنَا السَّـمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ

مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، - قَالَ: - فَفَتَحَ لَنَا، وَقَالَ: مَرْحَباً بِهِ، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ - قَالَ: - فَأَتَيْنَا عَلَى آدَمَ». وَسَاقَ الحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ. وَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ عِيسَى وَيَحْيَى - عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ -، وَفِي الثَّالِثَةِ يُوسُفَ، وَفِي الرَّابِـعَةِ إِدْرِيسَ، وَفِي الخَامِسَةِ هَارُونَ، قَالَ: «ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ -، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِـيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ، بَكَى، فَنُودِيَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَبِّ! هَذَا غُلاَمٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي. - قَالَ: - ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِـعَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ». وَقَالَ فِي الحَدِيثِ: وَحَدَّثَ نَبِـيُّ اللهِ ﷺ: أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ، «فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَا هَذِهِ الأَنْهَارُ؟ قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ البَاطِنَانِ، فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ، فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ. ثُمَّ رُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ، لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ. ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ، أَحَدُهُمَا خَمْرٌ، وَالآخَرُ لَبَنٌ، فَعُرِضَا عَلَيَّ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقِيلَ: أَصَبْتَ - أَصَابَ اللهُ بِكَ -، أُمَّتُكَ عَلَى الفِطْرَةِ. ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسُونَ صَلاَةً». ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهَا إِلَى آخِرِ الحَدِيثِ.

٤٣٥ - (١٦٤/ ٢٦٥) - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُعَاذُ

ابْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِـي، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ، وَزَادَ فِيهِ: «فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ البَطْنِ، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَاناً».

الحديث الثالث: حديثُ قتادةَ عن أنس بن مالك ـ لعله قال: عن مالك بن صعصعة؛ رجل من قومه ـ، قال: قال النبي ﷺ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ البَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَاليَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ، فَانْطُلِقَ بِي، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، فَشُرِحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا». قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِي: مَا يَعْنِي؟ قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ، فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِـي، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَاناً وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ يُقَالُ لَهُ: البُرَاقُ، فَوْقَ الحِمَارِ وَدُونَ البَغْلِ، يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا، حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، ـ قَالَ: ـ فَفَتَحَ لَنَا، وَقَالَ: مَرْحَباً بِهِ، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ ـ قَالَ: ـ فَأَتَيْنَا عَلَى آدَمَ ـ عليه السلام ـ. وَسَاقَ الحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ. وَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ عِيسَى وَيَحْيَى ـ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ـ، وَفِي الثَّالِثَةِ يُوسُفَ، وَفِي الرَّابِـعَةِ إِدْرِيسَ، وَفِي الخَامِسَةِ هَارُونَ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى

مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِـيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ، بَكَى، فَنُودِيَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَبِّ! هَذَا غُلاَمٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي ـ قَالَ: ـ ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِـعَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. وَقَالَ فِي الحَدِيثِ: وَحَدَّثَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهَرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهَرَانِ بَاطِنَانِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَا هَذِهِ الأَنْهَارُ؟ قَالَ: أَمَّا النَّهَرَانِ البَاطِنَانِ، فَنَهَرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ، فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ. ثُمَّ رُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ، لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ. ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ، أَحَدُهُمَا خَمْرٌ، وَالآخَرُ لَبَنٌ، فَعُرِضَا عَلَيَّ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقِيلَ: أَصَبْتَ ـ أَصَابَ اللهُ بِكَ ـ، أُمَّتُكَ عَلَى الفِطْرَةِ. ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسُونَ صَلاَةً. ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهَا إِلَى آخِرِ الحَدِيثِ.

ثم أخرج مسلم [عن] مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى، عن مُعَاذِ بْنِ هِشَامٍ، عن أَبِـيهِ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ، فَذَكَرَ الحديثَ نَحْوَهُ، وَزَادَ فِيهِ: «فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ البَطْنِ، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَاناً» أخرجه البخاري، والنسائي، وذكر فيه رؤية النبي ـ عليه السلام ـ الأنبياء في السماوات على الترتيب المذكور، وترحيبهم به، وأن آدم قال: (بِالاِبْنِ الصَّالِحِ،

وَالنَّبِيِ الصَّالِحِ)، وكذا إبراهيم وإدريس قالا: (بِالإِبْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِ الصَّالِحِ)، وكذا غيره من الأنبياء.

وأخرج الترمذي في أوله مختصراً، وقال: إن للحديث قصة عروج، ولم يذكرها.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: في قوله: (لَعَلَّهُ قَالَ: عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ) قال أبو علي الغَسَّاني: هذه رواية ابن ماهان، وأبي العباس الرازي عن أبي أحمد الْجُلُودِيّ، وعند غيره: عن أبي أحمد، عن قتادة، عن أنس بن مالك بن صعصعة ـ بغير شك ـ.

وقال الدارقطني: لم يرو عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة غيرُ قتادة.

وأقول: يحتمل أن مراد مسلم ـ رحمه الله ـ بيان سبب ترك سياق هذه الرواية، فإن البخاري اختار في «صحيحه» في (كتاب المعراج) هذه الرواية، وأورد الحديث بطوله، ومسلم ـ رحمه الله ـ إنما جعل أصل الباب الذي جعل البخاري أصل الباب فيه هذا، وأومأ ـ أيضاً ـ إلى أن مالك بن صعصعة ـ أيضاً ـ لم يكن من مشاهير الصحابة في الرواية، فقوله: (رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ)؛ يعني: من قوم أنس بن مالك، وهم الأنصار؛ فإن جميع رواية مالك بن صعصعة عن النبي ـ عليه السلام ـ خمسة أحاديث، ولم يكن في «الصحيحين» غير هذا الحديث فيه، ففي قول مسلم: (لَعَلَّهُ قَالَ)، وقوله: (رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ) بيان جهة

تقديم رواية ثابت عن أنس بن مالك، عن النبي ـ عليه السلام ـ على هذه الرواية، وتعريض بمن جعل الأمر على العكس، ثم تصريح رواية النبي بغير شك آخراً.

الثاني: في بكاء موسى ـ عليه السلام ـ:

* **قوله: (فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ، بَكَى)** قيل في سبب بكاء موسى ـ عليه السلام ـ: إنه حزن على قومه؛ لقلة المؤمنين منهم بالنسبة إلى أمة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فيكون بكاؤه حزناً عليهم، وغبطة لنبينا ـ عليه السلام ـ، والغبطة في الخير محبوبة، ومعنى الغبطة: طلب المرء الخيرَ لنفسه مثل ما حصل لغيره، لا زواله عن غيره، وحصوله له، فإنه حسدٌ مذموم، والأنبياء معصومون عن ذلك وعن كل قبيح، فموسى ـ صلوات الله عليه ـ لأجل عدم حصول السعادة الكثيرة المرجوة لقومه، وعدم حصول الغبطة له = يبكي ويحزن.

* **وفي قوله: (يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي)** دليل على [أن] أمة محمد[1] ـ عليه السلام ـ أكثرُ دخولاً في الجنة من أمة موسى ـ عليه السلام ـ، وذلك لغلوهم في أمر عيسى ـ عليه السلام ـ، ومجاوزتهم الحَدَّ فيه.

وفي حديث أبي هريرة على ما في «البزار»: «ثم صعد به إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريلُ، فقالوا: من هذا معك؟ قال: محمد، قالوا: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حياه الله من أخ وخليفة، فنِعْمَ

---

(١) في الأصل: «موسى».

الأخُ، ونعمَ الخليفةُ، ونعمَ المجيءُ جاء، فإذا هو برجل جالس، فجاوزه، فبكى الرجلُ، فقال: يا جبريل! من هذا؟ قال: هذا موسى، قال: ما يبكيه؟ قال: تزعم بنو إسرائيل أني أفضل الخلق، وهذا قد خلفني، فلو أنه وحده، ولكن معه كلُّ أمَّتِه»، وساق الحديث، وهذا ـ أيضاً ـ راجع إلى ما في حديث الكتاب.

إذا تم الأمر كون أمة النبي ـ عليه السلام ـ معه كونه في الجنة معه، فتكون أمة النبي ـ عليه السلام ـ أكثر دخولاً في الجنة من أمة موسى ـ عليه السلام ـ.

وفي حديث ابن مسعود في الإسراء، مرفوعاً: «فَسِرْنَا، فَسَمِعْتُ صَوْتاً، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ قَالَ: هَذَا أَخُوكَ مُحَمَّدٌ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِالبَرَكَةِ، وَقَالَ: سَلْ لأُمَّتِكَ التَّيْسِيرَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَذَا أَخُوكَ مُوسَى، قُلْتُ: عَلَى مَنْ كَانَ تَذَمُّرُهُ؟ قَالَ: عَلَى رَبِّهِ، قُلْتُ: عَلَى رَبِّهِ؟! قَالَ: نَعَمْ، قَدْ عَرَفَ حِدَّتَهُ، ثُمَّ سِرْنَا، فَرَأَيْتُ شَيْئاً، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذِهِ شَجَرَةُ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ، ادْنُ مِنْهَا[1]، فَدَنَوْنَا مِنْهَا، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِالبَرَكَةِ، ثُمَّ مَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ، فَرَبَطْتُ الدَّابَّةَ بِالحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِهَا الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْنَا المَسْجِدَ»، وساق الحديث. رواه البزار، وأبو يعلى، والطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

وهذا صريح في أن مرور النبي ـ عليه السلام ـ على موسى ـ عليه

---

(١) في الأصل: «قال: نعم».

السلام ـ، وعلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان في الأرض في وقت توجهه من مكة قبل وصوله إلى بيت المقدس، ووجهُ الجمع ـ على ما سيجيء ـ: أنه مَرَّ عليهم؛ أي: على سبعة، وهم في الأرض، [والثاني] في السماوات، والثالث في الأنهار التي رآها النبي ـ عليه السلام ـ في السماء.

* **قوله: (يَخْرُجُ[1] مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ)** ظاهر هذا الحديث يدل على أن الأنهار الأربعة من أصل الجنة، وفي «البخاري» في رواية شريك: «النِّيلُ وَالفُرَاتُ» في السماء الدنيا، وفي موضع آخر: أنها من أصل السدرة.

وفي (المعراج) من «البخاري»: أن النبي ﷺ رأى الأنهار الأربعة، وسأل عنها من غير بيان أنها من أصل السدرة، أو غيرها.

وذكر النووي: أن الضمير راجع إلى السدرة؛ بدليل ما جاء في «البخاري» مبيناً.

وفي «النسائي»: «وَإِذَا فِي أَصْلِهَا[2] أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ»، ولفظة (في) تدل على أن الأنهار خارجة في أصل السدرة، ولا يلزم أن تكون فيها، وعبارة الرواية الواردة في الكتاب يمكن إجراؤها على ظاهرها؛ بأن يجعل الضمير للجنة، على معنى:

---

(١) في الأصل: زيادة: «من الجنة».

(٢) في الأصل: زيادة: «السدرة».

يخرج من أصل الجنة ـ يعني: من أقصاها ـ الأنهار الأربعة.

وذكر القاضي عياض بعد ما ذهب إلى أن الضمير يرجع إلى السدرة: أنه يلزم أن يكون أصل السدرة في الأرض.

وأجاب النووي بأن المعنى: تخرج الأنهار من أصل السدرة، وجريانُ النيل والفرات في الأرض، لا يوجب كونَ أصل السدرة [في الأرض]، بل يجوز أن تخرج الأنهار من أصل السدرة، وينزل الله تعالى بقدرته النيل والفرات إلى الأرض، ويجريان هنا.

وقال مقاتل: النهران الباطنان: السلسبيلُ والكوثر.

وفي حديث أبي هريرة على ما في «البزار»: «ثم مضى إلى السِّدرة المُنْتهى، يخرجُ من أصلها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسِنٍ، وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيَّرْ طَعْمُه، وأنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ للشَّاربين، وأنهارٌ من عسلٍ مُصَفًّى» وهذا صريح من أن هذه الأنهار تخرج من أصل السدرة.

الرابع: في موضع الشق:

* **قوله: «إِلَى مَرَاقِّ البَطْنِ»** هو بفتح الميم وتشديد القاف: هو ما سَفل من البطن، ورَقَّ من جلده، ذكر الجوهري: أنه لا واحد لها، وقال صاحب «المطالع»: واحدها مرق.

وجاء في الرواية الأولى في «مسلم»: (إِلَى كَذَا وَكَذَا، قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِي: مَا يَعْنِي؟ قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ).

وفي «البخاري»: (قال قتادة: فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ ـ وَهْوَ إِلَى جَنْبِي ـ:

مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ).

وفي رواية: (مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ)، والمراد من الكل: شَقُّ موضع القلب، وإخراجه.

الخامس: في ملخص الكلام في هذا المقام:

اعلم أن القوم قد أَلَّفوا في حديث المعراج وكيفيته مجلداتٍ، منها: كتاب الشيخ الإمام أبي شامة، ومنها: مجلد ابن المُنَيِّر، ومنها: تأليف ابن دِحْية، وغيرهم.

وملخصُ كلامهم دائر على مقامات أربعة:

الأول: تصحيح الروايات الواردة فيه:

قال الدرقطني: روى هذا الحديث بألفاظٍ متقاربة جماعة من أهل الحديث؛ فإن الزهري رواه مرةً عن أبي ـ وأحسبه أسقط: ذراً ـ، فجعله أُبي بن كعب، ووهم فيه.

ورواه قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة بطوله.

وروى بعضه شعبةُ عن قتادة عن أنس، مرفوعاً: «فرض عليّ الصلاة» إلى آخره، وهذه الروايات كلها صحاح، وإن الرواة أثبات.

وأقول: كلام حسن، إلا أن قوله: (وأحسبه أسقطَ ذراً، فجعله أُبي بن كعب، ووهم فيه)، ليس على ما ينبغي، فإن عبدالله بن أحمد أخرج هذا الحديث عن أُبي بن كعب، مرفوعاً، بنحو حديث أبي ذر على ما في الكتاب، فالحديث مرويّ عن أُبي بن كعب، وعن أبي ذر، وليس فيه وهم، فتدبر.

وقال الحاكم في «الإكليل»: حديث المعراج صح سندُه بلا خلاف بين الأئمة، نقله العدل عن العدل، ومدار الروايات الصحيحة فيه على أنس، وقد سمع بعضه عن النبي ـ عليه السلام ـ، وبعضه عن مالك بن صعصعة، وبعضه عن أبي هريرة.

وقال ابن الجوزي: روى حديث الإسراء والمعراج جماعة، منهم: علي، وابن مسعود، وأُبَيٌّ، وحذيفة، وأبو سعيد، وجابر، وأبو هريرة، وابن عباس، وأم هانئ، وغيرهم.

قلت: وشداد بن أوس، أخرجه البزار، والطبراني، وأبو أمامة، وصهيب بن سنان، وعبد الرحمن بن قُرْط، رواها الطبراني، وعبدالله ابن أسعد بن زرارة رواه البزار.

الثاني: تصحيح كيفيته وعدده وزمانه:

ذكر الدِّمياطي اختلافَ العلماء في الإسراء والمعراج، هل كانا واحداً، أم لا؟ وهل كان المعراج مرة، أو مرات؟ وهل كان المعراج قبل الإسراء، أو بعده؟

قال ابن قتيبة: أُسري برسول الله ﷺ من مكة بعد سنة ونصف من رجوعه من الطائف إلى مكة، وقال: إن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، قال: أُسري برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، وعرج به من بيت المقدس إلى السماء.

وروى الواقدي، قال: كان ـ عليه السلام ـ يسأل ربه أن يُريه الجنة والنار، فلما كان ليلة السبت، لسبعَ عشرةَ ليلةً خلت من رمضان، قبلَ

الهجرة بثمانيةَ عشرَ شهراً، ورسولُ الله ﷺ نائمٌ في بيته ظهراً، أتاه جبريل وميكائيل، وقالا: انطلق إلى ما سألت، فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم، فأتي بالمعراج، فإذا هو أحسنُ شيء منظراً، فعرجا به إلى السماوات سماءً سماءً، فلقي فيهنَّ الأنبياءَ، وانتهى إلى السدرة المنتهى، ورأى الجنة والنار.

وقد ذكرنا في أول الكتاب اختلافَهم في زمان الإسراء، وأنه قبل البعثة أو بعدها، فلا نعيده.

الثالث: تصحيح شق الصدر، وأنه مرة أو مرتين:

فقيل: مرة، وكان ليلة المعراج، وإنما فعل؛ لزيادة الطمأنينة لما يرى من عظم الملكوت، والملائكة بصورهم.

وفي «سيرة ابن إسحاق»: أن هذا الشق حين كان مسترضَعاً في بني سعد[1]، من حديث حليمة وغيرها ما يدلُّ على ذلك.

وفي «دلائل أبي نعيم»، و«الأحاديث الجياد» للضياء محمد بن عبد الواحد: أن صدره ـ عليه السلام ـ شق وعمره عشر سنين.

وقيل: مرتين:

الأولى: في حالة الطفولية؛ ليُطَهَّر من كل خُلق ذميم، ولئلا يبقى في قلبه إلا الصلاح، فغسل بالثلج ليلج اليقين في قلبه.

والثانية: بعد النبوة عند الإسراء؛ ليعرض عليه الصلاة، ويصلي

---

(١) بياض في الأصل.

بالملائكة، ومن شأن الصلاة الطهور، فقدس ظاهراً وباطناً، وغسل بزمزمة جبريل لأبيه إسماعيل.

وقيل: فعل به ذلك في حال صغره؛ ليصير قلبه مثل قلوب الأنبياء في الانشراح، وفي حال النبوة عند المعراج؛ ليصير حاله مثل حال الملائكة، وهذا هو الظاهر الموافق للروايات الصحيحة؛ فإن جماعة من الثقات رووا ذلك مرتين: مرة في صغره، ومرة في كبره وقت العروج، وأخرج من قلبه العلقة التي هي سبب الميل إلى الشهوات الموجب للانقياد للهوى، قَالَ: «هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ»، وهذا دليل على [أن] الأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ لا يصح عنهم الكفر قبل النبوة ـ أيضاً ـ، وأنهم معصومون منه ومن سائر المعاصي، ثابتو الإيمان من صغرهم، ولا يقدر الشيطان عليهم، بل هو أسيرهم، وعاجز عندهم؛ كما صح عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «وَلَكِنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ»[1] ـ على رواية الفتح والضم ـ، وسيجيء لهذا الكلام بسط ـ إن شاء الله ـ.

الرابع: تصحيح الأخبار الواردة في بيان ما رأى في معراجه من السماوات، والارتقاء فيها، وغير ذلك:

قال ابن حزم: لم ير السماءَ أحدٌ غير الأنبياء.

وفي «صحيح ابن حبان» من حديث أبي سعد، مرفوعاً: «مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ».

---

(١) في الأصل: «فمكنني الله فيه فأسلم».

وعن أبي هريرة: بَيْنَمَا نبِيُّ اللهِ ﷺ جَالِسٌ وَأَصْحَابُهُ، إِذْ أَتَى عَلَيْهِمْ سَحَابٌ، فقَالَ نبِيُّ اللهِ ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟». فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا العَنَانُ، هَذِهِ رَوَايَا الأَرْضِ، يَسُوقُهُ اللهُ ـ تبَارَكَ وتَعَالَى ـ إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْكُرُونَهُ، وَلاَ يَدْعُونَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَكُمْ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا الرَّقِيعُ، سَقْفٌ مَحْفُوظٌ، وَمَوْجٌ مَكْفُوفٌ»، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ»، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ سَمَاءَيْنِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ». حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ العَرْشَ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءَيْنِ». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الَّذِي تَحْتَكُمْ؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا الأَرْضُ»، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الَّذِي تَحْتَ ذَلِكَ؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ تَحْتَهَا الأَرْضَ الأُخْرَى، بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ»، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ أَرَضِينَ، بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّكُمْ دَلَّيْتُمْ رَجُلاً بِحَبْلٍ إِلَى الأَرْضِ السُّفْلَى، لَهَبَطَ عَلَى اللهِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

قال الترمذي: قراءة النبي ـ عليه السلام ـ الآية يدل على عِلْمِ اللهِ

وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَعِلْمُ اللهِ وَقُدْرَتُهُ وَسُلْطَانُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَهُوَ عَلَى العَرْشِ كَمَا وَصَفَ نفسه فِى كِتَابِـهِ. أخرجه الترمذي.

وفي كتاب «العظمــة» لأبي سعيد بن الأعرابـي عن عبدالله بن مسعود، قال: مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِـعَةِ وَالكُرْسِيِّ مَسِيرَةَ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالمَاءِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ، وَالعَرْشُ عَلَى المَاءِ، وَاللهُ ﷻ عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ».

وفي كتاب «العرش» لأبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة، عن حديث العباس، مرفوعاً: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟»، قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، [وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ]، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِـعَةِ بَحْرٌ، بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاَهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ».

ومن حديث أبـي ذر، ومن حديث العبـاس، مرفوعـاً: «إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ، أَوِ اثْنَتَانِ، أَوْ ثَلاَثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ» حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، «ثُمَّ فَوْقَ السَّابِـعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاَهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ، بَيْنَ أَظْلاَفِهِمْ وَرُكَبِـهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمُ العَرْشُ، بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاَهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ اللهُ ـ تَبَارَكَ

وَتَعَالَى - فَوْقَ ذَلِكَ» أخرجه الأربعة سوى النسائي.

ثم الواقع في هذا الحديث: أن بُعْدَ ما بين السماء والأرض، وكذا بُعْد كل سماء من سماء: واحدة، أو ثنتان، أو ثلاث وسبعون سنة.

وقد مَرَّ من حديث أبي هريرة: أن البعد خمس مئة.

ويمكن الجمع بعد صحة الحديثين: أن المذكور من حديث العباس البعد؛ يعني مسافة الفضاء، والواقع في حديث أبي هريرة بمعنى بحر كل سماء، ويؤيد ذلك: حديث أبي ذر، مرفوعاً: «كِثَفُ الأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الأَرْضِ العُلْيَا وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَكِثَفُهَا خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَكِثَفُ الثَّانِيَةِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَمَا بَيْنَ كُلِّ أَرَضِينَ مِثْلُ ذَلِكَ، وَمَا بَيْنَ الأَرْضِ العُلْيَا وَالسَّمَاءِ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَكِثَفُ السَّمَاءِ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ سَمَاءِ الدُّنْيَا وَالثَّانِيَةِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ وَكِثَفُ السَّمَاءِ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، ثُمَّ كُلُّ سَمَاءٍ مِثْلُ ذَلِكَ، حَتَّى بَلَغَ السَّابِعَةَ، ثُمَّ مَا بَيْنَ السَّابِعَةِ إِلَى العَرْشِ مَسِيرَةُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ كُلِّهِ» رواه البزار، ورجاله ثقات.

وأما جوهر السماء، فقد مَرَّ في حديث أبي هريرة: أنه موج مكفوف، ولكن يحتمل أن يكون ذلك جوهر كل السماوات، أو جوهر السماء الدنيا.

وعن الربيع بن أنس، قال: السماء الدنيا موجٌ مكفوف، والثانية صخرة، والثالثة حديد، والرابعة نحاس، والخامسة فضة، والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة. رواه الطبراني هكذا موقوفاً على الربيع بن أنس.

وذكر ابن حبيب: أن بين السماء والأرض بحراً يسمى: البحر المكفوف، انفلق لنبينا حتى جاوزه، وذلك أعظم من انفلاق البحر لموسى ـ عليه السلام ـ.

السادس: في رؤية الأنبياء في السماوات مع أن مدفنهم في الأرض:

فقيل: شَكَّل الله تعالى أرواحهم على هيئة صور أجسادهم، فرآهم، وإليه ذهب ابن عقيل، وابن التين، وجماعة.

وقيل: عرجوا بأجسادهم إلى السماء، فرآهم النبي ـ عليه السلام ـ وهو قائم يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة، وعليه جمع من المحققين.

وأما مراتب الأنبياء في السماوات.

فقد أعرض عن الخوض في ذلك جماعةٌ من أهل المعرفة والتحقيق، وأحالوا معرفة ذلك إلى عالم الإسراء، وهو الأحوط.

وخاض فيه بعضهم، وأفضلُ ما قيل فيه: ما ذكره السهيلي وغيره من أن تلك المراتب تنبيهات على الأحوال الخاصة بهؤلاء الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، وتمثيل لما سيتفق للرسول ـ عليه السلام ـ مما اتفق لهم مما قصه الله عنهم في كتابه، فرؤية النبي ـ عليه السلام ـ آدمَ ـ عليه السلام ـ في سماء الدنيا تنبيهٌ على الهجرة؛ لأن آدم ـ عليه السلام ـ خرج من الجنة بعداوة إبليس له، وهو مبدأ الأمر، ونظيرُه خروج النبي ـ عليه السلام ـ من مكة بأذى قومه له وللمسلمين.

ورؤية عيسى ويحيى ـ عليهما السلام ـ في الثانية، تمثيلٌ إلى فعل اليهود بهما ـ عليهما السلام ـ؛ فإنهم قتلوا يحيى، وراموا قتل عيسى، فرفعه الله إلى السماء، وكذلك فعلت اليهود بالرسول ـ عليه السلام ـ بعد الهجرة إلى المدينة؛ حيث حاموا حول قتله، حتى سَمُّوا له الشاة، وكادوا له المكائد، فعصمه الله منهم.

ورؤيته يوسفَ في الثالثة، تنبيهٌ على ظَفَره بقومه، وإحسانه إليهم بعد إساءتهم إليه؛ فقد ظفر بطائفة من أهله في غزوة بدر؛ كالعباس عمّه، وعقيل ابن عمه، فعفا عنهما، وفَدَاهما، وقال يوم الفتح لما عفا عن قريش: «أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾[يوسف: ٩٢]» الآية، كذلك حال يوسف مع إخوته، ففيه إيماء إلى أنه بعد مقاساة شدائد أفعال اليهود، يحصل له الظفر بالمقصود، بالاستيلاء على قومه، ويوجد عنه العفو لهم، والإحسان إليهم، كما فعل يوسف ـ عليه السلام ـ.

ورؤيته إدريس ـ عليه السلام ـ في الرابعة تنبيهٌ على إرسال الرسول ـ عليه السلام ـ الخطوط والمكاتيب إلى الأطراف؛ لأن إدريس ـ عليه السلام ـ كان أول من خط وكتب بالقلم، وكذلك كان النبي ـ عليه السلام ـ بعدما دخل الناس في دين الله أفواجاً أرسل الرسُلَ [. . .] إلى الأطراف.

ورؤيته هارون في السماء الخامسة تنبيهٌ على أن جمعاً من قومه سيحبونه بعد ما كانوا يبغضونه؛ فإن هارون ـ عليه السلام ـ كان محسناً

إلى بني إسرائيل، وكانوا يؤثرونه على موسى ـ عليه السلام ـ، ولذلك قال النبي ـ عليه السلام ـ: «أَحبَّهَ جمعٌ من قومه، وآمنوا به بعدما كانوا يبغضونهُ».

ورؤيته موسى ـ عليه السلام ـ في السادسة تنبيهٌ على استيلائه ـ عليه السلام ـ على جميع من في بلاده من الجبابرة والأكاسرة؛ فإن موسى ـ عليه السلام ـ قاتل الجبابرة، وأخرجهم من الأرض المقدسة، وكذلك النبي ـ عليه السلام ـ حارب الهوازن، والثقيف، وغيرَهم بعد فتح مكة، وخلا الحجاز عن شؤم شرٍّ كل متكبر.

ورؤية إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ في السابعة، وإسنادُه ظهرَه إلى البيت المعمور تنبيهٌ على اختتام عمره بالخير والسداد، وبقاء الأمة على سبيل الرشاد؛ فإن إبراهيم ـ عليه السلام ـ راح من الدنيا على الكلمة، واستقامة حال الأمة، وكذلك حال النبي ـ عليه السلام ـ جاء إلى حجة الوداع، وبيَّن للناس ما خفي عليهم، وأتم أمر التبليغ، وراح إلى جوار الله تعالى.

وقيل: رؤيته الأنبياء في السماوات على ترتيب الوقائع في سير النبوة بعد الهجرة.

وقيل غير ذلك، والله أعلم.

والسابع: التعريف بالرواة سوى ما سلف.

(أبو العباس الماسِرْجِسي)، وهو الإمام أحمد بن محمد بن الحسين النيسابوريُّ، منسوب إلى جده، فإنه ـ بفتح الميم وكسر السين

الأولى المهملة وسكون الراء المهملة وكسر الجيم ـ وكذا أبو علي الحسن بن عيسى بن ماسرجس النيسابوريُّ منسوبٌ إليه، وغلبت النسبة عليه وعلى أولاده وأعقابه، وأبو العباس منهم، كذا قاله السَّمّعاني.

وذكر ابن الأثير في «جامع الأصول»: الماسرجسي: نسبة إلى بلده ماسر.

وأما (**شريك**)، فهو أبو عبدالله شريك بن عبدالله بن أبي نمر القرشيُّ، المدنيُّ، أو الليثيُّ، أو الكنانيُّ، على اختلاف الأقوال فيه، وجده أبو نمر شهد أُحداً مع المشركين، ثم اهتدى للإسلام، ذكره ابن سعد في مُسْلِمة الفتح، وسمع أنساً، وسعيد بن المسيب، وأبا سلمة وجماعة.

وعنه سليمان بن بلال، ومالك، والثوري، وأنس بن عياض، وخلائق.

وَثَّقَهُ ابن سعد، وأخرج له الستة سوى الترمذي.

وقال يحيى بن معين: ليس به بأس.

وقال ابن عدي: مشهور من أهل الحديث، حدث عنه الثقات، وحديثه إذا روى عنه ثقة، فلا بأس به، إلا أن يروي عنه ضعيف.

مات سنة أربعين ومئة.

وأما (**ابنُ حَزْم**)، فهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

قال ابن ماكولا: اسمه كنيتـه، وأبوه محمد بن عمرو بن حزم،

ولد في زمن النبي ـ عليه السلام ـ، وكنيته أبو عبد الملك، قُتل يوم الحَرَّة، وأبو بكر ولي المدينة لسليمان بن عبد الملك بن مروان، وعمر ابن عبد العزيز، وهو ابن أخت عمرة بنت عبد الرحمن.

روى عن جده مرسَلاً، وروى عن خالته عمرة، والسائب بن يزيد، وخالدة بنت أنس، ولها صحبة، وجماعة.

روى عنه ابناه: محمد، وعبدالله، ويحيى بن سعيد، وغيرهم.

وَثَّقَهُ القوم، وأثنوا عليه، وأخرج له الستة.

قال خلف في «أطرافه»: حديث أبي حبة الأنصاري في المعراج أخرجه البخاري، عن أبي بكر، عن الليث، عن عبدان، عن ابن المبارك، وعن أحمد بن صالح، عن عتبة حكيم، عن يونس، وأخرجه مسلم، عن حرملة بن يحيى، عن ابن وهب، عن يونس. وروى الطبراني هذه القطعة ـ أعني: قوله ـ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلَامِ» عن هارون بن كامل، عن عبدالله ابن صالح، عن الليث، عن يونس، عن الزهري، وعن ابن السرح، عن محمد بن عزيز، عن سلامة بن روح، عن عقيل، عن الزهري.

وقال الدمياطي: رواية ابن حزم عن أبي حبة منقطعة؛ لأنه قتل يوم أُحد ـ كما سيأتي ـ.

وابن حزم [توفي] سنة عشرين ومئة عن أربع وثمانين سنة.

وقال الرشيد العطار: هذه القطعة من الأحاديث المقطوعة في مسلم، وأنت خبير بأن هذا غير واضح؛ لأن مسلماً ـ رحمه الله ـ ما أورد

رواية ابن حزم فقط، حتى يحمل على الانقطاع، بل عنه، وعن ابن عباس، ولا شك في ملاقاة ابن حزم لابن عباس؛ فإنه توفي سنة ثمان وستين، وأبو بكر إذ ذاك [عمره] اثنتان وثلاثون سنة، فلا يلزم منه الانقطاع، بل صريح في الاتصال ـ على ما لا يخفى ـ.

وأمّا (أبو حبة)، فقد اختلف أهل السير في ضبط كنيته، واسمه، وحاله، والأكثر على أنه أبو حبة ـ بالحاء المهملة والباء الموحدة ـ، ثابت بن النعمان بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك ابن أوس.

وقيل: ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس.

وقال أبو زرعة: هو عامر بن عمرو.

قال الطبري: زيد بن غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبذول ابن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار، شهد أحداً، وقيل: يوم اليمامة، وأخواه: صخرة بن غزية، وتميم بن غزية، وأخوهم أبو حبة عمرو بن غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء شهد أحد مع أبيه.

وقال الواقدي: ليس فيمن شهد بدراً [أحد] يقال له: أبو حبة ـ بالبَاء ـ، إنما هو: أبو حنة ـ بالنون ـ، واسمه مالك بن عمرو بن ثابت ابن ثعلبة بن عمرو بن عوف.

وأما أبو حبة بن غزية بن عمرو لم يشهد بدراً، وكذا أبو حبة بن عبد عمرو الذي كان مع عليٍّ بصفِّين، كذا ذكره ابن ماكولا، ولم يذكر أن أبا حبة قتل يوم أحد، وقد علمت ـ مما ذكرنا ـ أن في اسمه وكنيته

وكونِه شهد بدراً، وأنه واحد أو اثنان خلاف، فلا يستقيم قول النووي: إنه بدري بالاتفاق، واستشهد يوم أحد، فتدبر.

روى عنه أبو بكر بن حزم، وعمار بن أبي عمار، وخلائق.

وأخرج له الشيخان.

وأما (**مالك بن صعصعة الأنصاريُّ**)، الخزرجيُّ، ثم المازنيُّ من بني مازن من النجار، المدنيُّ.

روى عن رسول الله ﷺ خمسة أحاديث، اتفق البخاري على حديث واحد، وهو حديث الإسراء، وأخرج له الترمذي والنسائي هذا الحديث ـ أيضاً ـ.

* * *



(٥٢)

باب

بيان ما رأى النبي ـ عليه السلام ـ في المعراج من الأنبياء وغيرهم

٤٣٦ ـ (١٦٥/ ٢٦٦) ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ يَقُولُ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ ـ يَعْنِي: ابْنَ عَبَّاسٍ ـ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُسْرِيَ بِهِ، فَقَالَ: «مُوسَى آدَمُ طُوَالٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ». وَقَالَ: «عِيسَى جَعْدٌ مَرْبُوعٌ». وَذَكَرَ مَالِكاً خَازِنَ جَهَنَّمَ، وَذَكَرَ الدَّجَّالَ.

٤٣٧ ـ (١٦٥/ ٢٦٧) ـ وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ رَجُلٌ آدَمُ، طُوَالٌ، جَعْدٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الخَلْقِ إِلَى الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ». وَأُرِيَ مَالِكاً خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ، فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ، ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾[السجدة: ٢٣]، قَالَ: كَانَ قَتَادَةُ يُفَسِّرُهَا: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَدْ لَقِيَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ.

٤٣٨ ـ (١٦٦/ ٢٦٨) ـ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، قَالاَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِـي هِنْدٍ، عَنْ أَبِـي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِوَادِي الأَزْرَقِ، فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟» فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الأَزْرَقِ. قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ هَابِطاً مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ». ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى. فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟». قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَى، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ، وَهُوَ يُلَبِّـي». قَالَ ابْنُ حَنْبَلٍ فِي حَدِيثِهِ: قَالَ هُشَيْمٌ: يَعْنِي: لِيفاً.

٤٣٩ ـ (١٦٦/ ٢٦٩) ـ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِـي عَدِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ أَبِـي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَمَرَرْنَا بِوَادٍ، فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟». فَقَالُوا: وَادِي الأَزْرَقِ. فَقَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى ـ فَذَكَرَ مِنْ لَوْنِهِ وَشَعْرِهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ دَاوُدُ ـ وَاضِعاً إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ، مَارّاً بِهَذَا الْوَادِي». قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ، فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟». قَالُوا: هَرْشَى، أَوْ لِفْتٌ. فَقَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَةٌ، مَارّاً بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّياً».

٤٤٠ ـ (١٦٦/ ٢٧٠) ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ

أَبِـي عَدِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَذَكَرُوا الدَّجَّالَ، فَقَالَ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ. قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ أَسْمَعْهُ قَالَ ذَاكَ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: «أَمَّا إِبْرَاهِيمُ، فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ، وَأَمَّا مُوسَى، فَرَجُلٌ آدَمُ جَعْدٌ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ مَخْطُومٍ بِخُلْبَةٍ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ إِذَا انْحَدَرَ فِي الوَادِي يُلَبِّـي».

أخرج هنا سبعة أحاديث:

الأول: عن ابن عباس، قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُسْرِيَ بِهِ، فَقَالَ: «مُوسَى آدَمُ طُوَالٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ». وَقَالَ: «عِيسَى جَعْدٌ مَرْبُوعٌ». وَذَكَرَ مَالِكاً خَازِنَ جَهَنَّمَ، وَذَكَرَ الدَّجَّالَ.

وفي رواية: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ رَجُلٌ آدَمُ طُوَالٌ جَعْدٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الخَلْقِ إِلَى الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ». وَأُرِيَ مَالِكاً خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ، ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾[السجدة: ٢٣]، قَالَ: كَانَ قَتَادَةُ يُفَسِّرُهَا: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَدْ لَقِيَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ.

وفي رواية: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِوَادِي الأَزْرَقِ، فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟». فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الأَزْرَقِ. قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ هَابِطاً مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ». ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى. فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟». قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَى، قَالَ:

«كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ، وَهُوَ يُلَبِّي».

وأَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ الدَّجَّالُ، فَذَكَرُوا أَنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ، قَالَ: لَمْ أَسْمَعْهُ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: «أَمَّا إِبْرَاهِيمُ، فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ، وَأَمَّا مُوسَى، فَجَعْدٌ آدَمُ، عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ مَخْطُومٍ بِخُلْبَةٍ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ انْحَدَرَ فِي الوَادِي يُلَبِّي»، أخرجه البخاري.

* * *

٤٤١ ـ (١٦٧/ ٢٧١) ـ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ ح، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ ـ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْه ـ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً صَاحِبُكُمْ ـ يَعْنِي: نَفْسَهُ ـ، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً دِحْيَةُ». وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ: «دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ».

الحديث الثاني: حديث جابر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ ـ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ـ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ

رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً صَاحِبُكُمْ ـ يَعْنِي: نَفْسَهُ ـ، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً دِحْيَةُ». وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ: «دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ» أخرجه الترمذي.

* * *

٤٤٢ ـ (١٦٨/ ٢٧٢) ـ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ـ وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ ـ، قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ عَبْدٌ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ». فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ، «فَإِذَا رَجُلٌ ـ حَسِبْتُهُ قَالَ: ـ مُضْطَرِبٌ، رَجِلُ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ـ قَالَ: ـ وَلَقِيتُ عِيسَى». فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ، «فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ». ـ يَعْنِي: حَمَّاماً ـ قَالَ: «وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ ـ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ـ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ ـ قَالَ: ـ فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ، فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ، وَفِي الآخَرِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ. فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَشَرِبْتُهُ، فَقَالَ: هُدِيتَ الفِطْرَةَ، أَوْ أَصَبْتَ الفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ، غَوَتْ أُمَّتُكَ».

الحديث الثالث: حديثُ أبي هريرة، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ». فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ، «فَإِذَا رَجُلٌ ـ حَسِبْتُهُ قَالَ: ـ مُضْطَرِبٌ رَجِلُ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ

ـ قَالَ: ـ وَلَقِيتُ عِيسَى». فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ، «فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاس». ـ يَعْنِي: حَمَّاماً ـ قَالَ: «وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ ـ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ـ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ ـ قَالَ: ـ فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ، فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ، وَفِي الآخَرِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ. فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَشَرِبْتُهُ، فَقَالَ: هُدِيتَ الفِطْرَةَ، أَوْ أَصَبْتَ الفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ، غَوَتْ أُمَّتُكَ» أخرجه البخاري، والترمذي.

إذا عرفت هذا، فالكلام ـ هاهنا ـ في مواضع:

الأوّل: في المناسبة: لما ذكر [في] حديث المعراج رؤيةَ النبي ـ عليه السلام ـ الأنبياءَ ـ عليهم السلام ـ، أورد الأحاديث المشتملة على بيان توصيفهم، ولما كان هذا الحديث من الأمور الغريبة، إذ رؤية الأنبياء الذين ماتوا في أزمنة قديمة سابقة عن زمان النبي ـ عليه السلام ـ بمدد طِوال بصورهم وحلاهم أمرٌ غريب جداً، أومأ الراوي ـ وهو أبو العالية ـ إلى أن ما رواه ليس عن الأجانب، بل عن ابن عم النبي ـ عليه السلام ـ، وهو ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: حدثني ابنُ عَمِّ نبيكم.

الثاني: في صفة موسى عليه السلام:

* **قوله: (مُوسَى آدَمُ طُوَالٌ)**، أما موسى ـ عليه السلام ـ، فهو موسى بنُ عمران بن ماهت بن نصر بن لاوي بن يعقوب ـ عليهما السلام ـ قيل: سمي موسى؛ لأنه وجد في ماء وشجر، و(مو) بلغتهم: اسم الماء، و(شا) ـ بالشين المعجمة ـ: الشجر فسمي: موشى، فعُرِّب بالسين المهملة.

قد جاء نعته في الروايات بأنه (آدَمُ)، وهو بيان اللون.

و(طُوَالٌ) وهو بيان القد.

و(جَعْدٌ) والظاهر أنه بيان الشعر.

و(ضَرْبٌ) ـ بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء ـ: خفيف اللحم، يقال: رجلٌ ضَرْبٌ؛ أي: خفيفُ اللحمْ، غيرُ جَسيم، قال طَرَفَة:

أَنَـا الرَّجُـلُ الـضَّرْبُ الَّـذِي تَعرِفُونَـهُ

خَـشَاشٌ كَـرَأْسِ الحَيَّـةِ المُتَوَقِّـدِ

و(مُضْطَرِبٌ)، وهو: متفاوت الخلق، ويستعمل في صاحب المجد والجود، قال:

رَحْـبُ الفِنـاءِ اضْـطِرابُ المَجْـدِ رَغْبَتُـهُ

وَالمَجْـدُ أَنْفَـعُ مَـضْرُوبٍ لِمُـضْطَرِبِ

فقوله: (مُضْطَرِبٌ) يحتمل أن يراد: تفاوت الخلق في الجَسامة والنحافة، بمعنى: أنه بينهما، وهو معنى قوله: «ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ»، ويدل عليه: أنه ما جاء في الرواية الأخرى بدله، ويحتمل أن يراد: أنه صاحب المجد والجود، ويكون إشارة إلى بيان سيرته.

فحاصل الروايات: أن موسى ـ عليه السلام ـ آدَمُ اللون، طُوالَ القَدِّ، جَعْدُ الشعرِ، متوسط الجسم بين الجسامة والنحافة، تمام الأخلاق والشمائل.

وجاء في بعض الروايات: «رَجِلُ الرَّأْسِ»، وهو بين الجُعودة

والسُّبوطة، وجاء في حديث ابن [عباس] مرفوعاً: «وَرَأَيْتُ مُوسَى أَسْحَمَ، آدَمَ، كَثِيرَ الشَّعْرِ، شَدِيدَ الخَلْقِ» رواه أبو يعلى، ومر بيان كثرة الشعر وشدة الخلق زائداً على حديث الكتاب.

وعن ابن مسعود: «كَانَ طُولُ مُوسَى اثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعاً، وَعَصَاهُ اثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعاً، وَوَثْبَتُهُ اثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعاً، فَضَرَبَ عِوَجَ بنَ عَنَاقٍ، فَمَا أَصَابَ مِنْهُ إلا كَعْبَهُ» رواه الطبراني.

وعنه: بيان طول قامته ـ عليه السلام ـ.

وأما تشبيه النبي ـ عليه السلام ـ موسى برجال شَنُوءَة ـ بفتح الشين المعجمة وضم النون وسكون الواو وفتح الهمزة ثم هاء ـ: اسم قبيلة من اليمن، مأخوذ من الشنوءة، وهو التقزز والتباعد من الأدناس، سَمَّوْه بذلك؛ لما فيهم من الطهارة، والبعدِ عن الأرجاس والأنجاس، أو لتباعدهم من بين الأحياء والقبائل، فيحتمل أن يكون من جهة الصورة؛ فإن صورة موسى ـ عليه السلام ـ بالنعت الذي ذكره تشبيه بهم، ويحتمل أن يكون من جهة المعنى، وهو طهارة البدن[1]، ونقاوة الذات، وفيه منقبة لتلك القبيلة؛ حيث يكون كليمُ الله تعالى على صورة رجالهم، أو سربهم.

الثالث: في صفة عيسى عليه السلام:

* **قوله: (عِيسَى جَعْدٌ مَرْبُوعٌ)** هو عيسى بن مريم، عبدُالله

---

(١) في الأصل: «الذيل».

ورسوله، وكلمتُه، وروح منه.

واختلف في مدة حمله، وأغربُ الأقوال أنها ساعة، وقيل: العادة، وقيل: بين العادة والساعة، وأكثروا في التعيين، وذكروا كل ما يمكن، وكلَّم الناسَ وهو ابن أربعين يوماً، ثم لم يتكلم حتى بلغ زمن كلام الصبيان، وكان زاهداً عابداً سياحاً، يمشي على الماء، ويُبْرِئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وقُوْتُه يوماً بيوم، وكان يقرأ الصحف والتوراة والإنجيل حفظاً، رفعه الله تعالى إلى السماء، وينزل على المنارة البيضاء في دمشق، ويقتل الدجال بباب لُدّ، ويكون بين الناس حَكَماً عدلاً، ويتزوج بعد نزوله، ويولد له، ثم يقضي أجلَه، ويدفن عند رسول الله ﷺ، جاء ذلك مفصلاً.

وحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أخرجه ابنُ الأبار في كتاب «صِلة الصلة».

وعن أبي هريرة، مرفوعاً: «يَنزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، فَيَمْكُثُ فِي النَّاسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً» رواه الطبراني.

وعن فاطمة الزهراء، ترفعه: «إِنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ مَكَثَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً» رواه أبو يعلى.

وعن أوس بن أوس، مرفوعاً: «يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيِّ دِمَشْقَ».

وعن عبدالله بن سَلام: يُدفن عيسى بنُ مريمَ مع رسول الله ﷺ وصاحبيه، فيكون قبرُه رابعَ القبور. رواهما الطبراني، وسيجيء في

(كتاب الفتن) [شاهد] على ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وأما نعته، فجاء في روايات الكتاب بأنه (جَعْدٌ مَرْبُوعٌ)، (سَبِطَ الرَّأْسِ)، (رَجِلُ الشَّعَرِ)، (أَحْمَرُ)، (إِلَى الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ)، (آدَمُ)، فوقع الاتفاق بأنه مربوع القامة؛ أي: متوسطها، وفي معناه: (رَبْعَةٌ) ـ بفتح الراء وسكون الباء ـ، وأما الوصف بأنه (جَعْدٌ)، وفي رواية بأنه (سَبِطَ الرَّأْسِ)، والسبوطة خلافُ الجعودة، فذهب أكثر الشارحين إلى أن المراد: جعودة اللحم، وهي الكنازة، ومعناه: جسيم.

والأظهر: أن يراد: أنه جعد الشعر، لكن ليس جعودة قَطَط، بل بين الجعودة والسبوطة، على ما تفصح عنه رواية: (رَجِلُ الرَّأْسِ)، يقال: شعر رَجِلٌ ـ بفتح الراء وكسر الجيم ـ؛ أي: بين السبوطة والجعودة، فالغرض: بيان حُسن شعره، بأنه ليس بجعد قبيح، ولا سبط منتشر، بل بينهما.

وأما الجعد في صفة الدجال، فالمراد: الجعودة الشديدة، ولهذا قُيد في بعض الروايات بقوله: (قَطَطٍ)، وفي بعضها بـ (الرَّأْسِ)؛ حيث قال: (جَعْدَ الرَّأْسِ)، ولم يقل: (جعد الشعر)، إيماء إلى أن من شدة الجعودة صار رأسه جعداً.

وأما الاختلاف في اللون، فجاء في بعض الروايات: أنه (آدَمُ)، وهو المشهور، وفي بعضها: أنه (أَحْمَرُ)، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يحلف بأن النبي ـ عليه السلام ـ ما قال: أحمر، بل قال: آدم.

ويحتمل الجمعُ بين الروايات بأنه بين الأُدمة والحُمرة، على

ما يفصح عنه قوله: (إِلَى الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ)، فالمراد: ليس بشديد الحمرة، ولا بشديد الأُدمة، بل بينهما، وهذا من أحسن الألوان، وهذا يؤيد ما ذكرنا في الشعر من أن في بعض الروايات أنه (سبط)، وفي بعضها (جعد)، وفي بعضها (بين)، بأن المراد: بينهما، وهو رَجِل، فتأمل.

وأما تشبيهه بالخارج من ديماس، وفسره الراوي بالحمام، وهو بفتح الدال وكسرها، في الأصل: السجن، والسرب، ويقال للقبر ـ أيضاً ـ: ديماس، ولكن ـ أيضاً ـ أصل من الدمس، وهو الستر، ويقال للظلمة: دامس؛ لأنها ساترة، وفي المثل: (ولَمَّا وَارَى دَمْسٌ دَمْساً، اتَّخَذَ اللَّيلَ جَمَلاً)؛ أي: سواد سواداً، ففي نضارته وصفاء لونه وكثرة ماء وجهه كالخارج من الحمام والكِنِّ، فقوله: «يَقْطُرُ رَأْسُهُ» ما أشد مناسبته بأن التشبيه إنما يكون بالخارج من الحمام والكِنِّ.

وفي حديث ابن عباس: «وَرَأَيْتُ عِيسَى شَابّاً أَبْيَضَ، جَعْدَ الرَّأْسِ، حَدِيدَ البَصَرِ، مُبَطَّنَ الخَلْقِ» رواه أبو يعلى.

والرابع: في ذكر مالك خازن النار:

* **قوله: «وَذَكَرَ مَالِكاً خَازِنَ النَّارِ»**، قيل: في هذه العبارة إشعارٌ بأن النبي ـ عليه السلام ـ ذكر من نعته شيئاً، ولكن تركه الراوي، أو نسي.

وقيل: المعنى: ذكر موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ بالنعت، وذكر مالكاً بأنه رآه، ولم يذكر نعته، وهذا أوجَهُ.

وفي الرواية الثانية: (وَأُرِيَ مَالِكٌ) الرواية المشهورة في أكثر الأصول بضم الهمزة وكسر الراء، و(مَالِكٌ) بالرفع، وفي البخاري: (رَأَيْتُ مَالِكاً).

(أُرِيَ) بمعنى: أبصر، لا بمعنى علم، والمعنى: أبصر مالك، وقيل: علم بمعناه، والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى على ما صرح في قوله: (أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ).

و(مَالِكٌ) المفعول الأول القائم مقام الفاعل.

و(خَازِنُ النَّارِ) إن روي بالرفع صفته، والمفعول الثاني قوله: (فِي آيَاتٍ)، والمعنى: أري مالك خازن النار ملتبساً في آيات متصفة بها، وإن روي (خَازِنَ النَّارِ) بالنصب، فهو [مفعول أول، و] المفعول الثاني محذوف، والمعنى: وأري مالك خازن النار شيئاً لا يحيط به الوصف.

* وقوله: (فِي آيَاتٍ) يسد مسد المحذوف معنًى، وهو المسوغ بحذف أحد المفعولين في هذا الباب، كذا قيل، وفي الكل ضعف ـ على ما لا يخفى ـ.

وبالجملة: فالمعنى: رأى النبي ـ عليه السلام ـ موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ، وأري له مالك، والدجال في آيات؛ أي: علامات وصفات أراهنَّ الله إياها.

وقال النووي: مالِك ـ بالنصب ـ، ولكن الكاتب ترك الألف في الخط، وظن أنه مرفوع، وهذا كثيراً ما يفعله أهل الحديث في كتاباتهم.

وأنت خبير بأن هذا كلام عجيب، فإنه لو جاز حذف ما ترك على الإعـراب من الكلام، لاختـل فهم المقصود من اللفـظ، وذلك لا يجوز، نعم، لو قيل: هذه لغة حكاها أبو سعيد السيرافي في «شرح كتاب سيبويه»، وهي أَنَّ بعض العرب يقف على المنصوب بغير ألف، أن يكتب بلا ألف = لكان وجهاً.

وإنما ترك نعت مالك؛ إِمَّا لأنه ما رآه بصورته التي كان عليها، على ما قيل: من أن النبي ـ عليه السلام ـ ربما رأى جبريل بصورته التي خلقت فقط، وإما لأن المقصود: بيان رؤيته، لا بيان تشبيهه وتصويره.

وأما ذكر نعت موسى وعيسى، وغيرهما من الأنبياء؛ فلأنه بيان ما هم عليه من صورهم في أصل وجودهم.

وأما نعت جبريل، فتارة بالصورة التي يجيء بالوحي، وتارة بصورته المخلوقة، فأكثره ملاقاته، وبيان أنه في حال مجيئه بالوحي ليس على صورته المخلوقة، بل يصور بصورة الآدمي.

الخامس: في قوله: ﴿فَلاَ تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾، قيل: هذا من كلام بعض الرواة، والظاهر على هذا التقدير: أن من قوله: ﴿فِي آيَاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ من كلام الراوي، ﴿فَلاَ تَكُنْ﴾، فمخاطبة هذا الراوي على طريق الاقتباس، والضمير في ﴿لِقَائِهِ﴾ راجع إلى ما رآه رسول الله ﷺ، والأصل: من لقاء ذلك، فأجري الضمير مجرى اسم الإشارة.

وقيل: راجع إلى رسول الله ﷺ، والمصدر مضاف إلى الفاعل، والمعنى: أن موسى وعيسى، ومالكاً والدجال قد رآهم النبي ـ عليه السلام ـ في جملة آيات أراهن الله إياه، قال: فلا تكن ناسياً أو في شك من لقاء النبي ما أراه الله تعالى.

ويحتمل أن يرجع الضمير إلى موسى ـ عليه السلام ـ، ويكتفي بذكره؛ لأنه أول ما ذكر في الحديث من رؤية النبي ـ عليه السلام ـ إياه، فإذا نفى الشك عن هذه الرواية، فقد نفى عن الكل، وتفسير قتادة بعد هذا أشد طباقاً لهذا الوجه.

وأما ما ذكره النووي من أن أكثر أهل التفسير ذهبوا إلى أن الضمير المستتر لموسى ـ عليه السلام ـ والكتاب، والخطاب لرسولنا ـ عليه السلام ـ، والمعنى: فلا تكن في مرية من لقاء موسى الكتاب، فلا تعلق له بهذا الموضع؛ لأن ذلك معنى الآية في كتاب الله تعالى، وأما مراد القائل هنا بطريق الاقتباس، فليس المراد ذلك، بل المراد ما ذكرنا.

وقد علمت أنه لا يلزم في الاقتباس إرادة المعنى الأصلي، بل ربما يكون إرادة معنى آخر مناسب أحسن؛ لأنه أزيد فائدة، كما في قوله:

لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعِ

السادس: في قوله: (أيُّ وَادٍ هَذَا؟) وليس المراد من السؤال معرفة اسم الوادي والتنبيه، بل الغرض بيان فضيلتها بأن النبي ـ عليه

السلام ـ رأى بعض الأنبياء في هذه المواضع مشتغلين بالعبادة، ليكون ذلك تحريضاً للسامعين بتعظيم تلك المواضع، والاشتغال فيها بالعبادة بأسبابهم.

وفيه: بيان أن طريق الحج والمرور على هذه البقاع والتوجه إلى بيت الله تعالى لم يزل مسلوكاً، مراداً لسلك الأنبياء، ويتوجهون إلى البيت بالمرور في هذه البقاع.

وفيه: بيان شرف الحج، وأنه عبادة قديمة، ما خَلَت أمة فيها.

وفيه ـ أيضاً ـ: تسلية للسامعين، وتسريةُ همِّ السفر، وقطع المسافة عنهم ببيان أن في ذلك تحصيل المثوبة العظيمة.

السابع: في قوله: (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى) اختلف القوم في توجيه هذا وأمثاله؛ فإن الأنبياء المذكورين هنا أموات، فما معنى توجههم إلى البيت، وصلاتهم في القبر، وغير ذلك مما حكي من عبادتهم وأحوالهم؟

فقيل: المراد: بيان أحوالهم التي كانوا عليها في حياتهم من كيفية توجههم إلى بيت الله تعالى، وتلبيتهم في الطريق، فعبر عن ذلك بالنظر؛ لأن علم النبي ـ عليه السلام ـ بالأشياء المغيبة بالوحي، وهو أقوى في التحقيق من النظر، فعبَّر عن العلم بأحوالهم به؛ لأنه أقوى جهات الإدراك لغيره.

وقيل: حكاية ما رأى من أحوالهم في المنام، وقد جاء مصرحاً في رواية ابن عمر وغيره: «أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي المَنَامِ» الحديث.

وقيل: المراد: بيان حالهم بعد الموت بالدعاء والذكر؛ لأن عمل دار الآخرة الذكر والدعاء، قال الله تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾[يونس: ١٠] الآية، وهذا يمكن في التلبية والصلاة مطلقاً، أما في الاختصاص بالموضع، والطواف بالبيت، فلا يكاد يستقيم هذا الجواب ـ على ما لا يخفى ـ.

وقيل: المراد: الحقيقة، وأن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بعد الموت ـ أيضاً ـ مشتغلون بالعبادات من الصلاة والحج، وغير ذلك، وإن خفي علينا حالهم، فالنبي ـ عليه السلام ـ رأى موسى ـ عليه السلام ـ مصلياً في قبره، ورآه ويونسَ ـ عليهما السلام ـ في هذه المواضع بالتحقيق، فتبعها إلى بيت الله تعالى، وما رأى ذلك غيره، فبين لهم.

والموتُ لا ينافي عبادتهم؛ لأنهم أحياء في الحقيقة؛ فإنهم أقوى من الشهداء، فيكون دفنهم في الأرض مع أنهم أحياء، نقلهم عن وجه الأرض إلى باطنها، وذلك ـ أيضاً ـ دار تكليف، فلا بعد في عباداتهم حقيقة، كما كانوا في زمان كونهم على ظاهر الأرض.

وأنت خبير بما في هذا الوجه من الضعف؛ فإن القول بأنهم بعد الموت مكلفون، وأن بطن الأرض مثلُ ظهرها دارُ تكليف لهم بعيدٌ.

والوجه الذي هو أظهر الوجوه سيجيء بيانه في صلاة النبي ـ عليه السلام ـ مع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، وأما في هذا الموضع، فإدخال النبي ـ عليه السلام ـ حرف التشبيه وهي (كأن) ربما يخرج الكلام عن احتياج التأويل على ما يعرف بالتأمل.

* وقوله: (ثَنِيَّةُ هَرْشَى) ـ بفتح الهاء وسكون الراء المهملة وفتح الشين المعجمة مقصور الألف ـ: جبل على طريق الشام بين مكة والمدينة قريب من الجُحْفَة، وفي رواية أخرى: (أَو لِفْتٍ) شكٌّ من الراوي بأنهم قالوا: هَرْشَى، أو لِفْتٍ، والمشهور في الرواية: لِفْتٍ ـ بكسر اللام وسكون الفاء وبعدها مثناه فوق ـ، وروي بفتح الفاء مع إسكان التاء، وروي بفتحهما جميعاً، وكسر اللام وسكون الفاء أشهرُ، قال الشاعر:

مَرَرْنَا بِلَفْتٍ والثُّرَيَّا كَأَنَّهَا

قَلائِدُ دُرٍّ حُلَّ عَنْهَا خِضَابُهَا

وقال في «القاموس»: اللِّفْتُ ـ بكسر اللام وسكون [الفاء] ـ: ثَنِيَّةُ جَبَلِ قُدَيْد بين الحرمين، ويفتح.

* وقوله: «خُلْبَةٌ» ـ بضم الخاء المعجمة وسكون اللام وضمها ـ، لغتان، ثم باء موحدة: الليف؛ كما جاء مفسراً، وفي الرواية الثانية: (لِيفٌ خُلْبَةٌ)، وتنوين (خُلْبَةٌ) بدلاً، أو عطف بيان، وروي بالإضافة، فعلى هذه الرواية ينبغي أن يكون بينهما مغايرة؛ لئلا يلزم إضافة الشيء إلى نفسه، قال في «القاموس»: الخُلْبَةُ ـ بضم الخاء وسكون اللام وبضمها ـ: لب النخلة، أو قلبها، والليف، والحبل منه الصلب الدقيق، فيكون في رواية التنوين بكون (خُلْبَةٌ) صفة (لِيفٌ)، لا بدل منه، والمراد بها: الحبل الدقيق الصلب من الليف.

وفي رواية الإضافة: ليف قلب النخلة؛ يعني: من الليف الداخل،

لا من الخارج، والحبل المتخذ منه أقوى وأحسن من الذي يتخذ من الليف الخارج.

وفي بيان كون جبته من صوف، وكون خطام الناقة خلبة إيماءٌ إلى تواضع الأنبياء، واقتصارهم في تزين المراكب بما لابد منه.

وفيه: إشارة إلى أن الواجب على كل واحد الاقتفاء بآثارهم، وترك الفضول والإسراف في الملابس والمراكب، خصوصاً عند التوجه إلى بيت الله تعالى؛ لأنه حالة الإنابة والتوبة، فاقتفاء سيرة المهتدين فيه أنسبُ.

الثامن: في قوله: (فَذَكَرُوا الدَّجَّالَ، فَقَالَ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ) هكذا الرواية في الأصول، والمعنى: ذكروا الدجال عند ابن عباس، فقال رجل من الحاضرين: مكتوب بين عينيه كافر، فقال ابن عباس: سمعت هذا عن رسول الله ﷺ.

ووقع في «الجمع بين الصحيحين» لعبد الحق: (فَذَكَرُوا الدَّجَّالَ، فَقَالَوا: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ)، وهو ظاهر.

وفي رواية الحميدي في «الجمع بين الصحيحين»: (فَذَكَرُوا الدَّجَّالَ إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ) بحذف (قَالَ)، وبدون ذكر: (قَالَوا)، والمعنى في الجميع واحد.

وفي قول ابن عباس: (وَلَكِنَّهُ قال) إيماءٌ إلى أن الدجال غير مذكور في هذا الحديث، بل المذكور إبراهيم وموسى ـ عليهما السلام ـ، وإنما وهم القائل بذكر الدجال في هذا الحديث، وليس الغرض يعني أن

النبي عليه السلام لم يذكر الدجال بهذه الصفة، فإن ذكره بهذه الصفة وارد في الأحاديث، بل الغرض: نفي ذكره في هذا الحديث، فتأمل.

التاسع: في صفة إبراهيم: وهو خليل الرحمن، ابن آزر، ومعناه: الأعرج، ابن ناحور ـ بالنون والحاء المهملة ـ ابن ساروح ـ بالسين والراء والحاء المهملة ـ ابن رَاعُوا ـ بفتح الراء وضم العين المهملتين ـ ابن فالخ ـ بالفاء واللام ثم خاء معجمة ـ، وقيل: معناه: الرسول، وقيل: الوكيل، ابن عابر ـ بفتح العين المهملة وسكون المثناة التحتانية وفتح الباء الموحدة وآخرها راء مهملة ـ ابن أرفخشد ـ بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة وفتح الشين المعجمة وآخرها دال ـ، ومعناه بالسريانية: مصباح مضر، ابن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ.

وفي «المعارف» لابن قتيبة: هو إبراهيم بن تارَخ بن ناحور بن اشترع بن راعوا بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، هكذا قال وهب.

فأثبت بهذه النسبة ما في التوراة، فوجدتها موافقة، إلا أني وجدت مكان اشترع: شاروح، قال: وهو أول من شاب، وهو ابن مئة وخمسين سنة، وذلك أن سارة لما ولدت إسحاق، قال الكنعانيون: أما تعجبون بهذا الشيخ والعجوز، وجدا غلاماً لقيطاً، فتبنياه؟! فصور الله إسحاق على صورة إبراهيم، فلم يكن يفصل بينهما، فوسم اللهُ إبراهيمَ بالشيب.

وقال وهب: وجدت في التوراة: أنه وُلد لتارَخ أبي إبراهيم: إبراهيم، وناحور، وهارون، فولد لهارون: لوط، وسارة، وملكا، ومات هارون في حياة أبيه تارَخ في أرضه التي ولد فيها، فنكح إبراهيم سارة ابنة أخيه هارون، فكانت سارة عاقراً، فساق تارخ ابنه إبراهيم، وابن أخيه لوط، وخرج معهم إلى أرض حران، فحلُّوا ثَمَّ، ومات لتارح بأرض حران أخوان لإبراهيم، فقال لهما: هاران، وبه سميت حران.

وقيل: معنى إبراهيم: أب راحم، وكنيته أبو الضيفان.

وفي «موطأ الإمام مالك» عن سعيد بن المسيب: كان إبراهيمُ النبيُّ ـ عليه السلام ـ أَوَّلَ النَّاسِ ضَيَّفَ الضَّيْفَ، وَأَوَّلَ النَّاسِ اخْتَتَنَ، وَأَوَّلَ النَّاسِ قَصَّ الشَّارِبَ، وَأَوَّلَ النَّاسِ رَأَى الشَّيْبَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ! مَا هَذَا؟ فَقَالَ اللهُ وَتَعَالَى: وَقَارٌ يَا إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ: رَبِّ زِدْنِي وَقَاراً.

وفي «تاريخ دمشق» لابن عساكر عن ابن عباس: ولد إبراهيم ـ عليه السلام ـ بغوطة دمشق بقرية يقال لها: برزة في جبل قاسيون.

والصحيح: ولد بكوثى من إقليم بابل من العراق، وإنما نسب إليه هذا المقام بغوطة دمشق؛ لأنه صلى فيه إذ جاء معيناً للوط ـ عليه السلام ـ.

وقيل: آزَرُ كان من أهل حران، وإن أم إبراهيم كان اسمها ثوما، وولد إبراهيم على رأس ألفي سنة من خلق آدم ـ عليه السلام ـ.

وذكر الطبري: أن إبراهيم إنما نطق بالعبرانية حين عبر النهر فاراً من نمرود، وقال للذين أرسلهم في طلبه: من وجدتم يتكلم

بالسريانية، فردوه إلي، فلما أدركوا إبراهيم ـ عليه السلام ـ، استنطقوه فحول الله تعالى لسانه عبرانياً حين عبر النهر، فترك، وكذلك سميت عبرانية.

ثم دخل مصر، وفيها جبار من الجبابرة اسمه سنان بن علوان أخو الضحاك، وقيل: اسمه عمرو بن القيس بن نابليون بن سبأ، وقيل: غير ذلك.

وقضيته مع سارة مشهورة، فوهبها هاجرَ أمَّ إسماعيل.

وقيل: هاجر كانت لجبار يسكن عين الجر بقرب بعلبك، فوهبها لسارة، فوهبتها لإبراهيم، وإنها توفيت ولإسماعيل عشرون سنة، ولها تسعون سنة، فدفنها إسماعيل في الحِجْر.

وتوفي إبراهيم وله مئتا سنة، وقيل: مئة وخمسة وسبعون.

وعن كعب الأحبار: مات فجأة، وسبب ذلك: أنه أتاه مَلَك في صورة شيخ كبير، فضيَّفه إبراهيم، وكان يأكل ويسيل طعامه ولعابه على لحيته وصدره، فقال له إبراهيم: يا عبدالله! ما هذا؟ قال: بسبب الكبر [الذي] يصير صاحبه هكذا، قال: وكم أتى عليك؟ قال: مئتا سنة، وكان لإبراهيم يومئذ مئتا سنة، فكره الحياة لئلا يصير إلى هذه الحالة، فمات بلا مرض.

وعن أبي السكيت الهجري: توفي إبراهيم، وداود، وسليمان ـ صلوات الله عليهم ـ فجأة، وهو تخفيف ورحمة في حق الصالحين المراقبين.

وقد توفيت سارة وهي أحسنُ نساء العالمين قبل إبراهيم، ولها مئة وسبع وعشرون سنة، فتزوج إبراهيم امرأة من الكنعانيين يقال لها: قَنطورا، فولدت له.

وفي الحديث: «التركُ بنو قَنطورا».

وقال وهب: امرأة من الكنعانيين، فولدت له أربعة نفر.

وفي التوراة: أنه ولد له من قنطورا: زمران، وسنان، ومدان، ومدين، وسباق، وشوخ، وتزوج أخرى يقال لها: حجورا، فولدت له سبعة نفر، فكان جميع ولد إبراهيم ثلاثة عشر رجلاً.

وأحوال إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومناقبه كثيرة مشهورة، وسيجيء في الكتاب نبذ منها، واكتفينا بهذا القدر هاهنا مخافة الإطناب.

وفي تَرْكِ النبي ـ عليه السلام ـ نعتَ إبراهيم، والاقتصار على التشبيه بأنه أشبهُ ولده إيماءٌ إلى كثرة صفات إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وأنها كثيرة كصفات نبينا ـ عليه السلام ـ، ولا يحيط بها الوصف، وفي أمثال هذا الترك في التفخيم ما ليس في الذِّكْر، وهو ظاهر.

* **وقوله: من حديث ابن عباس: (إِذَا انْحَدَرَ فِي الوَادِي)** الرواية: (إذا) في الأصول كلها، وحكى القاضي عياض عن بعض العلماء: أنه أنكر هذه الرواية، ويقول: ينبغي أن تكون «إذ» بدون ألف، وغلطه القاضي، وقال: لا ضرورة في هذا؛ لأنه وَصَفَ حالةَ انحدارِه فيما مضى، و«إذا» مثل «إذْ» في ذلك، وقد أبعدَ من قال: إن الراوي وَهَمَ، فوضع موسى موضعَ عيسى، والمراد: بيان أن عيسى يحج بعد نزوله،

والنبي ـ عليه السلام ـ كان ينظر إليه في حالة انحداره في الوادي، وهذه التعسفات منشؤها الظن بأن (إذا) لا تستعمل فيما مضى، وهو باطل.

العاشر: في وصف جبريل.

* **(وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ)** سيجيء الكلام في صفة جبريل، وأنه يأتي النبي ـ عليه السلام ـ بصورة دحية بن خليفة الكلبي، وربما يستدل من ذكر جبريل ـ هاهنا ـ: أن اسم النبي يطلق على ذلك ـ أيضاً ـ.

* * *

[٧٧ ـ باب
فِي ذِكْرِ المَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ، وَالمَسِيحِ الدَّجَّالِ]

٤٤٣ ـ (١٦٩/ ٢٧٣) ـ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَرَانِي لَيْلَةً عِنْدَ الكَعْبَةِ، فَرَأَيْتُ رَجُلاً آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ، قَدْ رَجَّلَهَا فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئاً عَلَى رَجُلَيْنِ ـ أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ ـ، يَطُوفُ بِالبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا المَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ أَعْوَرِ العَيْنِ اليُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا المَسِيحُ الدَّجَّالُ».

٤٤٤ ـ (١٦٩/ ٢٧٤) ـ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُسَيَّبِيُّ،

حَدَّثَنَا أَنَسٌ ـ يَعْنِي: ابْنَ عِيَاضٍ ـ، عَنْ مُوسَى ـ وَهُوَ ابْنُ عُقْبَةَ ـ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً بَيْنَ ظَهْرَانَيِ النَّاسِ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ». قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي المَنَامِ عِنْدَ الكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا تَرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعَرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَطُوفُ بِالبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: المَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ، وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلاً جَعْداً قَطَطاً، أَعْوَرَ عَيْنِ اليُمْنَى كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ يَطُوفُ بِالبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا المَسِيحُ الدَّجَّالُ».

٤٤٥ ـ (٢٦٩/ ٢٧٥) ـ حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ عِنْدَ الكَعْبَةِ رَجُلاً آدَمَ، سَبِطَ الرَّأْسِ، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى رَجُلَيْنِ، يَسْكُبُ رَأْسُهُ ـ أَوْ يَقْطُرُ رَأْسُهُ ـ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، أَوِ المَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ ـ لاَ نَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ ـ، وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلاً أَحْمَرَ، جَعْدَ الرَّأْسِ، أَعْوَرَ العَيْنِ اليُمْنَى، أَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ ابْنُ قَطَنٍ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: المَسِيحُ الدَّجَّالُ».

الحديث الرابع: حديثُ ابن عمر: «أَرَانِي لَيْلَةً عِنْدَ الكَعْبَةِ،

فَرَأَيْتُ رَجُلاً آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ، قَدْ رَجَّلَهَا، فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئاً عَلَى رَجُلَيْنِ ـ أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ ـ، يَطُوفُ بِالبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا المَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ، أَعْوَرِ العَيْنِ اليُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا المَسِيحُ الدَّجَّالُ».

وفي رواية: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً بَيْنَ ظَهْرَانَي النَّاسِ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ ـ تبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ». قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي المَنَامِ عِنْدَ الكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا تَرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعَرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَطُوفُ بِالبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: المَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ، وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلاً جَعْداً قَطَطاً، أَعْوَرَ عَيْنِ اليُمْنَى، كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ يَطُوفُ بِالبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا المَسِيحُ الدَّجَّالُ».

وفي رواية: «رَأَيْتُ عِنْدَ الكَعْبَةِ رَجُلاً آدَمَ، سَبِطَ الرَّأْسِ، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى رَجُلَيْنِ، يَسْكُبُ رَأْسُهُ ـ أَوْ يَقْطُرُ رَأْسُهُ ـ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، أَوِ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ـ لاَ نَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ ـ، وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلاً أَحْمَرَ، جَعْدَ الرَّأْسِ، أَعْوَرَ العَيْنِ اليُمْنَى، أَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ ابْنُ قَطَنٍ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا:

المَسِيحُ الدَّجَّالُ» أخرجه البخاري.

[إذا عرفت هذا]، فالكلام في مواضع:

الأول: في شرح الألفاظ:

* **قوله:** (أَرَانِي لَيْلَةً) الرواية في (أَرَانِي) فتح الهمزة.

واللِّمَّةُ ـ بكسر اللام وتشديد الميم ـ: الشعر المتدلي الذي جاوز شحمة الأذن، فإذا بلغ المنكبين، فهو جُمَّة، والجمع: لِمَم؛ مثل: قِرْبَة وقِرَب، ويجمع على لِمَام ـ بكسر اللام أيضاً ـ، وترجيل اللمة: تسريحها بالمشط مع الماء أو غيره.

* **وقوله:** (فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً) قيل: المراد: الحقيقة؛ لمناسبة الترجيل؛ كأنه اغتسل للطواف، والأظهر: أنه كناية عن النضارة والحسن، يقال في صفة الشيء الحَسَن: يقطر منه الماء، وقد كثر هذا الاستعمال في الأشعار العربية والفارسية.

وقد مَرَّ في ذكر تلبية موسى ـ عليه [السلام] ـ الوجوه، فهي دائرة في طواف عيسى ـ أيضاً ـ، على أن الأقرب هنا: الحملُ على رؤية المنام ـ على ما صرح بها في الرواية الثانية ـ، ولرؤية الدجال ـ أيضاً ـ في الطواف.

وقد صح أن الدجال لا يدخل مكة والمدينة، وقيل: دخوله مكة والمدينة إنما يحرم عليه في زمان فتنته، أما قبله، فلا.

وقيل: عيسى ـ عليه السلام ـ حيٌّ في السماء، فلا بُعد أن ينزل،

ويطوف بالبيت، ولا دلالة في الحديث ـ في رواية مالك عن نافع، وكذا في حديث سالم ـ على طواف الدجال بالبيت، وإنما هو في رواية موسى بن عقبة، عن نافع، ورواية غيره أقوى من روايته.

والثاني: في معنى المسيح: فلقب من الألقاب المشرفة؛ كالصديق والفاروق، واختلف في كونه عربياً ممتنعاً، أو أعجمياً معرباً، فقيل: مشتق من المسح؛ لأنه مسح بالبركة، أو مسحه الله؛ أي: خلقه خلقاً، أو خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، أو ممسوح أسفل القدمين، لا أخمص له، فعلى جميع هذه الوجوه، فعيل بمعنى مفعول.

أو لأنه يمسح المرضى، فيحصل لهم البرء بإذن الله تعالى، أو لأنه يمسح الأرض؛ أي: يقطعها، فيكون بمعنى فاعل.

وفي الدجال بمعنى مفعول؛ لأنه ممسوح العين، أو فاعل؛ لأنه يمسح الأرض حين خروجه؛ أي: يقطعها له، وربما يفرق بينهما في الاسم ـ أيضاً ـ، فيقال في عيسى ـ عليه السلام ـ: مسيح ـ بفتح الميم وتخفيف السين ـ، وفي الدجال ـ بكسر الميم وتشديد السين والحاء مهملة ـ، وقال بعضهم: في الدجال ـ بالخاء المعجمة بكسر الميم وتشديد الحاء، وبفتحها للتخفيف ـ، وقد تكسر الميم وتشدد السين وحاء مهملة في عيسى أيضاً، وبه قرأ جعفر الصادق وجماعة في قوله تعالى: ﴿مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾[المائدة: ٧٥] الآية.

وأكثرُ المحققين على أن المسيح أعجميٌّ معربُ مشيحا ـ بالشين

المعجمة ـ، ومعناه في لسانهم: المبارك؛ لقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ [مريم: ٣١].

وكذلك عيسى معرب من أشوع، بعد القلب. قال في «الكشاف»: ومشتقها من المسح.

و(العيس)؛ أي: البياض الذي تعلوه صفرة؛ كالرقم على الماء، وربما تمسك القائلون بالاشتقاق، وبدخول الألف واللام فيه، ويجاب بأن ذلك للمشابهة، وكلام العرب؛ كما قيل في طالوت: إنه اسم أعجمي، لكن لما وافق حروفه حروف الطول، ووصفه الله تعالى بالبسطة في الجسم، قيل: مشتق من الطول، على معنى أنه لو كان عربياً، لكان مشتقاً منه؛ نظراً إلى الظاهر والتقدير، ويمنع الصرف نظراً إلى الحقيقة، وهو كونه أعجمياً.

الثالث: فيما يتعلق بالمعنى:

* قوله: **(إِنَّ اللهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لَيْسَ بِأَعْوَرَ)** المراد: بيان نهاية البعد بين الله تعالى والدجال؛ بحيث لا يبقى ريب لمن له مسكة من العقل[1]؛ فإن الدجال مخلوق من أنقصِ خلقِ الله تعالى صورة وسيرةً، وكونه مخلوقاً، والله تعالى خالقُ الأشياء كلها منزهٌ عن صفات الحدوث = كافٍ في الفرق، بل لا يخطر ببال أحد عند ملاحظة ذلك شأنه مناسبة ما بينهما، ولكن لمَّا كان الجهل على بعض الناس غالباً، حتى إنهم يعتقدون في الحجارة التي ينحتونها بأيديهم أن لها قدراً عند

---

(١) في الأصل: «الحسن».

الله تعالى، ويعبدونها رجاء الشفاعة منها، ويصدقون ادعاءَ الشخص المتولد بينهم الذي يعرفون أباه وأمه وولادته، بأنه معبود؛ كفرعون ـ مثلاً ـ، حين ادعى ذلك، كان الواجب على المرشد الكامل إزالةُ ذلك الوهم عن الخواطر؛ لئلا يظن من رأى من الدجال الأمورَ الخارقة للعادة، أنه صادق في دعواه، فصدَّر الكلام بأن الله تعالى منزه عن جميع النقائص الصورية والمعنوية، كامل الذات والصفات، وأن هذا المدعي ناقص الصورة، فاسد السيرة، فإنه يشبِّه هذا بذلك.

وأما وصفه **بالجَعْد القَطَط**، فالمشهور من الرواية: فتح القاف والطاء، وروى القاضي عياض عن بعضهم: كسر الطاء الأولى أيضاً، وهو شديد الجعودة.

وهذا الوصف ـ وإن كان المراد بيان صورته ـ ففيه إيماء ـ أيضاً ـ إلى سيرته بأنه عديم الخير، بل هو متبعٌ كلَّ شر، يقال للبخيل البليغ في الشح: هو جعد قطط. قال:

سـبط البنـان بمـا فـي رحـل صـاحبه
جعـد البنـان بمـا فـي رجلـه قَطَـطُ

وأما **عَوَرُ عينه**، فقد جاء في الروايات: أنها اليمنى، وجاء ـ أيضاً ـ: أنها اليسرى، وضبط الرواة (طَافِئةٌ) ـ بالهمزة ـ بمعنى: ذاهبة ضوءها، والياء بغير همز؛ أي: ظاهرة بارزة، وجاء ـ أيضاً ـ: (جاحظ العين)؛ أي: ناتئ الحدقة، عظيم المقلة، وجاء: أن لها ـ يعني: لعينه ـ حدقة جاحظة كأنها نخاعة في حائط.

فوجهُ الجمع بين هذه الروايات ـ على ما ذهب إليه المحققون ـ: أن كلا عينيه مَعيبةٌ، والعور في الأصل: العيب. فالعينُ المطموسةُ الممسوحةُ العوراء الطافئة ـ بالهمزة ـ؛ أي: الذاهبة ضوءها هي اليمنى، والجاحظة التي كأنها نخاعة الثانية الطَّافِيَة ـ بالياء ـ؛ أي: عظيم الحدقة، هي اليسرى، أو بالعكس.

والغرض: أن هذه الأوصاف موجودة في عينيه، والاختلاف ليس من الرواة، بل من اختلاف المحل، وسيجيء لهذا زيادة بيان في (كتاب: الفتن) ـ إن شاء الله تعالى ـ.

* * *

٤٤٦ ـ (١٧٠/ ٢٧٦) ـ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلاَ اللهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

٤٤٧ ـ (١٧١/ ٢٧٧) ـ حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ: قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، سَبِطُ الشَّعْرِ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ، يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً ـ أَوْ: يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً ـ، قُلْتُ:

مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ. ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ العَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَّالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهاً ابْنُ قَطَنٍ».

الحديث الخامس: حديثُ جابر بن عبدالله: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلاَ اللهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

أخرجه البخاري، والترمذي في (التفسير)، وقال الترمذي: وفي الباب: عن مالك بن صعصعة، وابن عباس.

وأقول: حديث مالك قد مَرَّ، وحديث أبي سعيد، مرفوعاً: «إن في السماء مَلَكاً يقال له: إسماعيل على سبعين ألف ملك» رواه الطبراني، وهو قطعة من حديث المعراج.

وحديث ابن عباس، يرفعه: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، فَظِعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ»، فَقَعَدَ مُعْتَزِلاً حَزِيناً، قَالَ: فَمَرَّ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نعَمْ»، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: «إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ»، قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ». قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟! قَالَ: «نعَمْ». قَالَ: فَلَمْ يَرَ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الحَدِيثَ إِذَا دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«نعَمْ»، فقَالَ: هيَا يَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، حتَّى قَالَ: فَانْتُفَضتْ إِلَيْهِ المَجَالِسُ، وَجَاؤوا حتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ»، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ: «إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ»، قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟! قَالَ: «نعَمْ». قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعَجِّباً لِلْكَذِبِ زَعَمَ، قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لنَا المَسْجِدَ؟ وَفِي القَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ البَلَدِ، وَرَأَى المَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ ـ قَالَ ـ: فَجِيءَ بِالمَسْجِدِ وأَنَا أَنْظُرُ، حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عَقِيلٍ، فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»، قَالَ: وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ، قَالَ: فَقَالَ القَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ، فَوَاللهِ! لَقَدْ أَصَابَ. رواه أحمد، والبزار، والطبراني، ورجاله ثقات.

إذا عرفت هذا، فقوله: (جلا) روي بتشديد اللام وتخفيفها، يقال: جَلَّى فلان مجلسه، وجَلاَه، بمعنى: أزال من كان فيه، والمراد هنا: إزالة المانع من رؤية الأشياء، فالنبي ـ عليه السلام ـ في الحِجْر ينظر إلى بيت المقدس بلا مانع من الرؤية، كأنه في بيت المقدس.

وفي التشديد زيادةُ مبالغة ليست في التخفيف، وهي أشهر الروايات ـ أيضاً ـ، وعلى هذا معنى قوله: (فَرَفَعَهُ اللهُ لِي): الموانع من البيت، وقيل: معناه: رفع الله تعالى البيتَ المقدَّس من موضعه، ووضعه في الهواء قريباً إلى مرأى النبي ـ عليه السلام ـ، وهو ينظر إليه، ويخبر

القوم عما سألوه، وحديث ابن عباس على ما مَرَّ صريحٌ في ذلك.

* * *

٤٤٨ ـ (١٧٢/ ٢٧٨) ـ وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حُجَيْنُ ابْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ ـ وَهُوَ ابْنُ أَبِـي سَلَمَةَ ـ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ الفَضْلِ، عَنْ أَبِـي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ لَمْ أُثْبِـتْهَا. فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ـ قَالَ: ـ فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِـيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ قَائِمٌ يُصَلِي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ ـ يَعْنِي: نَفْسَهُ ـ، فَحَانَتِ الصَّلاَةُ، فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاَةِ، قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ! هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلاَمِ».

الحديث السادس: حديث أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ لَمْ أُثْبِـتْهَا. فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ

رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ ـ يَعْنِي: نَفْسَهُ ـ، فَحَانَتِ الصَّلاَةُ، فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاَةِ، قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ! هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلاَمِ»، وهذا من أفراد مسلم.

إذا عرفت هذا، فاعلم: أن في هذا الحديث ذكر معجزتين، فإنه لما ذكر معجزة رؤية بيت المقدس من مكان بعيد، وإخباره للسائلين ما سألوه عن مشاهده، انتقل إلى ذكر معجزة أخرى، وهي الصلاة مع الأنبياء، والإمامة لهم، فظاهر هذا الكلام، وعطفُه على الكلام السابق يدل على أن ذلك في اليقظة.

وفي حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى في المعراج: ثُمَّ أُقِيمَت الصَّلاَة، فَتَدَافَعُوا حَتَّى قَدَّمُوا مُحَمَّداً ﷺ. رواه الطبراني.

فذِكْرُ إقامة الصلاة، وذكر الإمامة يدل على [أن] المراد من الصلاة هو المتعارَفُ، لا الدعاء الذي هو معناها اللغوي، على ما ذهب إليه جمع من الشارحين، مستدلين بأن الأنبياء بعد انتقالهم إلى دار الجزاء لا يُتصور منهم الصلاة، وسائرُ العبادات، بل المراد: الدعاء والذكر؛ لأن ذلك من أعمال الآخرة، والأوجَهُ: ما ذكره بعض المحققين من أن حال الأنبياء مغاير لحال سائر الخلق؛ فإن صعود

النبي ـ عليه السلام ـ إلى السماوات بجسده، ورؤيته ما فيها أمرٌ خارج عما عليه حالُ البشر، وإن أمثال ذلك من خواص الملك، فإذا رأى النبي ـ عليه السلام ـ، وبلغ ما لا رآه مَلَكٌ، ولا بَلَغَ إليه، كان فيه دلالة على رؤية الملك، ولا شك أن الملائكة مشتغلون بالعبادة إلى زمان قيام الساعة، ولا شك ـ أيضاً ـ في أن عيسى ـ عليه السلام ـ مرفوع إلى السماء بجسده، منقطع عن خواص البشر، متصف بصفات الملك، مشتغل بالعبادة بما يليق بحاله، وأُمر به، فلا بُعْدَ في اتصاف الأنبياء ـ بعدَ الخروج من دار الدنيا الخروجَ الصوريَّ ـ بصفات تختص بحالهم، ويشتغلون بها، فالنبي ـ عليه السلام ـ أومأ إلى ذلك كله؛ من ذكر رؤيتهم في السماء، إيماء بأنهم منتقلون من الأرض، فيشتغلون بما يليق بهم، منخرطون في سلك الملإ الأعلى.

وفي ذكر التكلم معهم، وسماع الترحيب منهم، ورؤية إبراهيم ـ عليه السلام ـ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، ورؤية آدم وبين يديه أرواح أولاده، إيماءٌ إلى ملاقاته إياهم بالحقيقة، وأنهم في الحياة كما أنهم في الأرض في زمانهم، بل أقوى من ذلك، وأحسن حالاً، كما أنهم في مرتبة أعلى من الأولى، وفي ذكر رؤيتهم في الأرض، واشتغالهم بالصلاة، وإمامته لهم، إيماءٌ على بقاء تعلقهم بمواضع مدافنهم، وأنهم في هذه المواضع مشتغلون بما كانوا مشتغلين قبل ذلك.

وفيه ـ أيضاً ـ: إشعارٌ بعدم الانقطاع الكلي لهم عن الأرض، بل

لهم تعلقٌ بتلك المواضع، فينبغي أن يتوجه إليها، وتزار، ويتبرك، ويطلب الاستعانة منهم في المهمات.

فالحاصل: أن حال الأنبياء بعد الانتقال الصوري كحال الملائكة في الصعود إلى السماء، والنزول إلى الأرض؛ لأجل الطواف والصلاة، وغير ذلك، وهذا لا ينقطع عنهم إلى قيام الساعة، ولهم زيادة تعلق بمواضع مدافنهم، ليس ذلك للملائكة، ولا يلزم من اشتغالهم بالعبادات كونهم مكلفين بها؛ لجواز أنهم يُلْهَمون ذلك، فيعبدون بما يجدون من دواعي أنفسهم، لا بما يلتزمون، كما يحمده ويسبحه أهلُ الجنة، ولذلك قال النبي ـ عليه السلام ـ: «يُلْهَمُونَ التَّسْبِيح كَمَا يُلْهَمُون النَّفَس».

وبما ذكرنا في هذا المقام يحصل الجمعُ بين جميع ما ورد في هذا الباب إذا أمعن الناظر فيه النظر.

وأما حديث زِرِّ بْنِ حُبَيْش، قَالَ: قُلْتُ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: أَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ؟ قَالَ: لاَ، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَنْتَ تَقُولُ ذَاكَ يَا أَصْلَعُ؟! بِمَا تَقُولُ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: بِالقُرْآنِ، بَيْنِي وَبَيْنَكَ القُرْآنُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: مَنِ احْتَجَّ بِالقُرْآنِ فَقَدْ أَفْلَحَ، قَالَ سُفْيَانُ: يَقُولُ: فَقَدِ احْتَجَّ، وَرُبَّمَا قَالَ: قَدْ فَلَجَ، فَقَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[الإسراء: ١]، قَالَ: أَفَتَرَاهُ صَلَّى فِيهِ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: لَوْ صَلَّى فِيهِ، لَكُتِبَ عَلَيْكُمْ فِيهِ الصَّلاَةُ، كَمَا كُتِبَتِ الصَّلاَةُ فِى المَسْجِدِ الحَرَامِ، قَالَ حُذَيْفَةُ: قَدْ أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

بِدَابَّةٍ طَوِيلَةِ الظَّهْرِ مَمْدُودَةٍ هَكَذَا، خَطْوُهُ مَدُّ بَصَرِهِ، فَمَا زَايَلاَ ظَهْرَ البُرَاقِ حَتَّى رَأَيَا الجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَوَعْدَ الآخِرَةِ أَجْمَعَ، ثُمَّ رَجَعَا عَوْدَهُمَا عَلَى بَدْئِهِمَا، قَالَ: وَيَتَحَدَّثُونَ أَنَّهُ رَبَطَهُ، [لِمَ؟ أَيَفِرُّ مِنْهُ؟!][1] وَإِنَّمَا سَخَّرَهُ لَهُ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ. أخرجه الترمذي، فقبول صحة هذا الحديث رأيٌ من حذيفة، لا رواية.

والأحاديث الكثيرة الصحيحة ـ على ما مَرَّ ـ بعضُها صريحة من أنه ـ عليه السلام ـ صلى في بيت المقدس، فلا نترك الكل لهذا الأثر، على أنه يحتمل أن يكون مراد حذيفة: الصلاة المعروفة، ولهذا ذكر الافتراض، أو الصلاة إليها، ولهذا ذكر الصلاة في المسجد الحرام؛ أي: إليها، إلى غير ذلك من التأويلات، والوجه ما ذكرناه أولاً، ثم المقام بعد ذلك موضع بسط، ولكن لما كان الكلام في حالة الأنبياء، وذلك أمر يجب علينا اتباع ما بلغ إلينا، وليس للرأي والاحتمال فيها مجال، والتكلم فيها بذلك ضلال، اكتفينا من كلام القوم على ما هو الأقوى وأقرب، وتركنا غيره مخافة الإطناب.

* * *

[٧٨ ـ باب
فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ المُنْتَهَى]

٤٤٩ ـ (١٧٣/ ٢٧٩) ـ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِـي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا

---

(١) بياض في الأصل.

أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ ح، وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعاً، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ نُمَيْرٍ - وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ -، قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِاللهِ، قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾[النجم: ١٦]، قَالَ: فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثاً: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ البَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئاً المُقْحِمَاتُ.

الحديث السابع: حديث ابن مسعود، قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾[النجم: ١٦]، قَالَ: فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثاً: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ البَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئاً المُقْحِمَاتُ. أخرجه الترمذي، والنسائي.

إذا عرفت هذا، فالكلام - هاهنا - في مواضع:

الأول: في معنى هذا الحديث: وقوله: (فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

ثَلاَثاً) سيجيء الكلام في الصلوات الخمس، وكذا في خواتيم سورة البقرة.

والمعنى: أن النبي ـ عليه السلام ـ لما بلغ أمره إلى ما بلغ، أعطاه الله تعالى الفضائل الثلاث المختصة به، لم تُعط لنبي قبله، ويدل عليه: رواية الترمذي لهذا الحديث: لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سِدْرَةَ المُنْتَهَى، قَالَ: «انتَهَى إِلَيْهَا مَا يَعْرُجُ مِنَ الأَرْضِ وَمَا يَنْزِلُ مِنْ فَوْق، قَالَ: فَأَعْطَاهُ اللهُ عِنْدَهَا ثَلاَثاً لَمْ يُعْطِهِنَّ نَبِيّاً كَانَ قَبْلَهُ: فُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ خَمْساً، وَأُعْطِيَ خَوَاتِمَ سُورَةِ البَقَرَةِ، وَغُفِرَ لأُمَّتِهِ المُقْحِمَاتُ مَا لَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً».

وحديث إبراهيم في قصة المعراج: «ثم مضى إلى السدرة، فقال له ـ تبارك وتعالى ـ: سل، فقال: إنك اتخذتَ إبراهيمَ خليلاً، وأعطيته ملكاً عظيماً، وكلَّمْتَ موسى تكليماً، وأعطيتَ داودَ مُلكاً عظيماً، وألَنْتَ له الحديدَ، وسَخَّرْتَ له الجبالَ، وأعطيتَ سليمانَ مُلكاً عظيماً، وسخرتَ له الجنَّ والإنسَ والشياطينَ والرياحَ، وأعطيته مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، وعلَّمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرئ الأكمهَ والأبرصَ، وأعذَتْه وأمَّه من الشيطان الرجيم، فلم يكن له عليهما سبيلاً، فقال له ربه ـ تبارك وتعالى ـ: قد اتخذتُك خليلاً، وهو مكتوب في التوراة: محمدٌ حبيبُ الرحمن، وأرسلتك إلى الناس كافة، وجعلتُ أمتك هم الأولون، وهم الآخرون، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبةٌ حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلتك

أولَ النبيين خَلْقاً، وآخرَهم بَعْثاً، وأعطيتُك سبعاً من المثاني لم أعطها نبياً قبلك، وأعطيتك خواتيمَ سورة البقرة من كنزٍ تحت العرش، لم أعطها نبياً قبلك، وجعلتك فاتحاً وخاتماً» رواه البزار، وإسناده حسن.

(**الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ**) التي هي المناجاة مع الله تعالى في أزمان وهيئات يعجز البشر عن معرفة الحكمة فيها. والأدعية الموجبة إنزال المغفرة والرحمة المشتملة عليها خواتيم تلك السورة. والتخفيف لتلك الأمة بغفران جميع المعاصي سوى الشرك، فإن مات من تلك الأمة غيرَ مشرك بالله تعالى، وإن أخل بالطاعات، لا يصير من أهل النار؛ بأن يستحق الخلود فيها، بل يخلد في الجنة؛ إما دخولاً أولياً بفضله، أو بعد إذاقته جزاء ما عمل بعدله.

و(**المُقْحِمَاتُ**) ـ بضم الميم وسكون القاف وكسر الحاء ـ قيل: الموقعات في المهالك، وهي المعاصي، وهو مفعول (يغفر)، والمعنى: غفر لمن لم يشرك بالله من أمته المعاصي الموجبة لدخول النار، أية معصية كانت خلا الشركَ.

وقيل: المُقْحِمَاتُ: المدخِلات، يقال: فلان مِقْدام مِقْحام ليس معه إحجامٌ: إذا كان مدخالاً في الأمور، ويستعمل في المدح، فالمعنى: أن الله تعالى أعطى رسوله ـ عليه السلام ـ الفضائلَ الثلاثَ المدخِلاتِ في الجنة، فالمقحِمات صفةٌ للخصائل الثلاث، ويؤيد الوجه الأول: رواية الترمذي ـ على ما مَرَّ ـ.

الثاني: في التعريف سوى ما ذكر.

لما كانت الأحاديث متقاربة المعنى، وسردنا الكلام عليها جملة، ذكرنا التعريف بالرواة الواقعة فيها غير المذكورة سابقاً جملة؛ إيثاراً للضبط، واحترازاً عن الانتشار.

فأما (أبو العالية) ـ بالعين المهملة والمثناة التحتانية ـ، فهو رُفَيع ـ بضم الراء وفتح الفاء ـ ابن مهران البصريُّ، الرياحيُّ، مولى امرأة من بني رياح بن يربوع: حيٌّ من بني تميم، واسمها آمنة، وهو من كبار التابعين المخضرمين، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة رسول الله ﷺ بسنتين، ودخل على أبي بكر الصديق، وصلى خلف عمر رضي الله عنه.

وروى عن علي، وابن مسعود، وأُبي بن كعب، وأبي أيوب، وأبي موسى، وأبي هريرة، وابن عباس، وجماعة.

وعنه قتادة، وعاصمٌ الأحول، وداود بن أبي هند، والربيع بن أنس، ومحمد بن واسع، وثابت البناني، وحميد بن هلال، وحفصة بنت سيرين، وآخرون.

وقال يحيى بن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وآخرون: هو ثقة.

وقال أبو قاسم الطبراني: هو ثقة مجمَع على توثيقه: وأخرج له الستة.

وقال أبو بكر بن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، ثم بعده سعيد بن جبير، ثم السُّدي، ثم سفيان الثوري رحمهم الله.

قال أبو خلدة: توفي سنة تسعين.

وقال البخاري: سنة ثلاث وتسعين.

وأما (شيبان)، فهو أبو معاوية بن عبد الرحمن مولى ابن تميم، البصريُّ، النحويُّ، منسوب إلى النحو بن شُمس ـ بضم الشين ـ بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نضر بن زهران وليس في الرواة منسوب إلى هذه القبيلة سواه، وسوى يزيد بن أبي سعيد النحوي، وما سواهما فمنسوب إلى النحوِ علمِ العربية، وقد مَرَّ خالدُ بن شيبان هذا.

وأما (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ)، فهو الإِمَامُ أَبُو عَبْدِاللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ حَنْبَلِ بْنُ هِلاَلِ بْنُ أَسَدِ بْنُ إِدْرِيسَ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ حَيَّانَ ـ بالحاء المهملة والمثناة التحتانية ـ، ابْنِ عَبْدِالله بْن أَنَسِ بْنِ عَوفِ بْنُ قَاسِطِ ابنِ مَازِنِ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ ذُهْلِ بْنِ ثَعْلَبَة بْنِ عُكَابَة بْنِ صَعْب بْنِ عَلِيِّ بْن بَكْرِ ابْنِ وَائِلِ بْن قَاسِطِ بْن هِنْبِ ـ بكسر الهاء وسكون النون وبعدها باء موحدة ـ بْنِ أَفْصَى ـ بالفاء والصاد المهملة ـ بْنِ دَعْمِيٍّ بن جُدَيْلَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ، الذهليُّ، ثم الشيبانيُّ، المروزيُّ، ثم البغداديُّ.

خرج أبوه من مرو وأحمدُ حملٌ، فولد ببغداد، ونشأ بها إلى أن توفي بها، ودخل مكة والمدينة والشام واليمن والعراق والجزيرة، سمع خلقاً من أهل هذه الديار؛ منهم: سفيان بن عيينة، وإبراهيم بن سعد، ويحيى القطان، وهشيماً، ووكيعاً، وابن عُلية، وابن مهدي، وابن عبد الرزاق، وغيرهم.

روى عنه عبد الرزاق، وابن مهدي، ويزيد بن هارون، وهو من شيوخه، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، والبخاري، ومسلم،

وأبو داود، والذهلي، وأبو زرعة الرازي، والدمشقي، وإبراهيم الحربي، وخلائق كثيرة.

وهو الإمام البارع المُجمَع على إمامته وجلالته، وورعه وزهده، وحفظهِ ووفورِ علمه، أثنى عليه القوم كلهم، وأخرج له الستة.

قال إبراهيم الحربي: كأن الله تعالى جمع عِلْمَ الأولين من كل صنف في أحمدَ بنِ حنبلٍ، لا يحدث إلا من كتاب.

وقال إبراهيم بن جابر بن خالد: كنا نجالس أحمد، فيذكر الحديث، ونحفظه ونتقنه، فإذا أردنا أن نكتبه، قال: الكتابُ أحفظُ [شيء، فيثب]، ويجيء بالكتاب.

وقال الهيثم بن جميل: وددت أنه نقص من عمري، وزيد في عمر أحمد بن حنبل.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: أحمد بن حنبل أعلم الناس بحديث سفيان الثوري.

وقال أبو عبدالله: انتهى العلم إلى أربعة: أحمد بن حنبل، وهو أفقههم فيه، وعلي بن المديني، وهو أعلمهم به، ويحيى بن معين، وهو أكتبُهم له، وأبو بكر بن أبي شيبة، وهو أحفظهم له.

وسئل أبو حاتم عن أحمد، وعلي بن المديني، فقال: كانا في الحفظ متقاربين، وأحمدُ أفقهُ.

وقال ابن مهدي: أحمدُ إمامُ الدنيا.

وقال عمرو بن محمد الناقد: إذا وافقني أحمد على حديث،

لا أبالي مَنْ خالفني.

قال الشافعي ﷺ: ما رأيت أعقلَ من أحمد بن حنبل.

وقال الميموني: ما رأيت قَطُّ أحسنَ صلاةً من أحمد بن حنبل، ولا أشدَّ اتباعاً للسنن منه.

وعن الحسن بن أبي الحسن الرازي: حضرت في مصر عنده، فقال: فسألني عن أحمد بن حنبل، فقلت: كتبت عنه، فلم يأخذ ثمن المتاع مني، وقال: لا آخذ ثمنَ شيءٍ ممن يعرف أحمد بن حنبل.

وعن أبي زرعة: بلغني أن المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذي وقف الناس فيه للصلاة على أحمد بن حنبل، فبلغ مقام ألفي ألف وخمس مئة ألف.

وقال الوركاني: أسلم يوم وفاة أحمد عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس.

ومناقبه كثيرة، وقد صنف العلماء فيها مجلدات، والمقصود الإشارة إلى شيء منها.

ولد - رحمه الله - في شهر ربيع الأول، سنة أربع وستين ومئة، وتوفي ضحوة يوم الجمعة، الثاني عشر من ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين ومئتين، ودفن ببغداد، وقبره معروف مشهور يزار - رحمه الله -.

وأما (محمد بن إسحاق)، فهو أبو عبدالله محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن المسيب بن أبي الثابت المخزوميُّ.

عن أبيه، وابن عُيينة، ويزيد بن هارون، وجماعة.

وعنه مسلـم، وأبو داود، وأخرجـا له، وإبراهيم الحربـي، وأبو يعلى، وجمع.

وَثَّقَهُ القوم، وأثنوا عليه.

توفي سنة ست وثلاثين ومئتين.

وأما (شيخه)، فهو أبو ضَمْرَة أنسُ بنُ عياضٍ الليثيُّ، المدنيُّ، الثقةُ، العالِمُ.

روى عن هشامِ بنِ عروة، وربيعة، وعبيدالله، وغيرهم.

وعنه أحمد، وإبراهيم بن المنذر، ويونس بنُ عبد الأعلى، وأحمدُ بن صالح، وجماعة.

وَثَّقَهُ ابن معين، وابن عَدِيٍّ، وأخـرج له الستـة، وقال النسائـي: لا بأس به.

مات سنة مئتين، عن ست وتسعين سنة.

وهو من الأفراد، ليس في الكتب الستة أنس بن عياض سواه.

وأما (شيخـه)، فهو أبو محمد موسى بن عقبـة بن أبي عَيَّاش ـ بالعين المهملة وتشديد المثناة التحتانية، وآخرها شين معجمة ـ، الأسديُّ، المدنيُّ، مولى آل الزبير بن العوام، وقيل: مولى أم خالد بنت سعيد بن العاص، وهو تابعي، أدرك عمر، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد، وسمع أم خالد بنت خالد الصحابية، وعلقمة بن وقاص.

ورأى الزبير، وكريباً، ونافعاً، وعبدالله بن دينار، وسالماً وحمزة ابني عبدالله بن عمر، وآخرين.

روى عنه يحيى الأنصاري، وابن جريج، ومالك، والسفيانان، وشعبة، وإبراهيم بن طهمان، وزهير بن معاوية، وابن أبي الزناد، والدراوردي، وابن المبارك، وخلائق.

وَثَّقَهُ القوم، وأخرج له الستة.

وقال ابن معين: روايته عن نافع فيها شيء، وقال: كتاب موسى ابن عقبة عن الزهري من أصح الكتب.

وقال معن بن عيسى: كان مالك إذا قيل له: مغازي مَنْ نكتب؟ كان يقول: عليكم بمغازي الشيخ الصالح موسى بن عقبة؛ فإنها أصح المغازي عندنا.

قال ابن خليفة: مات ابن عقبة سنة إحدى وأربعين ومئة.

وأما (حُجَين)، فهو أبو عمر حُجَيْنُ ـ بضم الحاء المهملة وفتح الجيم وسكون المثناة التحتانية وآخره نون ـ، ابنُ المثنى البغداديُّ.

حدث عن مالك، وعبد العزيز الماجشون، ويعقوب العَمِّي، والليث، وغيرهم.

وعنه أحمد، وابن معين، وابن رافع، وخلائق.

وَثَّقَهُ القوم، وأخرج له الستة إلا ابن ماجه.

توفي سنة خمسين ومئتين.

وأما (شيخه)، فهو أبو عبد الملك عبدُ العزيز بنُ عبدالله بن أبي سلمة الماجشون، التيميُّ مولاهم، الفقيه.

عن الزهري، وعن عمه يعقوب بن أبي سلمة، وجماعة.

وعنه ابنه الفقيه عبد الملك، وابن مهدي، والليث، وخلق.

وأخرج له الستة.

قال [علي بن] الحسين بن حبان: قيل لابن معين: عبدُ العزيز الماجشون مثلُ الليث، وإبراهيم بن سعد؟ قال: لا، هو دونهما؛ أي: كان رجلاً يقول بالقدر والكلام، ثم تركه، وأقبل إلى السنة، ولم يكن من شأنه الحديث، فلما قدم بغداد، كتبوا عنه، وكان يقول بعدُ: جعلني أهل بغداد مُحَدِّثاً، وكان صدوقاً، ثقة، أجازه المهدي بعشرة آلاف دينار، وكان إماماً معظماً.

وقال أبو الوليد: كان يصلح للوزارة.

مات سنة أربع وستين ومئة.

وأما (شيخه)، فهو أبو الفضل عبدُالله بنُ الفضل بنِ العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشميُّ، المدني، يُعَدُّ في التابعين، سمع أنسَ بنَ مالك، ونفراً من التابعين.

وعنه إسحاق بن سويد، وموسى بن عقبة، وصالح بن كيسان، وخلق.

وَثَّقَهُ ابن معين، وأخرج له الستة.

وأما (الزبير)، فهو أبو عَدِيٍّ، الزبيرُ بنُ عدي الهمدانيُّ، الكوفيُّ، قاضي [الري].

عن أنس، وطارق بن شهاب، وأبي وائل، وخلائق.

وعنه إسماعيل بن أبي خالد، وأبو إسحاق السَّبيعي، وسلمة بن نبيط مع تقدمهم، وصغره، والثوري، وآخرون.

وَثَّقَهُ القوم، وأثنوا عليه، وأخرج له الستة.

قال أبو داود الطيالسي: لا يعرف للزبير عن أنس إلا حديثاً واحداً.

وقال البخاري: توفي سنة إحدى وثلاثين ومئة بالري.

الثالث: في الأسماء الواقعة ـ هاهنا ـ سوى الرواة.

(دِحْيَةُ) ـ بكسر الدال وفتحها ـ لغتان، وهو دِحْيَة بْنُ خَلِيفَة بْنِ فَضَالَةَ بْنُ فَرْوَةَ الْكَلْبِيُّ، أسلم قديماً، وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهدَ كلها بعد بدر، وقد أرسله رسول الله ﷺ بكتابه إلى عظيم بصرى؛ ليدفعه إلى هرقل، وكان جبريل ـ عليه السلام ـ يأتي إلى النبي ـ عليه السلام ـ في صورته، وكان من أجمل الناس.

وحكي: أنه إذا قدم من الشام لم يبق امرأة بلغت الحيض إلا خرجت تنظر إليه.

روي له عن النبي ـ عليه السلام ـ ثلاثة أحاديث، وقيل: له حديثان.

أخرج له أبو داود من الستة.

روى عنه خالد بن يزيد، وعبدالله بن شداد، والشعبي، وغيرهم.

وشهد اليرموك، وسكن المِزَّةَ القريةَ المعروفة بجنب دمشق، وبقي إلى خلافة معاوية رضي الله عنهما.

وأما (عروة بن مسعود)، فهو أبو مسعود، وقيل: أبو يعفور عروةُ ابنُ مسعود بن معدن بن مالك [بن] كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف بن بكر بن هوازن بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان ـ بالعين المهملة ـ، الثقفيُّ، وأمه سبيعة بنتُ عبد شمس بن عبد مناف.

قال ابن إسحاق: لما انصرف النبي ـ عليه السلام ـ عن ثقيف، تبعه عروة بن مسعود، فأسلم، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، وكان فيهم مجاباً[1] مطاعاً، فرجع إليهم، فأظهر دينه، ودعاهم إلى الإسلام، فرموه بالنبل من كل وجه، وأصابه سهم فقتله، فقيل له: ما ترى في دمك؟ فقال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، فادفنوني مع الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ.

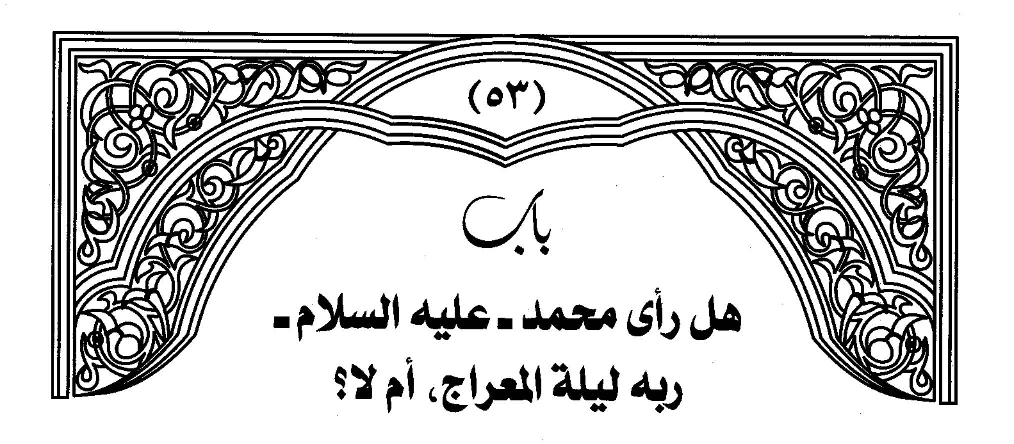
وأما (قَطَنٌ)، فهو عبدُ العزيز بن قطن ـ بفتح القاف والطاء ـ، جاهليٌّ.

* * *

---

(١) في الأصل: «مجيباً».





(٥٣) باب هل رأى محمد ـ عليه السلام ـ ربه ليلة المعراج، أم لا؟

٤٥٠ ـ (١٧٤/ ٢٨٠) ـ وَحَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَبَّادٌ ـ وَهُوَ ابْنُ الْعَوَّامِ ـ، حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[النجم: ٩]، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ.

٤٥١ ـ (١٧٤/ ٢٨١) ـ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِاللهِ، قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[النجم: ١١]، قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ.

٤٥٢ ـ (١٧٤/ ٢٨٢) ـ حَدَّثَنَا عُبَيْدُاللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ الشَّيْبَانِيِّ: سَمِعَ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ، قَالَ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[النجم: ١٨]، قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ.

أخرج له ـ هاهنا ـ ستة أحاديث:

الأول: حديث زِر بنِ حُبيش: سألت ابنَ مسعود عن قول الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[النجم: ٩]، قال: إن النبي ـ عليه السلام ـ رأى جبريل له سِتُّ مئةِ جناح.

وفي رواية في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[النجم: ١١] قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: رَأَى جِبْرِيلَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ.

وفي رواية في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[النجم: ١٨] قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ. أخرجه البخاري، والترمذي.

* * *

[٧٩ ـ باب

مَعْنَى قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣]، وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ؟]

٤٥٣ ـ (١٧٥/ ٢٨٣) ـ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣]، قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ.

الحديث الثاني: حديثُ أبي هريرة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣]، قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ. وهذا من أفراد مسلم.

إذا عرفت هذا، فالكلام ـ هاهنا ـ في مواضع:

الأول: في بيان المناسبة: لما أورد الأحاديث الدالَّة على رؤية النبي ـ عليه السلام ـ للأنبياء في المعراج، أراد أن يورد الأخبار الدالة على أنه رأى جبريل ـ عليهما السلام ـ بصورته التي خُلق عليها؛ ليعلم أن الآيات الواردة في الكتاب العزيز التي فيها خفاء في المرئي، حتى اختلف القوم فيها، محمولٌ على رؤية جبريل، وأنه ـ عليه السلام ـ ما رأى ربه، وإنما رأى جبريل، ورأى آثار قدرة ربه من النور وغيره.

الثاني: في تحقيق ذلك:

اعلم أن مسألة الرؤية من مشكلات المسائل في الكلام، وقد زَلَّت فيها الأقدام، وكلَّت عندها الأفهام، وكثر الخلاف والمِراء فيها.

ثم بعد اختلافهم في جواز رؤية الله تعالى في الآخرة، وأنه ـ على تقدير الجواز ـ هل واقع، أم لا؟ اختلف القائلون بالجواز والوقوع في أنه هل يجوز [أن] يقع في الدنيا، أم لا؟ وهل رأى نبينا ـ عليه السلام ـ ربه في المعراج، أم لا؟ وفي كل واحد من هذه المقالات لأصحاب المقالات حجج ومناقضات كثيرة في مواضعها.

ولما كان القولُ بحصول الرؤية في الآخرة للمؤمنين هو المذهب الحق، والقول الجزم، وعليه جمعٌ كثير من الأمة من الصحابة ومَنْ بعدهم، كان القولُ برؤية النبي ـ عليه السلام ـ في المعراج آثارَ قدرة ربه؛ من رؤية جبريل في صورته، ورؤيةِ النورِ، وغير ذلك من الآيات الكبرى، أسلَمَ.

وذهب بعض أهل الحديث إلى هذا القول، ودوَّنوا [ذلك] كتبهم،

فمسلمٌ ـ رحمه الله ـ جرى على منوالهم، وقدَّم ذِكْرَ عدمِ رؤية النبي ـ عليه السلام ـ ربَّه في المعراج على بيانِ حصولِ الرؤية في الآخرة ممن دخل الجنة؛ لأنـه يتعلق بحال المعراج، وهو في صدد بيانـه ـ أيضاً ـ، هذا في الدنيا، وذلك في الآخرة.

ولما كان أجلَّ ما يُتمسك [به] في هذا الباب على هذا المذهب قـولُ عائشـة ـ رضي الله عنهـا ـ، وسؤال أبـي ذر رضي الله عنه، أوردهمـا على الترتيب.

ولما كان في حديثِ أبي ذر نوعُ خفاء في دلالته على المقصود، وحديثِ أبي موسى، عقبه به، وهذا القول مروي عن أبي هريرة، وابن مسعود، وجماعة من الصحابة ومن بعدهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: رأى النبـي ـ عليـه السلام ـ ربـه بعينه.

وعنه: أن رسـول الله ﷺ قال: «رَأَيْتُ رَبِّـي عز وجل» رواه أحمـد، ورجاله رجال الصحيح.

وعنه: أنه يقول: إِنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَأَى رَبّه مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً بِـبَصَرِهِ، وَمَرَّةً بِفُؤَادِهِ. رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

وعنه: أنه قال: نَظَرَ مُحَمَّد ﷺ إِلَى رَبّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ»، قَالَ عِكْرِمَةُ: فَقُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ: نَظَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَى رَبّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ؟ قَالَ: نعَمْ، جَعَلَ الكَلاَمَ لِمُوسَى، وَالخُلَّةَ لإِبْرَاهِيمَ، وَالنَّظَرَ لِمُحَمَّدٍ. رواه الطبراني، وإسناده حسن.

ويروى عنه: أنه قال: «أَتَعْجَبُونَ أَنْ تَكُونَ الخُلَّةُ لإِبْرَاهِيم، وَالكَلاَمُ لِمُوسَى، وَالرُّؤْيَةُ لِمُحَمَّدٍ؟» ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

وعن عكرمة: أنه سأل ابن عباس: هَلْ رَأَى مُحَمَّد رَبّه؟ قَالَ: نَعَمْ.

وروي عن شعبة، عن قتادة، عن أنس، قال: رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبّه.

وَكَانَ الحَسَن يَحْلِف: لَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبّه.

وحُكي مثله عن ابن مسعود، وأحمد بن حنبل.

وحكى أصحابُ المقالات عن الأشعري القولَ بالرؤية في المعراج.

ووقف بعض المحققين في ذلك، وقالوا: لا شك في جواز الرؤية؛ لِمَا دلت عليه الأدلة المذكورة في موضوعه، وسؤال موسى ـ عليه السلام ـ أقوى دليل عليه.

والقول بأن مراده: العلم، فعبّر عنه بالرؤية بالمجاز ـ على ما قاله العلاف، وتبعه الجُبَّائي؛ وأكثرُ البصريين من المعتزلة ـ فاسدٌ؛ لأنه خلاف [الحقيقة]، ولزومه عدم علم موسى ـ عليه السلام ـ بربه، ويلزم ذلك ضال بلا ريب.

وكذا القول بأن المضاف مقدر، والمقصود: رؤية عَلَمٍ من أعلامه ـ على ما قاله الكعبي، والبغداديون منهم ـ، وبأن ذلك لأجل قومه على ما قال الجاحظ ومتبعوه[1] لما مَرَّ.

---

(١) في الأصل: «ومتبوعه».

وقد دلت الدلائل على الجواز مطلقاً، وعلى الوقوع في الآخرة، وإنما النزاع في الوقوع [في الدنيا]، فالواجب التوفيقُ، وإيكال الأمر إلى عالم الغيب؛ إذ لا مجال للعقل في ذلك، والنقل قد يُعارض؛ لما مَرَّ من كلام ابن عباس، وعائشة، وغيرهما، وغايةُ التمسك في النفي والإثبات بهذا الظواهر المتعارضة المُعرَّضة للتأويل، والمسألة ليست من باب العمليات حتى يكتفى منها بالظنون، وإنما هي من باب المعتقَدات، ولا مدخل للظنون فيها؛ إذ الظن في الحقيقة لتغليب أحد المجوِّزين، وهو من باب الشك مناقض العلم والاعتقاد، وهذا قول جمع من المحققين.

واختيارُ قومٍ إثباتَ رؤية نبينا ـ عليه السلام ـ ربَّه ليلة المعراج، وترجيحُ رواية ابن عباس رضي الله عنهما على رواية عائشة، فإنها سمعت عدمَ الرؤية، بل سمعت تفسير الآيتين، ولهذا لم تصرح بالرفع إلى النبي ـ عليه السلام ـ، بل احتجت للاستدلال، وسيجيء الكلام عليه.

وقد عرفت ـ فيما مَرَّ ـ أن قوى الأنبياء، خصوصاً قوة نبينا ـ عليه السلام ـ، واطلاعه على الأمور مغايرةٌ لقوى سائر الخلق، فلا يبعد أن تكون الدنيا عند كمال قوته بمنزلة الآخرة، وأن يعاين بعين اليقين هاهنا ما يحصل لغيره في الآخرة، وقد مَرَّ في حديث ابن عباس مرفوعاً إثباتُ الرؤية، وقد جاء فيما ذكرنا [ما] يوجب الاعتقاد به، ونحن ندين بذلك ـ إن شاء الله ـ.

وـ أيضاً ـ: إن هذه مرتبة للإنسان، ولله تعالى [. . . .].

واختلفوا ـ أيضاً ـ: هل كلَّم محمدٌ ربه ليلة الإسراء بغير واسطة، أم لا؟

فذهب ابن مسعود، وابن عباس، وجعفر بن محمد، وأبو الحسن الأشعري في طائفة من المتكلمين إلى إثباته.

وذهبت طائفة إلى نفي ذلك، والكلامُ على هذه المسألة كالكلام على مسألة الرؤية سواء، والمشهور من مذهب عائشة النفي، ولذلك استدلت بالآية الدالة على نفي الكلام والرؤية بحسب الظاهر ـ على ما سيجيء ـ.

وقد جاء: أن الله تعالى كلم عبدَالله بنَ حرام أبا جابر كِفاحاً، فالكلام مع محمد ﷺ أولى، وربما يستدل بذلك القائلُ بالكلام.

وربما يجاب: بأن الكلام مع عبدالله بعد خروجه من الدنيا، ودخوله الجنة، ولا نزاع فيه، وإنما التنازع [في] الكلام مع النبي ـ عليه السلام ـ في المعراج، وذلك من وراء التكليف.

الثالث: التعريف بالرواة سوى ما سلف.

(عَبَّاد)، وهو أبو سهل عبادُ بنُ العوام بنِ عمرَ بنِ عبدالله بن المنذر الكلابيُّ، مولاهم، الواسطيُّ.

عن حصين بن عبد الرحمن، وأبي مالك الأشجعي، وابن عون، وخلائق.

وعنه أحمد، وابن أبي شيبة، وآخرون.

وَثَّقَهُ ابن معين، وأبو حاتم، وأخرج له الستة.

وقال أحمد: مضطرب الحديث عن ابن أبي عروبة.

وقال ابن سعد[1]: كان يتشيع، فحبسه هارون زماناً، ثم خَلَّى عنه.

توفي سنة خمس وثمانين ومئة.

الرابع: في ترتيب الآثار:

لما كانت الآيات الثلاث الواردة في سورة النجم مما يتمسك بها في رؤية النبي ـ عليه السلام ـ ربَّه ليلة الإسراء، أورد الروايات المنقولة عن الصحابة، على أن المراد: رؤية جبريل بصورته، ولما كان قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣] يدل على تكرير الرؤية، انتقل إلى ذكر الرواية المشتملة عليه، المذكور فيها: أن المراد بها ـ أيضاً ـ رؤية جبريل، وأورد قول ابن عباس: (أنه رآه)؛ أي: ربه، فتكون الروايات المنقولة عن غير ابن عباس، أن المراد: رؤية جبريل، والمنقولة عنه: أنه رؤية ربه تعالى بقلبه لا بعينه، وليس [في] الكتاب الرواية المشتملة على بيان رؤيته ربَّه بعينه.

* * *

٤٥٤ ـ (١٧٦/ ٢٨٤) ـ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: رَآهُ بِقَلْبِهِ.

٤٥٥ ـ (١٧٦/ ٢٨٥) ـ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو

---

(١) في الأصل: «ابن سعيد».

سَعِيدٍ الأَشَجُّ جَمِيعاً، عَنْ وَكِيعٍ ـ قَالَ الأَشَجُّ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ـ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحُصَيْنِ أَبِي جَهْمَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[النجم: ١١]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣]، قَالَ: رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ.

٤٥٦ ـ (١٧٦/ ٢٨٦) ـ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، حَدَّثَنَا أَبُو جَهْمَةَ بِهَذَا الإِسْنَادِ.

الحديث الثالث: حديثُ ابن عباس، قَالَ: رَآهُ بِقَلْبِـهِ.

وفي رواية: قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[النجم: ١١]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣] قال ابن عباس: قَالَ: رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ.

أخرج الترمذي الروايتين، وله أخرى: أن ابن عباس قَالَ: رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ ﷻ، قال عكرمةُ: أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[الأنعام: ١٠٣]؟ قَالَ: وَيْحَكَ! ذَاكَ إِذَا تَجَلَّى بِنُورِهِ الَّذِي هُوَ نُورُهُ، وَقَدْ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ».

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: في التعريف برواته سوى ما ذكر.

(أَبُو جَهْمَةَ)، وهو زياد بن الحصين بن قيس اليربوعي.

عن ابن عباس، وابن عمر، وجمع.

عنه عاصمٌ الأحول، وعَوْن، ومطرٌ، وجماعة.

وَثَّقَهُ العجلي، وأخرج له مسلم، والنسائي، وابن ماجه.

وقال أبو حاتم: أبو جهم عن ابن عباس، مرسل.

الثاني: في معنى قوله: (رَآهُ بِقَلْبِـهِ) ليس المراد منه: العلم؛ فإنه ـ عليه السلام ـ كان عالماً به على الدوام، بل المراد على ما ذهب إليه المحققون من أن الرؤية لا يشترط فيها محل مخصوص عقلاً، بل يجوز أن تُخلق في أي عضو كان، وإنما العادة جرت بخلقها في العين، وقد نقل عن ابن عباس ـ فيما مَرَّ ـ: أنه ذهب إلى أن النبي ـ عليه السلام ـ رأى ربه ببصره، وهذا غير ذلك.

وإما أن تنقل عنه الروايتان جميعاً، ويحمل على أن غرضه: بيان أنه ـ عليه السلام ـ رآه بعينه، وبفؤاده ـ أيضاً ـ، وهو الأوجه، ويدل عليه رواية الترمذي ـ على ما مَرَّ ـ.

أو يكون المنقول أحدهما، ولمَّا بين أن المراد من رؤية الفؤاد غيرُ العلم، فإنه لا يُقَيَّد بمرتين، رواه بعض الرواة بلفظه، فقال: (رَآهُ بِفُؤَادِه)، وبعضهم لما فهم أنه المقصود، وقال: (رَآهُ بِقَلْبِـهِ)؛ ذهاباً إلى أن رؤية الفؤاد إذا لم تكن بمعنى العلم يكون مرادفاً للإبصار، والله أعلم.

وعن الواحدي: إن أكثر أهل التفسير على أن المراد: التدلي إلى جبريل، ورؤية الآيات الكبرى: رؤية جبريل، وكذا رؤيته ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾.

وأما قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[النجم: ١١] المراد: رؤية ربه،

فقال جمهور المفسرين: رآه بقلبه على ما هو الظاهر من الآية.

وعن أنس، وعكرمة، والحسن، والربيع: أنه رآه بعينه، وقد مرَّ.

الثالث: في شرح الألفاظ:

والقَابُ، والقِيبُ، والقَادُ، والقِيْدُ، والقيس: المِقْدَارُ، وقرئ في الشواذ بدل ﴿قَابَ﴾: (قاد)، و(قيد)، و(قدر).

[وقد] جاء التقدير في كلام العرب بالقوس، والرمح، والسوط، والذراع، والباع، والخطوة، والشبر، والأصبع، فورد ذلك على ما يتعارف بينهم، والمراد: بيان القرب، والتقدير: فكان مسافة قربه مثلَ قاب قوسين أو أدنى، على تقدير كم، كقوله: ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾[الصافات: ١٤٧].

* **وقوله: (ما كذب الفؤاد)**؛ أي: ما كذب فؤاد محمد ـ عليه السلام ـ ما رآه؛ أي: بفؤاده؛ من رؤيته ربَّه، أو بعينه منه، أو من رؤية جبريل.

وفي «الكشاف»: ما رآه ببصره من صورة جبريل؛ أي: ما قال فؤاده لمَّا رآه: ما أعرفك، ولو قال ذلك، لكان كاذباً؛ لأنه عرفه.

والمعنى: أنه رآه بعينه، وعرفه بقلبه، ولم يشك في أن ما رآه حق، وقرئ: ﴿ما كذَّب﴾ بالتشديد؛ أي: صدقه، ولم يشك أنه هو.

* **وقوله: (من آيات ربه الكبرى)** مثل: رؤية جبريل، وغير ذلك.

وقيل: الآيات التي هي كبرها وعظماها، يعني: حين رقي إلى

السماء، فأُري عجائب الملكوت.

والنزلة: المرَّة من النزول، ونُصبت نصبَ الظرف؛ أي: رآه مرة أخرى، فإن كان المرئي هو جبريل، فالنزلة له، وإن كان الله تعالى، فالنزلة عائدة إلى النبي ـ عليه السلام ـ، أو كانت له عرجات في تلك الليلة لاستحطاط الصلوات، فكل عرجة نزلة.

* * *

٤٥٧ ـ (١٧٧/ ٢٨٧) ـ حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ دَاوُدَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئاً عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ! ثَلاَثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ؛ قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ. قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئاً، فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ! أَنْظِرِينِي وَلاَ تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾[التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ المَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطاً مِنَ السَّمَاءِ، سَادّاً عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ». فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[الأنعام: ١٠٣]؟ أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ

﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورى: ٥١]؟ قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئاً مِنْ كِتَابِ الله، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[المائدة: ٦٧].

قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

٤٥٨ ـ (١٧٧/ ٢٨٨) ـ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بِهَذَا الإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ، وَزَادَ: قَالَتْ: وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِماً شَيْئاً مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، لَكَتَمَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[الأحزاب: ٣٧].

٤٥٩ ـ (١٧٧/ ٢٨٩) ـ حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ! لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي لِمَا قُلْتَ. وَسَاقَ الحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ.

٤٦٠ ـ (١٧٧/ ٢٩٠) ـ وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنِ ابْنِ أَشْوَعَ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ

لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[النجم: ٨ ـ ١٠]؟ قَالَتْ: إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ، كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ المَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ، فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ.

الحديث الرابع: حديثُ مسروق: كُنْتُ مُتَّكِئاً عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ! ثَلاَثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ؛ قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ. قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئاً، فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ! أَنْظِرِينِي وَلاَ تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ المَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطاً مِنَ السَّمَاءِ، سَاداً عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ». فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[الأنعام: ١٠٣]؟ أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورى: ٥١]؟ قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئاً مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[المائدة: ٦٧]؟ قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ،

وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[النمل: ٦٥].

وفي رواية نحو ما مَرَّ، وَزَادَ: قَالَتْ: وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِماً شَيْئاً مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْـهِ، لَكَتَـمَ هَذِهِ الآيَـةَ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾[الأحزاب: ٣٧] الآية.

وفي رواية: فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ! لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي لِمَا قُلْتَ. وَسَاقَ الحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ.

وفي رواية عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[النجم: ٨ ـ ١٠]؟ قَالَتْ: إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ، كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ المَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ، فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ. أخرجه البخاري، والترمذي.

وللترمذي: عن الشعبي، قَالَ: لَقِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَعْباً بِعَرَفَةَ، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَكَبَّرَ حَتَّى جَاوَبَتْهُ الجِبَالُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّا بَنُو هَاشِمٍ، فَقَالَ كَعْبٌ: إِنَّ اللهَ قَسَمَ رُؤْيَتَهُ وَكَلاَمَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى، فَكَلَّمَ مُوسَى مَرَّتَيْنِ، وَرَآهُ مُحَمَّدٌ مَرَّتَيْنِ. قَالَ مَسْرُوقٌ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ تَكَلَّمْتَ بِشَيْءٍ قَفَّ لَهُ شَعْرِي، قُلْتُ: رُوَيْداً، ثُمَّ قَرَأْتُ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[النجم: ١٨]، قَالَتْ: أَيْنَ يُذْهَبُ بِكَ، إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ مُحَمَّداً رَأَى رَبَّهُ، أَوْ كَتَمَ شَيْئاً مِمَّا أُمِرَ بِهِ، أَوْ يَعْلَمُ الخَمْسَ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[لقمان: ٣٤]، فَقَدْ أَعْظَمَ الفِرْيَةَ، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ، لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ إِلاَّ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وَمَرَّةً فِى جِيَادٍ، لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ، قَدْ سَدَّ الأُفُقَ.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: في التعريف برواته سوى ما سلف.

(زكريا): هو أبو يحيى زكريا بنُ أبي زائدةَ خالد بن ميمون، الهمذانيُّ الكوفيُّ، الحافظُ.

عن الشعبي، وخالد بن سلمة، وعطية، وجماعة، وأخرج له الستة.

وقال ابن معين: صالح، وقال أبو زرعة: يدلس كثيراً عن الشعبي.

وقال أبو حاتم: لين الحديث، ويدلس.

وقال أبو داود: ثقة، لكنه يدلس.

وقال أبو نعيم: توفي سنة ثمان وأربعين ومئة.

وأما (شيخه)، فهو سعيد بن عمرو بن أشوع الهمدانيُّ، الكوفيُّ.

عن الشعبي، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وأبي بردة، وجماعة.

وعنه أبو إسحاق، وسَلَمة بن كُهيل، وخالدٌ الحَذَّاء، وآخرون.

ذكره ابن حبان في «الثقات»، والترمذي.

وقال النسائي: ليس به بأس.

* **قوله: (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ)** الظاهر أن الضمير يرجع إلى جبريل؛ لقوله قبله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ

مَكِينٍ﴾[التكوير: ١٩ ـ ٢٠] الآيات، وإنما اشتبه الحال عليهم؛ لأن النبي ﷺ كان رأى جبريل مرات كثيرة، فتخصيص الرؤية بالأفق المبين، أو نزلة أخرى، توهم أنه رأى غيره، وهو الله تعالى، فلذلك أزالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ الإيهام، وذكرت أنها سألت رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فقال: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ المَرَّتَيْنِ»[1]، وهذا لا ينافي ما ذكرنا أولاً من [أن] عائشة ما روت عن النبي ﷺ عدم رؤيته ربه مصرحاً؛ لأن المرويَّ هو رؤية جبريل، وليس فيه نفي رؤية الله تعالى، وذلك لا يدل [على] نفي الرؤية، لذلك مالت إلى الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[الأنعام: ١٠٣].

والأجوبة عنها كثيرة، من جملتها:

أن الإدراك هو: الإحاطةُ بجميع جوانب المُدْرَك، ولا يلزم من نفيه نفيُ الإبصار، وقد نفي الإدراك مع وجود الرؤية في قوله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ﴾[الشعراء: ٦١ ـ ٦٢]؛ أي: لا يدركوكم.

ومنها: أن الإبصار عامٌّ قابلٌ للتخصيص، يخصص بالكافرين، كما قال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥]، وتحصل الرؤية للمؤمنين تكريماً وتشريفاً؛ كما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ

(١) في الأصل: «رأيت جبريل على صورة غيرها بين المرتين».

رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] الآية.

وبالجملة: الآية ليست نصاً في عدم الرؤية، ولا من الظواهر الجلية، فلا حجة فيها، وكذا عن قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾[الشورى: ٥١] الآية.

ومنها: أن الآية تدل على بيان أنواع التكلم من الله تعالى مع أنبيائه، وذلك لا يدل على عدم رؤيتهم، أو رؤية واحد منهم له، وإنما تصلح أن يستدل بها على نفي تكليم الله تعالى لمحمد ﷺ مشافهة، ولعل غرضها من الاستدلال بها: نفي الرؤية والكلام، على أنهما لا يثبت واحد منهما، وهو ظاهر.

ومن الناس من استدل بهذه الآية على إثبات التكليم لرسول الله ﷺ مشافهة، وعلى إثبات الرؤية له ـ أيضاً ـ، وقال: لمَّا جعل الله تعالى ذلك ثلاثة أقسام: من وراء [حجاب] كتكليم[1] موسى، وبإرسال الرسل ـ وهي الملائكة ـ كحال[2] جميع الأنبياء، ولم يبق من تقسيم المكالمة إلا كونها مع المشاهدة، فينبغي أن يثبت ذلك لمحمد ﷺ؛ إذ لا قائل بحصولها لغيره.

* **وقوله: (سَاداً عِظَمُ خَلْقِـهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ)** الرواية في (عُظْـمُ خَلْقِهِ) ـ بضم العين وسكون الظاء، وبكسر العين وفتح الظاء ـ، وفي قوله: (مَا كَانَ لِبَشَرٍ) بحذف الواو، وفي التنزيل: ﴿وَمَا كَانَ﴾[الشورى: ٥١]

---

(١) في الأصل: «التكليم».

(٢) في الأصل: «كان».

بالواو، وهذا لا يضر؛ لأن الغرض: بيان موضع الدلالة، لا التلاوة، فيجوز حذف نصف الآية، فكيف بحذف [حرف]؟ ومثله قوله ـ عليه السلام ـ: «فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾[هود: ١١٤]، وقوله: ﴿أقمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[طه: ١٤]» بحذف الواو في الحديثين، وبإثباتها في التنزيل.

* وفي قولها: (أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ) تصريح بجواز أن يقول الشخص: إن الله يقول كذا، على ما هو المشهور، خلاف ما روى أبو بكر بن أبي داود، عن مطرف بن عبدالله: أنه قال: يكره ذلك، والواجب أن يقال: إن الله تعالى قال، وكأنه احتراز عن إطلاق صيغة المستقبل الدال على الحدوث، ولكن الاستعمال الفاشي على استعمال (قال)، و(يقول)، على ما يعرف بالتدبر، وقد جاء في الأحاديث كثيراً، والله أعلم.

الثالث: في قولها: (وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِماً شَيْئاً مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، لَكَتَمَ هَـــذِهِ الآيَـــةَ: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ﴾[الأحزاب: ٣٧] الآية: قد ذكر بعض من لم يحقق الكلام من المفسرين في معنى هذه الآية فيما نسب إلى رسول الله ﷺ ما لا يليق به، ويستحيل عليه؛ لأن الله تعالى قد عصمه عن أمثال ذلك، فقال: إن النبي ـ عليه السلام ـ هوي زينبَ امرأةَ زيد، وربما أطلق بعض المُجَّان لفظَ العشق، ثم جاء زيدٌ يريدُ تطليقها، فقال له: ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ﴾[الأحزاب: ٣٧]، وهو مع ذلك يحب أن يطلقها ليتزوجها،

وهذا القول إنما يصدر عن جاهل بعصمته ـ عليه السلام ـ، وتنزهه عن مثل هذا، أو عن مستخفٍّ بحرمته، متبعٍ لهواه.

والذي عليه المحققون من المفسرين، والراسخين من أهل اليقين: أن تفسير هذه الآية ما حكي عن علي بن الحسين زين العابدين: إن الله تعالى أعلمَ نبيَّهُ بكون زينبَ زوجته، فلما شكاها زيدٌ له، وأراد أن يطلقها، قال له: أمسكْ زوجك، وأخفى في نفسه ما أعلَمَه الله به مما هو مُبديه بطلاق زيد لها، وتزويج النبي ـ عليه السلام ـ إياها، والذي خشيه النبي ـ عليه السلام ـ هو إرجافُ المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء، وتزوج بزوجة ابنه، وهذا هو تفسير هذه الآية عند من كان له معرفة بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه، ووجب الاعتمادُ عليه، وتركُ ما هو غيره، وسيجيء الكلام في كيفية التزويج، وما نزل فيه من الآيات في (كتاب النكاح) ـ إن شاء الله تعالى ـ.

الرابع: في قولها: (سُبْحَانَ اللهِ!) يستعمل في مكان التعجب، ثم أكد تعجبها بقولها: (لَقَدْ قَفَّ)؛ أي: قام واجتمع شَعْري، وقد يستعمل قَفَّ الشعرُ في الإنكار، والغرضُ من هذا التعجب المستعمل فيه: (سبحان الله) في هذا المقام: الإنكار، فأكده به، وأصل القَفِّ: الانقباض، يقال: قف الشيء: إذا انقبض، وقَفَّت الشجرة: يبست، ومنه: القُفَّة، وهي الزَّنبيل؛ لاجتماع أجزائها وانقباضها.

والغرض: الإنكار على السائل بأن مثل هذا ينبغي أن لا يخفى عليه حتى يحتاج إلى السؤال.

والخامس: في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾؛ أي: جبريل من رسول الله ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: فتعلق عليه في الهواء، والتدلي: التعلق والامتداد إلى جهة السفل، يقال: دلَّى رجليه من السرير، ومنه: الدوالي، وهي الثمر المعلَّق، وفي المثل: هُوَ مِثْلُ القِرِلَّى، إِنْ رَأَى خَيْراً تَدَلَّى، وإِنْ رَأَى شَرّاً تَوَلَّى، ويستعمل في القرب، والمعنى: ثم دنا من رسول الله ﷺ، فقرب إليه، ففي ذكر التدلي [و]الدُّنُو: بيانُ شدة القرب حتى يكون مثل قرب المتعلق بالمعلَّقِ في مثل مقدار القرب؛ كقاب القوس أو أقرب، وقال صاحب «النظم»: في الكلام تقديم وتأخير؛ أي: تدلى فدنا. وما ذكر من الوجه لا يخفى ما فيه من الحسن لفظاً ومعنى.

* * *

[٨٠ ـ باب:
فِي قَوْلِهِ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»،
وَفِي قَوْلِهِ: «رَأَيْتُ نُوراً»]

٤٦١ ـ (١٧٨/ ٢٩١) ـ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ».

الحديث الخامس: حديث أبي ذر: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ».

وفي رواية: كُنْتُ أَسْأَلُهُ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُوراً»[1] أخرجه الترمذي.

والكلام عليه في مواضع:

الأول: التعريف برواته سوى ما ذكر.

يزيد، وهو أبو سعيد يزيدُ بنُ إبراهيم التستريُّ، البصريُّ.

عن الحسن، وابن سيرين، وعطاء، وخلائق.

وعنه بَهْزٌ، ويزيدُ بنُ هارون، والقعنبيُّ، وآخرون.

وَثَّقَهُ أحمد، وجماعة، وأخرج له الستة.

وقال ابن معين: هو أثبتُ من جرير بن أبي حازم.

وقال يحيى القطان: ليس بذاك في قتادة.

توفي سنة إحدى وستين ومئة.

(عبدالله): هو أبو عبد الرحمن عبدُالله بنُ شقيق العقيليُّ، البصريُّ.

عن عمر، وعثمان، وعلي، وجماعة.

وعنه ابن سيرين، وأيوب، وخالدُ الحذاء، وآخرون.

وَثَّقَهُ ابنُ معين، وابن عُلية، وأخرج له الستة إلا البخاريَّ.

وقال يحيى القطان: كان سليمان التيمي سيء [الرأي] في عبدالله ابن شقيق.

---

(١) في الأصل: «كنت سألت: هل رأيت ربك؟ فقال: رأيت نوراً».

وقال أحمد: ثقة، وكان [يحمل] على علي ﷺ.

وقال ابن عدي: ما بأحاديثه بأسٌ ـ إن شاء الله تعالى ـ.

توفي سنة ثمان ومئة.

والثاني: في المعنى: قوله: (نُورٌ أَنَّى) الرواية في الأصول: (نُورٌ) ـ بالرفع ـ منونٌ، و(أَنَّـى) ـ بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحـة ـ، بمعنى: كيف؟ و(أَرَاهُ) ـ بفتح الهمزة ـ، والمعنى: هو نور كيف أراه؟ والضمير عائد إلى الله تعالى، يعني: أن المانع من رؤيتي إياه النور، وهو معنى قوله: (حِجَابُهُ النُّورُ)؛ أي: المانعُ من إدراك الإبصار له أشعة النور، على ما كانت العادة من منع النورِ الكثيرِ الكائنِ حوالي المرئيِّ من رؤيته.

* **وقوله: في الرواية الأخرى: «رَأَيْتُ نُوراً»** أيضاً معناه: رأيت نوراً، ما رأيت شيئاً آخر، ففي الرواية الأولى بيان أنه رأى النور، واستبعاد رؤيته تعالى، وفي الثانية بيان الأول فقط.

وذكر المازري: أن بعضهم روى: (نورانيٌّ أراه)، وقال: يحتمل أن يكون معناه راجعاً إلى ما قلنا؛ أي: هو خالق النور، والنور مانع لي من الرؤية، فيكون من صفات الأفعال، وذكر القرطبي: أن هذه الرواية ليست بصحيحة النقل، ولا موافقة للعقل، ولعلها تصحيف.

والثالث: في ملخص الكلام فيه:

فاعلم: أن التحقيق أن النبي ـ عليه السلام ـ ذكر هذا الجواب على طريق الذم عن سبب عدم الرؤية لاختصار المسافة، والزجر عن

كثرة الخوض في أمثال هذه الأسئلة؛ فإنه ـ عليه السلام ـ لو قال في جواب هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟: لا، لاحتمل أن يسأل السائل عن السبب، ويطول الكلام، ويكثر الخوض، وكان ينهى عن التفكر في الله، فالنهي عن الخوض بالطريق الأول؛ فالنبي ـ عليه السلام ـ قد ذكر أولاً السببَ، فينقطع الكلام، ويتحقق المرام، فقال: نورٌ كيف أراه؟ فإن النور نفسه إذا كان غالباً لا يمكن إبصارُه، فكيف برؤية الذي هو حجابه، والضمير في قوله: (أراه) حَقُّه أن يرجع إلى [الله سبحانه وتعالى]، ولا يناقض ما جاء في الرواية الثانية: (رَأَيْتُ نُوراً)؛ فإن الناظر إلى الشيء يحصِّل له أولاً إدراكاً بالشيء، ثم يديم النظر إلى تحقيقه، فإذا وقع بصره على النور، رآه، ثم غلب عليه بَعْدُ، فضعف عنه بصره.

ويحتمل أن تحمل رواية (نورانيّ) على ذلك ـ أيضاً ـ؛ فإنه لما وقع بصره، رأى شيئاً نُوِّر، وهو الحجاب، فلما أراد أن يديم النظر إليه، ضعف عنه بصره، إذ لا شكَّ أن المراد من النور هو الذي رآه، لا هو الذي سأله السائل، وهو الله تعالى؛ إذ يستحيل أن يكون الله نوراً، ولا يصح أن يعتقد ذلك مؤمنٌ، وما ذهب إليه بعض المُجَسِّمة؛ مثل: هشام الجواليقي، وأتباعه، فمن اتباع الهوى، وعدم التحقيق، فإن الله تعالى منزَّهٌ عن ذلك، كما تحقق في علم الكلام من أنه ليس بجسم، ولا جسمان، وقولهم: جسم لا كالأجسام، ونور لا كالأنوار، سَقْطٌ من القول، وتسببٌ بما لا فائدة فيه.

وأما ما وقع في لسان الشرع من إطلاق النور عليه تعالى، فمأوَّلٌ

بأن معناه: خالق النور، وقيل: بمعنى: الهادي، وقيل: بمعنى: ذي النور، وقيل غيرُ ذلك.

* * *

[٨١ - باب
فِي قَوْلِهِ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ -: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنَامُ».
وَفِي قَوْلِهِ: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ،
لأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»]

٤٦٣ - (١٧٩/ ٢٩٣) - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالاَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ؛ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ -، لَوْ كَشَفَهُ، لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: عَنِ الأَعْمَشِ، وَلَمْ يَقُلْ: حَدَّثَنَا.

٤٦٤ - (١٧٩/ ٢٩٤) - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَشِ بِهَذَا الإِسْنَادِ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ. ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ، وَلَمْ يَذْكُرْ: «مِنْ خَلْقِهِ». وَقَالَ: «حِجَابُهُ النُّورُ».

٤٦٥ ـ (١٧٩/ ٢٩٥) ـ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالاَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعٍ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ القِسْطَ وَيَخْفِضُهُ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ».

الحديث السادس: حديثُ أبي موسى: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ؛ فقَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ ـ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ ـ، لَوْ كَشَفَهُ، لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

وفي رواية: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وساق مثله، ولم يذكر: (من خلقه) أخرجه ابن ماجه في «السنة».

وفي الباب: عن أنس، مرفوعاً: «سألتُ جبريلَ: هَلْ ترى ربَّكَ؟ قال: إنَّ بيني وبينه سَبْعونَ حِجَاباً مِنْ نُورٍ، لو رأيتُ أَدْناها، لاحترَقْتُ» رواه الطبراني.

وعن عبدالله بن عمرو، وسهيل بن سعد، يرفعه: أنه «دُونَ اللهِ سَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ، وَسَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ، وَمَا مِنْ نَفْسٍ تَسْمَعُ شَيْئاً مِنْ حَسِّ تِلْكَ الحُجُبِ إِلاَّ زَهَقَتْ نَفْسُهَا» رواه أبو يعلى، والطبراني.

وعن أبي هريرة: أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ، فقال: «هَلِ احْتَجَبَ اللهُ عَنْ خَلْقِهِ بِشَيْءٍ غَيْرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ؟ قَالَ: «نعَمْ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَلائِكَةِ الَّذِينَ حَوْلَ العَرْشِ سَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ نَارٍ، وَسَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ نُورٍ، وَسَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ ظُلْمَةٍ، وَسَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ [دُرٍّ] رَفَارِفِ الإِسْتَبْرَقِ، وَسَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ رَفَارِفِ السُّنْدُسِ، وَسَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ دُرٍّ أَبْيَضَ، وَسَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ دُرٍّ أَحْمَرَ، وَسَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ دُرٍّ أَصْفَرَ، وَسَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ دُرٍّ أَخْضَرَ، وَسَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ ضِيَاءٍ اسْتَضَاءَهَا مِنَ النَّارِ وَالنُّورِ، وَسَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ ثَلْجٍ، وَسَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ مَاءٍ، وَسَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ غَمَامٍ، وَسَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ بَرَدٍ، وَسَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ عَظَمَةِ اللهِ الَّتِي لا تُوصَفُ»، [قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ مُلْكِ اللهِ الَّذِي يَلِيهِ]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصَدَقْتُ فِيمَا أَخْبَرْتُكَ يَا يَهُودِيُّ؟»، قَالَ: نعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ المَلَكَ الَّذِي يَلِيهِ إِسْرَافِيلُ، ثُمَّ جِبْرِيلُ، ثُمَّ مِيكَائِيلُ، ثُمَّ مَلَكُ المَوْتِ».

إذا عرفت [هذا]، فالكلام ـ هاهنا ـ في مواضع:

الأول: التعريف برواته سوى ما سلف:

(عمرو): وهو أبو عبدالله عمرو بنُ مرةَ بنِ عبدالله بنِ طارقِ بنِ الحارثِ الجَمَليُّ، الكوفيُّ الأعمى، أحدُ الأعلام.

عن عبدالله بن أبي أوفى، ومرة الطيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وخلائق.

وعنه ابنه عبدالله، ومنصور، ومِسْعر، وآخرون.

وَثَّقَهُ القوم، وأثنوا عليه كثيراً، وأخرج له الستة، وربما نقموا عليه بالإرجاء.

توفي سنة عشر ومئة.

(شيخه)، وهو أبو عبيدة عامرُ بنُ عبدالله بنِ مسعودٍ الهذليُّ، الكوفيُّ، وقيل: اسمُه كنيته.

عن أبيه، ولم يسمع منه. وحديثه عنه في السنن الأربعة، وعن أبي موسى، وكعب بن عُجرة، وعائشة، وخلائق.

وعنه إبراهيم النخعي، ومجاهد، ونافع بن جبير، وآخرون.

وَثَّقَهُ القوم، وأخرج له الستة.

قال أحمد: كانوا يفضِّلونه على أخيه عبد الرحمن.

وقال عمرو بن مرة: سألته: هل تذكر من أبيك شيئاً؟ قال: لا.

قال أبو داود: مات أبوه وله سبع سنين، قال عمرو: فُقد ليلة دجيل سنة إحدى وثمانين.

الثاني: في الجمع بين الروايتين:

* **قوله: (بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ)** الظاهر أن المراد من الكلمات: الجمل المستقلة في إفادة المعنى؛ فإن قوله: «وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ» وكلاهما كلمة واحدة، وكذلك قوله: «وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ» من تتمة قوله: «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ»، فكانا كلمة.

فالأولى: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنَامُ، [وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ]».

[والثانية:] «يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ».

والثالثة: «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ. . .» إلى آخره.

والرابعة: «حِجَابُهُ النُّورُ».

والخامسة: «لَوْ كَشَفَهُ» من جملة قوله: «حِجَابُهُ النُّورُ»، ومتعلق به، ولكنه مفيد فائدة لا تفيدها الأولى، جعل (فِي رِوَايَة) كلمة خامسة، و(فِي رِوَايَة) تتمة للرابعة، فقال: «بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ» في الرواية الثالثة، ولم يذكر: «حجابه النور. . .» إلى آخره، فقيل: مذكور، ولكن لم يذكره مسلم اختصاراً، فتكون مثل التي قبلها، وإنما التعبير في قوله: «وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ» بتقديم ذكر النهار على الليل في هذه الرواية، عكس التي قبلها، وحذف لفظة (قَبْل)، وإيراد الباء بدلها، وقيل: الرواية تامة، ما حذف منها شيء. وقوله: «حِجَابُهُ النُّورُ» غير مذكور فيها، فعلى هذا جعل كل واحد من قوله: «وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ» كلمة، فيحتمل على هذا: أن الاعتبار بالخمس والأربع في الروايتين السابقتين فيها، لا في قوله: «لَوْ كَشَفَهُ»، فتدبر.

الثالث: في المعنى:

فاعلم: أن المعلومَ من الكلمات أمورٌ:

من الأولى: عدم جواز النوم على الله تعالى؛ لأنه موت كما قال ﷺ حين سئل عن نوم أهل الجنة، فقال: «النَّوْمُ أَخُو المَوْتِ،

والجَنَّـة لا مَوتَ فيهـا»، و- أيضاً - النوم راحـة من تعب التصرف، ويحصل للشخص تغيير من صفة الكسالة إلى صفة الجلادة، ولا شك في أنه تعالى منزه عن كل ما يوجب الغفلة والتغيير، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة: ٢٥٥].

ومن الثانية: أن نصيب الخلق من الرزق وغيره بأمره وبقدره؛ كما قال: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[الحجر: ٢١]، والمعنى: أن أعمال العباد تعدل عنده وتحفظ، وأرزاقهم تقسم وتنزل.

والقسط: الميزان؛ لأنه في الأصل: العدل، وبالميزان تعدل الأشياء، فعبَّر عن التسوية وحصول العدل والنِّصْفَة في الحفظ، والإعطاء بالوزن بالميزان تمثيلاً وتصويراً، ولما كان خفض الميزان للثقل، ورفعه للخفة، ومن كرم أكرم الأكرمين إعطاءُ الأجر الجزيل والرزق الجميل عند حصول العمل القليل، قدم الخفض على الرفع، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾[القارعة: ٦ - ١٠].

وقيل: إن القسط هو العدل نفسُه، ويراد به: الشرائع والأحكام، كما قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[الحديد: ٢٥]، فهي النصفة المأمور بها في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[النحل: ٩٠]، فتارة يرفعه بمعنى: يعليه ويظهره بوجود الأنبياء وأصحابهم وأتباعهم العاملين به، وتارة يخفضه بمعنى: أنه يُذهبه ويُخفيه بدروس الشرائع، ورجوعِ الأكثر عن الاستقامة.

وقيل: رفع الأمانة ونصبها؛ كما قال ـ عليه السلام ـ: «أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْهُ الصَّلاةُ».

ويجوز أن يراد بالقسط: العلم، وأنه إخبار عن رفعه من الأرض؛ كما قال ـ عليه السلام ـ: «عليكُمْ بالعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ»، وخفضه: إيجاده في الأرض، ووضعُه فيها.

والمفهوم من الثالثة؛ أي: الأعمال ترفع إليه بسرعة؛ فإن الليل والنهار متعاقبان، فيرفع العمل الواقع في الليل قبل مجيء النهار، والعمل الواقع في النهار قبل مجيء الليل، ولما كان امتياز الليل من النهار بغروب الشمس، وامتياز النهار من الليل بطلوعها، أو الفجر، وكان اتصال أحدهما بوجه لا يتخلل بينهما شيء غير سرعة رفع الأعمال إليه، بأنه يرفع عمل الليل بعد مُضيِّهِ ودخول النهار، وعمل النهار ـ أيضاً ـ كذلك.

ولما كان ذلك بالنسبة إلى قدرة الله تعالى أمراً ميسَّراً واقعاً، ووجود[ه] لا يتأخر عند تعلق إرادته بحال، ولا يتوقف على زمان كما تتوقف أمور المخلوقات، ذكر أنه يرفع إليه عمل الواقع في أحدهما بعد مضيه ودخول الآخر؛ إيماء إلى ذلك، ولما كان بعد مضي أحدهما يدخل الآخر بلا تخلل، ذكر أن عمل النهار يرفع بالليل، وعمل الليل بالنهار، نظراً إلى ما يتفاهم الناس، فَرَفْعُ العمل بالحقيقة وبالنظر إليه تعالى لا يتوقف على زمان، ولا يوجد فيه، بل بعد وجوده وصدوره من العامل، يحيط علمه به موجوداً، كما أحاط في الأزل بأنه

سيوجد، وبالظاهر وبالنظر إلى الملائكة الرافعين يوجد في زمان، ويرفع عمل كل واحد منها في أول جزء الآخر.

فالروايتان ناظرتان إلى هاتين الجملتين، ولما كان إخلاص العمل في الليل أكثر من النهار، والعمل المفيدُ به المستأهِلُ بأن يُرفع هو الذي بالإخلاص، قدَّمَ ذكرَ عمل الليل؛ لأنه الذي يكون سببَ خفضِ الميزان، ولما لوحظ في الرواية الثانية رفع الملائكة بالعمل، وذلك في الزمان، ورفعهم ـ أيضاً ـ عمل يؤثر في قبول ما رفعوا، لوحظ وقت الرفع، لا وقت العمل، فقيل: يرفع إليه عمل النهار بالليل.

والضمير في (إليه) عائد إلى الله تعالى، على تقدير مضاف، والمراد: المحل الذي تنتهي إليه الملائكة بأعمال العباد، ولعله سِدْرةُ المنتهى ـ كما تقدم ـ، وهذا كما تقول: دفع المال إلى الملك؛ أي: إلى خزائنه، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[فاطر: ١٠]، وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج: ٤]، ونحو ذلك، وإنما احتجنا إلى هذا التأويل؛ لاستحالة الجهة في حقه تعالى على ما جاء مصرحاً في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد: ٤]، ونحوه، ولدلالة الدلائل العقلية والنقلية على ذلك.

والمفهوم من الرابعة: عظم جلاله ـ جل جلاله ـ؛ بحيث لا يبلغ أحد من خلقه إلى أوائل مراتب إدراكه ـ تعالى وتقدس ـ، وعبَّر عن ذلك بالحجاب تمثيلاً وتفهيماً، وإن كان هو منزهاً عن الحجاب؛ إذ

العادة أن الملوك والسلاطين كانوا محجوبين عن أن يصل إلى جنابهم كلُّ من يريد، فمالكُ الملوك، وربُّ الأرباب، وإن كان قريباً إلى عباده، عالماً بأحوالهم، وأقرب إليهم من حبل الوريد، لكِنْ نظراً إلى كمال ذاته، وعلو صفاته، لا تدرك عقولُ جميع مخلوقاته أوائلَ مراتب كمالاته، فعبَّر عن ذلك بالحجاب؛ تشبيهاً لذلك بالحجاب الذي هو المانع في الحقيقة للمخلوقين، لا إلى الخالق؛ فإنه منزه عن الحجاب والحد، ويستحيل عليه؛ لأنه يلزم منه الحدوث، وهو منزه عنه.

وذكر أن الحجاب: النور، أو النار، وفي بعض الأحاديث: الظلمة والماء، وغير ذلك ـ كما مَرَّ ـ إيماء إلى أن المراد بالحجاب ليست الحجب حقيقة، وأنها ليست بموانع، بل المانع: إرادته ومشيئته وقدرته، وهذه تمثيلات، وهذا هو المذهب الحق، وعليه مذهب أهل السنة من السلف والخلف.

وقالوا: إن الرؤية والإدراك فعلُ الله تعالى، وخَلْقُ ذلك في المدرِك، ولا يشترط في المرئي والمدرَك سوى وجوده، إلا من حيث مجرى العادة، خلافاً للفلاسفة ومن اقتفى آثارهم من ضُلاَّل المعتزلة؛ حيث اشترطوا في الرؤية رفعَ الموانع؛ من الحجب الثخينة، والقربِ والبعدِ المفرِطين، واشترطوا اتصالَ الأشعة، ومقابلةَ المرئي، وافتقار الإدراك لنبيِّه مخصوصة، وهي العين، وهذه الدعاوى حملتهم على نفي رؤية العباد لله تعالى أصلاً، وقال بعضهم[1]: إن ما وراء الله لا يَرى

---

(١) في الأصل: «وقال بعضهم إلى».

ولا يُرى ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ـ، فأبان النبي ﷺ أن حَجْبَ الله لأبصارِ خلقِه مشيئتُه وخلقُه إلى أنه يحجبه شيء، وأن النور الذي هو في العادة سببٌ للإدراك، والموجب للرؤية، يحجب بمشيئته عنه العباد، كما يحجبهم ضده من الظلمة، وكذلك الماء بشفوفه ورقته، والنار بضوئها.

وفي هذا الحديث بيان للجواب المذكور في حديث أبي ذر؛ حيث قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»، أو «رَأَيْتُ نُوراً»، فإنه لما قال ذلك، خطر في قلوب السامعين أن النور الذي هو المرئي بأي طريق كان، فقام رسول الله ﷺ خطيباً، وبيَّن أن المراد بالنور المانعِ: هو قدرته ومشيئته؛ فإن قوى البشر في هذا العالم قاصرة عن احتمال هذا الأمر ـ ولو قدر الله تعالى، وأراد من غير أن يخلق قوة التحمل للمدرك، لاضمحلَّ الكل، كما ذكر، وذكر أن حجابه النور، أو النار، إيماء إلى أنه ليس من جنس ما يحجب، بل هو تمثيل لما يليق بجلاله، ولما كان الوجه وارداً في صفات الله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٧]، ويؤول بالذات، أو يؤمن به، ويترك التأويل والخوض، على ما هو المذهب في أمثاله، والحجابُ الذي ورد تمثيلاً يكون في الأصل لستر وجه مَنْ له الحجاب = جاء ذكرُ الوجه بهذه المناسبة، ولمناسبة النور، وذكرُ السُّبُحات، وهي جمع سُبْحَة؛ في «الأساس»: يقال: أسألك بسُبُحاتِ وجهك؛ أي: بما يسبح به من دلائل عظمتك وجلالك. ويقرب إليه ما في «الغريبين» وغيره، من أن المراد من سبحات الوجه: نوره وجلاله وبهاؤه.

الرابع: في مرجع الضمائر:

اعلم: [أن] آراء القوم اضطربت في مرجع الضمائر، فذهب قوم إلى أن كلها ـ يعني: الضمير في (حِجَابُهُ)، و(وَجْهه)، و(بَصَرُهُ) ـ يرجع إلى الخلق، والمعنى: مانعُ الخلق عن الرؤية النورُ، لو كشف الله تعالى المانع، لاحترقت وجوه المخلوقين، وهذا كما ترى بعيد جداً، فإن الرواية رفعُ السبحات، بأنها محرقة لا محترقة.

وذهبت طائفة إلى أن الضمير في (حِجَابه)، و(وَجْهه) لله تعالى، وفي (بَصَره) للخلق، فيقرب الكلام بهذا التقدير إلى الانتظام، وفيه نوع بعد في أنّ قوله: (بَصَره) فاعل قوله: (انتُهَى)، وقوله: (مِنْ خَلْقِهِ) بيان لما في قوله: (مَا انتُهَى)، وقول [. . . .]: لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه من خلقه بصره، وفيه حزازة لا تخفى، ويحتاج إلى أن يفك النظم، ويقدر: لأحرقت سبحات وجهه من خلقه ما انتهى إليه بصره منهم.

ولأجل ذلك ذهب المحققون بأن الضمير في قوله: (بَصَره) راجع إلى الله تعالى، كما أن الضمير في (حِجَابُهُ)، و(وَجْهه) راجع إليه، حينئذ يتم الانتظام، ويصير المعنى: أن سبحات وجهه تحرق الجميع؛ إذ لا من شيء إلا ورؤية الله تعالى تنتهي إليه، فكأنه قال: لو كشفها، لأحرقت جميع الخلق، كما مَرَّ في حديث أنس: أن جبريل قال: «لو رأيتُ أدناها، لاحترقتُ»، والمعنى: أن الله تعالى لو كشف عن خلقه ما منعهم به من رؤيته في الدنيا، لَمَا أطاقوا رؤيته، ويهلكوا

من عند آخرهم؛ لأنه إنما خلقهم في هذه الدار الفانية لأجل التكليف والابتلاء، والارتحال والفناء، فإذا أنشأهم للبقاء، وقوَّاهم، احتملوا ذلك.

وقد حمل بعض أهل المشرب الحجب على ما يمنع المعرفة من العلوم العادية الناقصة، المانعة للعقل عن المعرفة، والمعنى: لو كشف الله تعالى تلك الحجب عن المخلوقين، وأراحهم منها، وظهرت الأنوار والمعارف التي [هي] من وجه الحقيقة وجهه، لأحرقتهم ولأهلكتهم، ولم يحتملها ضعفُ تركيبهم، ولكنه تعالى إنما يكشف منها اليسير بقدر احتمال قواهم الضعيفة، حتى إذا شاء الله تعالى، وقواهم، وربط على قلوبهم، احتملوا رؤيته، ومشاهدة عجائب ملكوته وقدرته، بقدر ما أعطاهم من القوة، ويؤيد ذلك: ما جاء في قوله ـ عليه السلام ـ: «فلا يسمعُ حِسَّ ذلكَ أحدٌ لا يربَطُ على قلبه، إلا خلع أفئدته بالموت».

وحمل بعضُهم حجاب النور على: المعرفة، والمعنى: حجبت هذه المعرفة، وهي معرفة أن لا مِثْلَ له، ولا نِدَّ له هي النور، وبيان أن العجز عن إدراكه إدراك، كما قال الصِّدِّيق. قال الله تعالى ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[الزمر: ٢٢]، وقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[النور: ٣٥]، فالمراد ـ والله أعلم ـ: أنه لا يريد كشف الحجاب في هذه الدار، فراعى مراده سبحانه وتعالى، وإلا، فالمساكين يرضون بالاحتراق ألف مرة.

وللكلام في هذا المقام بسط، لولا مخافة الغبار، وملاحظة الأغيار.

فلنرجع إلى الكتاب، ونبين الفوائد المتعلقة بفحوى الخطاب.

وفي جعله حجابه النور إيماءٌ إلى سعة رحمته، وأن رحمته سبقت غضبه؛ فإن النور خيرٌ محضٌ، فرفعُ العمل القليل المشتمل على الخير يخفض القسط، بأنه بنوره الفائض على جميع مخلوقاته، وإعطائه التوفيق لهم، وخلقهم على الفطرة، يقبل العمل اليسير، ويثيب عليه الثواب الجزيل.

وفي جعل النار إيماءٌ إلى أن أفعال العباد لا تقتضي فيضان النور عليهم، ولكن بفضله عليهم تقبل منهم، ففيه إشعار إلى الوعيد، كما أن في الأول إشعاراً إلى الوعد.

وفي إسناد الإحراق إلى سبحات الوجه دون الحجاب، إيماءٌ إلى أن الإفناء من صفات جلال الجمال.

والحاصل: بيان أن رحمته قريب إلى عباده، وهو أقرب إليهم من كل شيء، وترفع إليه أعمالهم موجودة بأسرع ما يمكن، ولكن لا تُدرك ذاته، ولا تُعلم صفاته لغاية كمال المُدْرَكِ، وضعف المُدْرِكِ، فلو أمكن اتصالُ قوى المخلوقات إلى ساحة إدراكه، لاضمحلت، ولا يبقى لها أثر، فأشار إلى جانب كماله، وطوى ذكرَ جانب ضعف المخلوقات؛ لأنه يعلم من ذلك.

وـ أيضاً ـ: يليق بالكمال ذكرُ جانبه، لا جانب النقصان.

ولَمَّا كانت الكلمة الخامسة منطوية تحت الرابعة ـ كما أشرنا إليه ـ، وكما وردت به الرواية المشتملة على ذكر الأربع، طوينا ذكره.

وإنما لم يتوسط العاطف بين الكلمات؛ لأن كل واحدة مبيِّنة للتي قبلها بوجه.

فالأول لمَّا اشتمل على نفي الغفلة عنه ـ تعالى وتقدَّس ـ، بيَّن ذلك بأن جميع أمور المخلوقات تحت قدرته وإرادته، فكيف تصح عليه الغفلة والنوم؟

ولما عبر عن ذلك بخفض القسط ورفعه، بيَّنه في الثالثة؛ بأن سبب ذلك عمل المخلوقات؛ فإنها ترفع إليه دائماً.

ولما كان في ذلك إبهام رؤية الرافعين للأعمال له، كما كان حال المخلوقات، نبَّه على دفع ذلك بالرابعة، فقال: «حِجَابُهُ النُّورُ...» إلى آخره، فعلم أنه محيط بجميع الأشياء، لا يَعْزُب عنه شيء، ويعمل على ما تقتضيه إرادته، لا يدركه أحدٌ من خلقه، ولا ينتهي إليه، بل جميعُ ما سواه بالنظر إلى كماله في حيز الفناء والزوال، فلا يصح عليه النوم والغفلة وكل ما فيه نوعُ نقصان، ولا يمكن للمخلوقات في دار التكليف رؤيته، وكلُّ واحدة من الكَلِمِ مُبيِّنة للتي قبلها، فلا مجال للعاطف بينها، ولو وجد، لكان بين القضاء، [...] كما في حمل آية الكرسي؛ فإن الحديث على رزانتها معنى وأسلوباً، فتأمله.

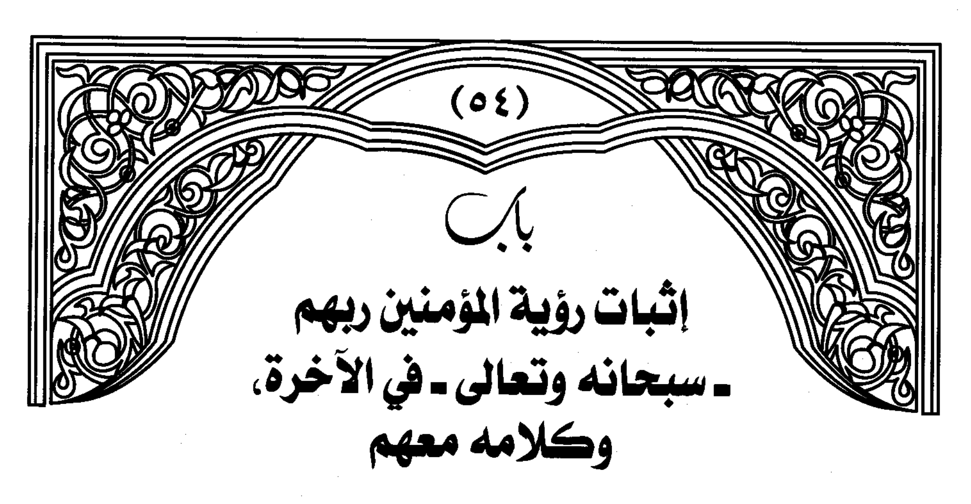
الخامس: في قوله: **(وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: عَنِ الأَعْمَشِ)** لمَّا ذكر في الأول: أن أبا بكر بن أبي شيبة، وأبا كُريب حَدَّثاه عن الأعمش،

أشار إلى أن أبا كُريب قال: (حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ)، وأبا بكر قال: (عَنِ الأَعْمَشِ)، فيكون بين روايتي أبي كريب وأبي بكر عن الأعمش فرقٌ؛ فإن في أحدهما: (حَدَّثَنَا)، وفي الآخر: (عَنِ)، وإنما أَخَّر هذا الكلام إلى هذا الموضع، مع أن دأبه ذكرُ الفرق في أوّل الإسناد؛ لأمرين؛ أحدهما: في المتن، وهو لفظ (النار) بدل (النُّورُ)، والثاني: في الإسناد، وهو هذا، فدل الحديث بإسناد أبي كريب، ثم ذكر التفاوت في إسناد حديث أبي بكر ومتنه.

والثاني: أن الأعمش مدلِّس كما مَرَّ ـ والرواية عن المدلس يعني ليست بقوية ـ فأخَّر هذا الكلام؛ ليعلم أن إيراد الحديث لأجل رواية أبي كريب الدالة على الاتصال، وإنما ذكر رواية أبي بكر ـ أيضاً ـ لأجل بيان التفاوت.

* * *





إثبات رؤية المؤمنين ربهم ـ سبحانه وتعالى ـ في الآخرة، وكلامه معهم

٤٦٦ ـ (١٨٠/ ٢٩٦) ـ حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، وَأَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعاً، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ ـ وَاللَّفْظُ لأَبِي غَسَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ ـ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

أخرج ـ هاهنا ـ أحدَ عشرَ حديثاً:

الأول: حديث أبي موسى عبدالله بن قيس، عن النبي ـ عليه السلام ـ: أنه قال: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

أخرجه البخاري، والترمذي في (صفة الجنة)، وأبو داود في

(الإيمان)، والنسائي في «الكبرى»[1]، وابن ماجه في (السنة).

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: في المناسبة:

لما ذكر في الباب المتقدم ما يدل على عدم رؤية النبي ـ عليه السلام ـ ربَّه في المعراج، استشعر أنْ يُظَنَّ أن مذهبه امتناعُ رؤيته تعالى مطلقاً، واستحالته دائماً، كما ذهب إليه أهلُ البدع من المعتزلةِ والخوارجِ وبعضِ المرجئة، فأورد الأحاديثَ الدالةَ على رؤية المؤمنين في الآخرة ربَّهم ـ سبحانه وتعالى ـ كما هو مذهب أهل الحق، ونطقت بها الآيات الكريمة في الكتاب العزيز، ووردت بها الأحاديث الصحاح عن سيد المرسلين، ورواها جمع كثير من الصحابة، والشكوك الواردة من طرف الخصوم مُنْحلَّة، والشبه مضمحلَّة، لا ينبغي أن يُلتفت إليها، وقد حُقق ذلك في علم الكلام.

الثاني: في التعريف برواته سوى ما سلف: عبد العزيز، وشيخه، وأبي بكر.

وأما **(عبد العزيز)**، فهو أبو عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد العَمِّي.

عن منصور بن المعتمر، وحصين بن عبد الرحمن، ومطر الوراق، وجماعة.

وعنه أحمد، وابن راهويه، وابن معين، وابن المديني، وخلائق.

---

(١) في الأصل: «التقوى».

وَثَّقَهُ أحمد، وأبو داود، وأخرج له الستة.

وقال أبو حاتم: صالح.

وقال الفلاَّس: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يوم مات عبدُ العزيز يقول: ما مات شيخ منذ ثلاثين [سنة] شبهه، أو مثله، أو أوثق منه.

توفي سنة سبع وثمانين ومئة.

وأما (شيخه)، فهو أبو عمران عبدُ الملك بن حبيب الجَوْنيُّ، الأزديُّ، أحدُ علماء البصرة.

عن جندب بن عبدالله، وأنس بن مالك، وعائذ بن عمرو، وجماعة.

وعنه سليمان التيمي، وابن عون، وشعبة، والحمادان، وخلائق.

وَثَّقَهُ ابن معين وغيره، وأخرج له الستة.

وقال أبو حاتم: صالح.

وقال الفلاس: مات سنة ثمان وعشرين ومئة.

وأما (أبو بكر)، فقيل: اسمه عمرو، وقيل: عامر بن أبي موسى الأشعري.

عن أبيه، وجابر بن سمرة، وابن عباس، والبراء، وغيرهم.

وعنه أبو إسحاق السبيعي، وابنه يونس بن أبي إسحاق، وبدر بن عثمان، وجماعة.

أخرج له الستة.

قال ابن سعد[1]: كان أكبر من أخيه أبي بردة.

الثالث: في المعنى:

* **قوله: (جنتان)**، والمراد بهما: إِمَّا العدد اختصاراً، ويكون بياناً لصنف من الجنان، واقتصر على الاثنين من كل منهما.

وإِمَّا المراد: الزوج[2]؛ أي: زوج من هذا، وزوج من ذلك، من غير ملاحظة العدد.

ويحتمل أن يكون المراد: أن لكلِّ عاملٍ مستحقٍّ لدخول الجنة جنتان من فضة، وجنتان من ذهب.

والأقرب أن يراد: أنَّ عن أحد جانبي جنة العدن جنتين من فضة، وعن الجنب الآخر جنتين من ذهب، حتى تكون جنة العدن في الوسط.

وربما يستدل [على] ذلك بذكر جنة العدن بعد ذكرهما؛ كما مُثِّل في قوله تعالى: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾[سبأ: ١٥] الآية، ويؤيده: رواية الترمذي: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ جَنَّتَيْنِ»، وساق الحديث.

وقدَّم ذكر الفضة؛ لأن المقام مقامُ الترقي، وروعي ذلك في

---

(١) في الأصل: «ابن الخير».

(٢) في الأصل: «الرفع».

تقديم ذكر الآنية ـ أيضاً ـ، فإنه بيان كون الآنية لذلك فقط، والغرض الترقي في صفة الجنة، لا في بيان فضيلة الآنية، والترقي في توصيفها إنما يكون بهذا الطريق، وفي العكس يكون القصد إلى بيان فضيلة الآنية، وليس الغرض ذلك.

والرداء يستعار في المعروف، قال:

غَمْــرُ الــرِّداء إذا تَبَــسَّم ضــاحِكاً

وللسيف، قال:

يُنَـــازِعُنِي رِدَائِـــي عَبْـــدُ عَمْـــرٍو
رُوَيْـــدَكَ يَـــا أَخَـــا عَمْـــرِو بْـــنِ بَكْـــرِ
لِـــيَ الـــشَّطْرُ الَّـــذِي مَلَكَـــتْ يَمِينِـــي
فَـــدُونَكَ فَـــاعْتَجِرْ مِنْـــهُ بِـــشَطْرِ

إذ بكل واحد من المعروف والسيف يُصان عرضُ صاحبه صونَ الرداء لما يُلقى عليه.

وبالجملة: استعمالُ العرب الرداءَ في كلامهم بمعنى: الشيء الذي يُصان[1] به الشيء عن الابتذال، ويُحفظ من التغير والزوال كثيرٌ، واستعمالُهم الاستعاراتِ في الكلام، وعدُّها ذلك من المُحَسِّنات أمرٌ

(١) في الأصل: «يصون».

واضح لا يخفى على المتأمل في كلامهم، ولذلك ذكر النبي ـ عليه السلام ـ الرداءَ في صفات الله تعالى؛ جرياً على قواعدهم، وخطاباتهم بما يعرفون ويستعملونه في كلامهم، فاستعار النبي ـ عليه السلام ـ لعظم سلطان الله تعالى وكبريائه وعظمته وهيبته وجلاله لفظَ الرداء في هذا الحديث، وفي حديث آخر: «الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي»، ولا شك أن الكبرياء والعظمة ليسا من جنس الثياب، حتى يَظُنَّ ظانٌّ اختصاصَ شيء من ذلك بالله تعالى، بل المراد: اختصاصُ الكبرياء والعظمة به ـ تعالى وتقدس ـ لا يشاركه فيها أحد، كما يختص الثوب بصاحبه، ألا ترى إلى آخر الحديث: «مَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا، قَصَمْتُهُ ثُمَّ قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»، فعُلم أن المقصود: أن الكبرياء والعظمة مختصان به، ليس لأحد فيهما مشاركة، كما في سائر صفاته، ومن خَطَر بباله شيء من مشاركة الغير في صفة من صفاته، فلا شك في استحقاقه العذاب الشديد.

ومثل هذه الاستعارة ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾[النحل: ١١٢] الآية، ومن لم يكن له تدرُّبٌ بصناعة المعاني والبيان، [و]ليس له اطِّلاع على أساليب أرباب اللسان، يتحير في أمثال هذه المقامات، فمن ثلاثة: [جاهلٍ] مَحْضٍ أجرى الأمرَ على ظاهره، فقالَ بالتجسيم والتشبيه، ومن مخضرمٍ في النباهة استحال ظواهرَها، ولم تتضح له وجوهُها بجهله بكلام العرب واستعمالاتهم، [أو كان] قاصاً، فإما كذَّب الأصل؛ كالمعطِّلة، أو

كذَّب هذه الآثار، وطرحَها؛ كالمعتزلة، ومرجعُ الكل [إلى] الجهل بأساليب الكلام، والنباهة عن تفطن أساليب العرب من الخواص والعوام، ومجيءِ ذلك كلِّه في الكتاب العزيز على أحسن الوجوه وأكمل الطرائق.

وما اندرج من كنوز الحقائق، وكشف القناع عن ذلك في هذا المقام، وبيان أن الوارد في الحديث الذي نحن بصدده، والحديث الآخر الذي ذكرنا من أيِّ أنواع الاستعارة، والوارد في الآية الكريمة من أيِّ أنواعها، والفرقُ بين كلٍّ واحد منها يُخرج الكلامَ عن المقصود؛ إذ الغرض ـ هاهنا ـ بيان أن الاستعارة موجودة في كلام العرب، معدودة عنهم من مجالس [. . .]، وسنشير ـ إن شاء الله ـ في كل موضع [إلى] ما يليق بيانه. فلنرجع إلى الكتاب.

* فقوله: (رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ) ويروى: (رِدَاءُ الكِبْرِ)، و(رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ) كلاهما بمعنى، والمراد: أن عظمته وجلاله وكبرياءه ـ تعالى وتقدس ـ مانعٌ من إدراك المخلوق له، وأن يروه بأبصارهم، مع أن رحمته ورأفته قريب إليهم، وذلك يقتضي أن لا يحرمهم من كل ما فيه بُغْيتهم، ولكن لمَّا كانت الدنيا دار العمل، والنفوس فيها منغمسة في بحار الشهوات، مغمورة في غَمَرات اللذات، والقُوى منحصرة على إدراك ما يكون مشخَّصاً معيناً محفوفاً بالعوارض والمشخصات، ولا يحصل للعامل ما يستحق المجازاة على عمله؛ لأنه بعدُ في دار التكليف، كانت الرؤية في الدنيا بهذه القوى الضعيفة

لا تحصل لهم، ولا في الآخرة إلا لمن فاز بدخول الجنة؛ لأنه تعالى لمَّا أنعم عليهم، وأحلهم دارَ المُقامة من فضله، وأعطاهم كلَّ ما يشتهونه، وليس وراء نعمة الرؤية نعمة، لا جرم ما حرَّمها عليهم، وأنعم عليهم بها إنعاماً على وجه الكمال، وزيادة في الإفضال ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

* وقوله: (فِي جَنَّةِ عَدْنٍ) لابد للظرف من متعلق بمحذوف، ويكون حالاً من القوم، كأنه قال: كائنين في جنة عدن، ولما ذكرنا من أن الحجاب بمعنى المانع، وليس المراد أن بين الرائي والمرائي حجاب من جنس الأشياء، مثل النور والظلمة وغيرهما، بل المراد: أن المانع من الرؤية مشيئةُ الله تعالى وإرادته، فإذا أراد الرؤية، يخلق قوةً قابلة لها، وقد تقرر أن ذلك إنما يكون في دار الجزاء، وزوالُ المانع عبارةٌ عن خلق القابلية في الرائي.

ورداء الكبرياء استعارةٌ عن العظمة والجلال، فعلى هذا لا يبعد أن يكون قوله: «فِي جَنَّةِ عَدْنٍ» ظرفاً للمانع، وبياناً للمكان الذي يزول فيه المانع، ويحصل المقصود.

وحاصل المعنى: أنه ليس بين القوم وبين النظر إلى ربهم إلا المانع الكائن في جنة عدن، فإذا دخلوها، يزول المانع، ويحصل المقصود؛ كما يقال: المانع من رؤية الملك البوَّاب في الباب، يعني: إذا حصل الدخول في الباب، فقد حصل المقصود، وفي هذا إيماء ـ أيضاً ـ إلى أن المانع من رؤية المؤمنين ربَّهم إنما يزول بعد دخولهم

الجنة؛ لأنهم قبل ذلك ما حصل لهم الفوز والنجاة التام، وما استتبَّ لهم الأمرُ على حسب ما يرومونه، فإذا لم يحصل لهم الاستقرار، ولم يزل عنهم الاستتار، فأنَّى يحصل لهم قصارى المقصود، ونهايةُ المأمول؟

ويدل على ما ذكرنا: الأحاديث الآتية؛ مثل: حديث صهيب وغيره، فإن قوله: «تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟» بعد دخولهم في الجنة، صريحٌ في أن قابلية الرؤية إنما تحصل لهم في الجنة، لا قبل دخولها، فإذا قال لهم ذلك، أجابوا بأن كل ما يتمنون فقد حصل لهم، أنعم عليهم بما يكون وراء مطموعهم، فخلق فيهم القوة القابلة للرؤية المعبَّرِ عنها بكشف الحجاب.

فإن قلت: كيف قالوا ذلك، وقد بقي لهم من النعم ما هو أجلُّها وأقواها، وهو النظر إلى وجه ربهم، وقد عرفوا ذلك في الدنيا، وماتوا على هذا الشوق، ولا شك أنهم يُحشرون على ما يموتون عليه؟

قلت: قالوا ذلك أدباً، وإبعاداً لأنفسهم عن قابلية ذلك، واعتداداً بالنعمة الحاصلة لهم، وعِلماً منهم بأن رب الأرباب عالمٌ بأحوالهم، مطلعٌ على ما في ضمائرهم من الاشتياق، وأن الإنعام عليهم بذلك الشوق، وقيل: على وصولهم إلى هذا الذوق، وأن إدخالهم إلى نعيم الجنان علامة خلاصهم من جحيم الحرمان.

وبهذا ظهر أن ما قيل: إن هذا جواب بعض أهل الجنة، وهم الذين ماتوا على الخوف والرجاء، لا جواب الذين ماتوا على كمال

المعرفة والمحبة والشوق، ليس على ما ينبغي، فتأمل.

* * *

٤٦٧ ـ (١٨١/ ٢٩٧) ـ حَدَّثَنَا عُبَيْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ـ قَالَ: ـ يَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ ـ قَالَ: ـ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ».

٤٦٨ ـ (١٨١/ ٢٩٨) ـ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَزَادَ: ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

الحديث الثاني: حديث صُهيب عن النبيِّ ـ عليه السلام ـ، قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ـ قَالَ: ـ يَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ ـ قَالَ: ـ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ـ تبارك وتعالى ـ».

وفي رواية بزيادة: ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

أخرجه الأربعة سوى أبي داود، وفي رواية الترمذي، وابن ماجه: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ! إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِداً يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا» الحديث.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: في إسناده:

* **قوله: (حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ـ عليه السلام ـ)** هكذا رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن حماد بن سلمة، بهذا الطريق، وذكر الترمذي، وأبو سعيد الدمشقي: أن حماد بن سلمة قد رواه مرفوعاً فقط، وقد روى سليمان بن المغيرة، وحماد بن زيد، وحماد ابن واقد عن ثابت، عن ابن أبي ليلى، وليس فيه ذكر النبي ـ عليه السلام ـ، ولا ذكر صهيب، وأنت خبير بأن هذا لا يقدح في صحة الحديث؛ لِمَا مَرَّ من أن المذهب المختار حمل الحديث الذي رواه بعض الثقات متصلاً، وبعضهم مرسَلاً على الاتصال، وكذا لو رواه بعضهم مرفوعاً، وبعضهم موقوفاً، فالحمل على الرفع؛ لأنها زيادة ثقة، وهي مقبولة بالاتفاق.

الثاني: في التعريف برواته سوى ما سلف.

صهيب، وهو أبو يحيى، وقيل: أبو غسان، صهيبُ بنُ سنانَ المعروفُ بالروميِّ.

قال ابن سعد: كان أبوه أو عمه عاملاً لكسرى على الأبلَّة، وكانت منازلهم بأرض الموصل، فأغارت عليه، فَسَبَت صُهيباً صبياً، فنشأ عند الروم، ثم ابتاعه منهم بنو كليب، وقدمت به مكة، فاشتراه عبدالله بن جدعان، وأعتقه. وأما أهله، فيقولون: هرب من الروم وقدم مكة، وحالف ابن جدعان.

هاجر صهيب، وشهد بدراً.

روى عنه بنوه: حمزة، وزياد، وحبيب، وسعد، وصفي، وعباد، وعثمان، ومحمد، وصالح، وابن عمر، وكعب الأحبار، وخلائق، وهو من السابقين الأولين.

وأخرج له الستة.

توفي بالمدينة سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين سنة.

والثالث: فيما يتعلق بمعناه، وقد مَرَّ في الحديث السابق شيءٌ من ذلك.

وفيه: بيان أن الإنعام بالرؤية إنما هو من الرب تعالى بدون طلب من المؤمنين، وأن ذلك بعد استقرار الأمر، وحصول كل قرين منزله، ويكون على سبيل النداء، ويناديهم بذلك أمر الله تعالى، ولذلك جاء في رواية الكتاب مسنَداً إلى الله تعالى.

ويحتمل أن يكون القول من الله تعالى بعد نداء المنادي، فإنهم لما سمعوا، توجهوا إلى سماع القول، فقال ربهم ما قال، ويؤيده: حديث جابر بن عمير: أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَا أَهْل الجَنَّة

فِي نَعِيمهِمْ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُور، فَرَفَعُوا رُؤُوسهمْ، فَإِذَا الرَّبُّ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلاَم عَلَيْكُمْ يَا أَهْل الجَنَّة، قَالَ: وَذَلِكَ قَوْله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[يس: ٥٨]، قَالَ: فَيَنْظُر إِلَيْهِمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْء مِنْ النَّعِيم مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى يَحْتَجِب عَنْهُمْ، وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ» أخرجه ابن ماجه.

* * *

[٨٣ ـ باب
مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ]

٤٦٩ ـ (١٨٢/ ٢٩٩) ـ حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ نَاساً قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟». قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟». قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً، فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ فِي صُورَةٍ غَيْرِ

صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا، عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟». قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلاَّ اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللهَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟

فَيَقُولُ: لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللهُ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الجَنَّةِ، وَرَآهَا، سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ! قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لاَ تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ؟ وَيْلَكَ يَا بْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! وَيَدْعُو اللهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ. فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ! فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، انْفَهَقَتْ لَهُ الجَنَّةُ، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ. فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ، قَالَ: ادْخُلِ الجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا، قَالَ اللهُ لَهُ: تَمَنَّهْ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ، وَيَتَمَنَّى، حَتَّى إِنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لاَ يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئاً. حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَّ اللهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ: «وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ» يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلاَّ قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ

مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ.

٤٧٠ ـ (١٨٢/ ٣٠٠) ـ حَدَّثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ ابْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ وَسَاقَ الحَدِيثَ بِمِثْلِ مَعْنَى حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ.

٤٧١ ـ (١٨٢/ ٣٠١) ـ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ، مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ. فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ».

الحديث الثالث: حديثُ أبي هريرة: أَنَّ نَاساً قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟». قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟». قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ

كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً، فَلْيَتَّبِـعْهُ، فَيَتَّبِـعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِـعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، وَيَتَّبِـعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا، عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِـعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟». قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلاَّ اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ المُؤْمِنُ بَقِـيَ بِعَمَلِـهِ، وَمِنْهُمُ المُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَى مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِـلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً

الجَنَّــةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! اصْرِفْ وَجْهِـي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِـي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللهَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُـولُ: لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّــهُ مِنْ عُهُـودٍ وَمَوَاثِيـقَ مَا شَاءَ اللهُ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الجَنَّةِ، وَرَآهَا، سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ! قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لاَ تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ؟ وَيْلَكَ يَا بْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! وَيَدْعُو اللهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ! فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، انْفَهَقَتْ لَهُ الجَنَّةُ، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟ وَيْلَكَ يَا بْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ، قَالَ: ادْخُلِ الجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا، قَالَ اللهُ لَهُ: تَمَنَّهْ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ، وَيَتَمَنَّى، حَتَّى إِنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لاَ يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئاً. حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو

هُرَيْرَةَ: «أَنَّ اللهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ: وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ» يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلاَّ قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ.

وفي رواية: «إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ. فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ» أخرجه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأبو داود، والترمذي بعضه.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: في باب السائلين:

* **قوله: (أَنَّ نَاساً قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟)**، وفي «البخاري» في هذا الحديث: (أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ!، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟)، فالناس معرَّف في رواية البخاري، والنداء مقدم على السؤال، وفي الكتاب مُنكَّر، والنداء مؤخَّر، والمعنيان متقاربان.

وفي رواية البخاري إيماءٌ إلى أن السؤال إنما يكون من جمع كثير، حتى كأنهم الناس على الحقيقة، أو الكاملون منهم المعهودون، حيث تبادر الذهن إليهم عند الإطلاق.

وفيه: إشعار بعظم هذا السؤال، وأن هذا الأمر ينبغي أن يُعتنى

بشأنه، ويُسأل من كافة الناس في الحقيقة.

وفي رواية الكتاب إيماءٌ إلى أن الصحابة الذين كانوا مصاحبين للنبي ﷺ في أكثر الأوقات، قد سمعوا ذلك من النبي ـ عليه السلام ـ، وعرفوه، وإنما سأله ناسٌ قريبو العهد بالصحبة، أو يكون التكثير للتعظيم.

والثاني: في قوله: (هَلْ تُضَارُّونَ) يروى بضم التاء، والراء مشددة ومخففة: هل تلحقون غيركم الضَّيْرَ؛ أي: الضرر، أو هل يلحقكم ذلك في رؤية القمر ليلة البدر، كما يقع ذلك في رؤيته ليلة الأول من الشهر لأجل الزحام والمخالفة.

وبفتح التاء والراء كذلك بمعناها، والمشهور: ضم التاء مع تشديد الراء، وأصله: تَضارَرُونَ، أُسكنت الراء الأولى، وأدغمت في الثانية، وهو يحتمل أن يكون مبنياً للمجهول، وأن يكون مبنياً للفاعل؛ لأن الراء قبل الإدغام يحتمل أن تكون مفتوحة، وأن تكون مكسورة، وكله من الضرِّ ـ المشدد ـ، وأما المخفف، فهو من ضَارَهُ يَضِيرُهُ ويَضُورُهُ ضَيْراً، فإذا بُني لِمَا لم يُسم فاعلُه، قيل فيه: يضار ـ مخففاً ـ، وأما فتح التاء، فهي مبنية للفاعل، بمعنى: تتَضارون، حذفت إحدى التاءين استثقالاً.

ويروى: (تَضَامُّونَ) ـ بفتح التاء والميم مشددة ـ، أصله: تَتَضامُّون؛ أي: تجتمعون لرؤيته، وبضمها والميم مخففة، وأصله: تُضْيَمُون على وزن: تُفْعَلون، ألقيت فتحة الياء على الضاد، وقلبت

الياء ألفاً؛ لسكونها وانفتاح ما قبلها، فصار: تُضامون، والمعنى: لا يلحقكم ضَيم، وهو المشقة.

وحاصل الروايات: التنبيه على أنهم كما لا يشكُّون في رؤية القمر ليلة البدر، ولا يلحقهم مشقةٌ في رؤيته، ولا يقع منهم اختلاف فيه، كذلك يرون ربهم تعالى يوم القيامة في غاية الوضوح بلا ريب، ولا شك[1] ولا اختلاف.

وإنما قدَّم ذكر القمر على الشمس، مع أن الشمس في الظهور أقوى من القمر؛ إيماءً إلى ما مَرَّ من أن العبادة هي سبب دخول الجنة، وبعد الدخول يحصل هذا المرام، ولَمَّا كانت عبادة الليل أقوى وأقربَ إلى القبول، قدم كوكبه في الشَّبَه، وإلى مثل هذا أومأ في حديث جرير: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا»؛ حيث أردف ذلك بذكر الصلاة، وتقديم ذكر القمر؛ لأجل الإيماء إلى أن زمان كونه كوكبه، وهو الليل، أَدْخَلُ في العبادة من النهار، والمراد من النهار ـ هاهنا ـ: من طلوع الشمس إلى غروبها، فإن الشبه وقع بظهور الشمس، فأكثر الصلوات المفروضات تكون بالليل ـ أيضاً ـ. ويحتمل أنه أخَّر ذكر الشمس؛ لأن تزيين الشيطان لها أكثر من تزيينه القمر، ولهذا أكثر من عندها، فَحَسُنَ تقديم

---

(١) في الأصل: «ولا ريب».

القمر؛ لأن الغواية الموجبة للحرمان عند الرؤية تشبيه أقل، وهذا ـ أيضاً ـ وجه تقديم الشمس على القمر، «فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ».

والثالث: في الرواية:

* **قوله: (فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ)** هذا تشبيه للرؤية، وبحالة الرائي والمرئي، والمعنى: إنكم تستوون في رؤية الله تعالى من غير مضارة ولا مزاحمة، كما تستوون في رؤية الشمس والقمر عياناً.

وقد تأولت المعتزلة الرؤية في هذه الأحاديث بالعلم، وقالوا: معناها: أنهم يعلمون الله عياناً، وهذا باطل لفظاً ومعنى.

أما لفظاً، فلأن الرؤية بمعنى العلم، تعدَّى إلى مفعولين، وقد عُدِّي ـ هاهنا ـ إلى واحد، ولا يمكن أن يقال: إنها بمعنى: عرفت؛ لأن العرب لا يستعملونها بمعنى علمت، ويستعملون علمت بمعنى: عرفت.

وأما معنًى: فلأن التشبيه بالشمس والقمر: أنها تصح بالمعاينة، لا بالعلم؛ لأن الكفار يعلمونه ـ أيضاً ـ في الآخرة بالضرورة، فتخصيصُ المؤمنين بالذكر، وتخصيص دخول الجنة، وسؤال الله تعالى عنهم؛ لعطاء إنعام آخر سوى ما أنعم، كلها ينافي تأويلهم، ولا شك في فساده، وإنما اضطرَّتْهم إلى ذلك قواعدُهم الفاسدة.

والرابع: في قوله: (يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ): لمَّا ذكر النبيُّ ـ عليه

السلام ـ [سؤالهم] وجوابهم، وبيَّن لهم أنهم يرون ربهم بلا ريب ولا استتارة، انتقل إلى ذكر حال الناس يوم القيامة؛ ليستعدوا لاستحقاق رؤية ربهم، ويحصل لهم علمٌ على حال القيامة، فيعرفوا منه أن الرؤية مخصوصة بالمؤمنين، لا تحصل لغيرهم قط، ويكون ذلك تسلية لهم وقوة رجاء فيه، ومُعيناً على التوجه إلى العبادة، وطلب مرضاة الله تعالى، وتسهيلاً لِمَا يجري عليهم في الدنيا، وإرشاداً إلى أن الشدائد الدنيوية كَلاَ شدائد بالنسبة إلى الشدائد التي في الآخرة؛ لأن هذه تنقضي وتزول، وتلك تبقى وتدوم.

اللهمَّ بحقِّ كمالِ ذاتك، وجمالِ صفاتك لا تفضَحْنا يومَ مُجازاتك، واهْدِنا إلى الثبات على مرضاتِك يا قديمَ الإحسان.

والخامس: في اتباع كل عابد معبوده، ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت؛ الظاهر: أن المراد بالطاغوت، كلُّ ما عُبد دونَ الله تعالى، على ما قاله المحققون، وروي عن ابن عباس، ومقاتل، والكلبي: أن الطاغوت: الشيطان، وهو ـ أيضاً ـ بمعنى الأول؛ لأن كل ما عُبد من دون الله إنما يُعبد بسبب الشيطان؛ لأنه لمَّا كان الآمر، والمزين[1] لهم، فكأنهم يعبدونه.

وقيل: الطاغوت: الأصنام، وهو ـ أيضاً ـ قريب إلى ذلك.

وبالجملة: الأحسن أن يقال: إن ذكر الطواغيت بعد ذكر الشمس

---

(١) في الأصل: «والمترتب».

والقمر تعميم[1] بعد التخصيص، ويندرج فيه جميعُ ما يُعبد من دون الله تعالى.

* وقوله: (وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ) قيل: المراد: أمته ـ عليه السلام ـ، وطَوَى ذكر المؤمنين من سائر الأمم؛ لأن الغرض: بيان الحال لأمته؛ ليحصل لهم الانزجار عن المعاصي، والرغبة عن[2] الطاغوت، ويؤيده: حديث أبي موسى الأشعري، مرفوعاً: «يُحشر الناسُ يومَ القيامة، فينادي منادٍ: أليس عدلاً مني أَنْ أُولي كلَّ قوم ما كانوا يعبدُون؟ ثم تُرفعُ لهم آلهتُهم، فيتَّبِعُونَهَا، حتَّى لا يبقى أحدٌ إلا المؤمنون، فيقال لهم: ما بِكُم؟ قالوا: ما نرى إلهَنا الذي كُنَّا نَعْبُد، قال: فيتجلَّى لهم ـ تبارك وتعالى ـ» رواه الطبراني.

ويحتمل أن يكون المراد بالأمة: متَّبعي الرسل من أيِّ أمة كانت، فإن كل مَنْ كان على التوحيد، والتزام ما وجب عليه من الأوامر والنواهي، فهو من أمة الحق، وكل من كان على خلافه، فهو من فرقة الضلالة، ويدل عليه قوله: «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً، فَلْيَتَّبِعْهُ»، ولما كان المؤمنون المتبعون للرسل يعبدون الله تعالى، فلا يتبعون في ذلك اليوم شيئاً، ويبقون في مكاناتهم، وهذا أوجَه، ويدل عليه ـ أيضاً ـ الحديث الآتي بعد هذا؛ حيث قال: «إلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وغُبَّرِ أهلِ الكتاب».

---

(١) في الأصل: «يفهم».
(٢) في الأصل: «إلى».

وأما بقاء المنافقين معهم، فلأجل أنهم [كانوا] في الدنيا مخلوطين بهم، منخرطين في سلكهم، مظهرين الإيمان بألسنتهم، فيفعل بهم ذلك ـ أيضاً ـ يوم الجزاء؛ مكافأة لفعلهم؛ حيث لم يؤمروا بابتغاء شيء آخر، وبقوا ـ أيضاً ـ في مكانهم مع المؤمنين، فيقوى رجاؤهم بأنهم فازوا، وصاروا من أهل الإيمان الكامل، وعلَّقوا رجاءهم بالنجاة الأبد، والروح السرمد، ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[الحديد: ١٣]، و﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[البقرة: ١٧] يحلُّ بهم ما لا يرجونه، وينزل عليهم ما لا يتوقعونه، بل يرون خلافه، من حصول البأس، ويرون المكروه بعد رؤية محامل السرور أشدُّ تأثيراً، وأقوى تقطيعاً، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾[الزمر: ٤٧] نعوذ بالله وبكرمه من ذلك، ونسأله رضاه ورحمته.

السادس: في إتيان الله تعالى في قوله: (فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ) إتيانُ الله تعالى، وإطلاقُ الصورة عليه تعالى من جملة المتشابهات، وقد كَلَّت أفهامُ القوم فيها، والسلامة: التوقُّفُ في ذلك، والإيمان به، وعدم الخوض في تأويله، مع العلم بأن هذه الظواهر الواردة في الكتاب والسنة، الموهمةَ التجسيمَ والتشبيه، مستحيلٌ حملها على ظاهرها؛ لما يعارضها من ظواهر أُخَر؛ كما هو دأب السلف، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران: ٧].

وبعض القوم لما خاضوا في التأويل، قالوا: الإتيان عبارة عن

رؤيتهم له؛ لأن في العادة أن من غاب، لا يمكن رؤيته إلا بالإتيان.

وقيل: المراد: إتيان بعض الملائكة، وهو أشبهُ، وأشدُّ طباقاً بالصورة.

وقيل: المراد من الصورة: الصفة، والمعنى: يريهم الله تعالى شيئاً فيه صفات الحدوث، وسمات المخلوق، ويقال لهم: «أَنَا رَبُّكُمْ»؛ امتحاناً، وهذا آخر امتحان المؤمنين ـ على ما قيل ـ.

ولكن القول بأن المراد: إتيان الملائكة بصورة من صورهم أشدُّ طباقاً؛ لما جاء في الرواية الأخرى: «أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ»، فإن معناه ـ والله أعلم ـ: أقرب صورة إلى صور المخلوقات، ولذلك استعاذوا منه إلى الله تعالى.

وبالجملة: المعنى: أن هذه الصورة لمَّا خاطبتهم بأنها ربهم، وقد رأوا عليها سمات الحدوث، استعاذوا منها إلى الله تعالى، وقالوا: «نحنُ لا نَبْرَحُ مِنْ مَكَانِنا هذا حتَّى يجيءَ ربُّنا»؛ أي: أمره وخطابه، «فإذا جاء ذلك، نَحْنُ نعرِفُه»، وإنما عرفوه بعد ذلك أنه ربهم؛ لِمَا علموا في الدنيا من أنه لا يشبه شيئاً، وهو منزه عن صفات المخلوقين، فإذا رأوه كذلك، علموا أنه ربهم.

والحاصل: أن في يوم الجمع ما اتبع كلُّ عابد معبودَه، وبقي المؤمنون في مكانهم غيرَ تابعين لشيء؛ لأنهم ما عبدوا إلا الله تعالى، وبقي المنافقون مختلطين بالصادقين، والمراؤون متلبسين بالمخلصين، امتحنهم الله تعالى بإرسال صورة، أو إظهار صفة، فلما

وفَّقهم إلى الجواب، وثبت أقدامَهم، تجلَّى لهم على الصفة التي يعرفونه، فيقرون بأنه ربهم، ويتبعون أمره.

وظاهر هذا الكلام: أن الاستعاذة من الواقفين في مكانهم جميعاً؛ من المؤمنين والمنافقين؛ لأن امتياز المنافقين منهم إنما يكون بعد ذلك، وأما في الحقيقة الاستعاذة من المؤمنين الخلَّص خاصة، والمنافقون وإن كانوا معهم، لكن ينبغي أن تكون الحيرة قد دهمتهم، والدهشة قد أفحمتهم، حتى بقوا جامدين في مكاناتهم.

والظاهر من حديث أبي سعيد؛ حيث قال: «حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ»: أن المؤمنين الذين هَمُّوا بالانقلاب، هم الذين لم يكن لهم رسوخ العلماء، ولا ثبوت العارفين، ولا يكون اعتقادهم عن بصيرة، وكمالِ علم ونظر، وإنما يكون بالتقليد، فعلم من ذلك أن الثبات على اليقين في ذلك الموطن العظيم لا يكون إلا للخلَّص من المؤمنين.

ثم الواقع في حديث أبي سعيد ـ على ما سيجيء ـ: أنهم يُمتحنون بعد السؤال الأول الذي سُئِلوا عند رؤية الصورة بالسجود، فمن كان يعبد الله تعالى بالإخلاص، يَقدِرُ على السجود، ومن لم يكن كذلك، لا يقدر عليه، بل كلما أراد أن يسجد، خَرَّ على قفاه، ثم يرفع المؤمنون الخلص رؤوسهم من السجود، ويرون ربهم.

وبالجملة: الروايات متوافقة على أن الاستعاذة من المؤمنين الخلَّص، والاحتمال الذي ذكره الخطابي: أن الاستعاذة من المنافقين

خاصةً، بعيدٌ جداً، اللهمَّ إلا أن يكون مراده: أنهم إذا قيل لهم: «فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ» على ما جاء في رواية أبي سعيد، فحينئذ استعاذوا من اتباع غير الله تعالى، زعماً منهم بأن تستُّرهم بالمؤمنين، وإخفاءهم الكفر يفيدهم هنا، كما كان يفيدهم في الدنيا، وهذا لجهلهم بالله وصفاته، فهذه الاستعاذة غير الاستعاذة المذكورة في هذا الحديث؛ لأنها مذكورة ـ أيضاً ـ من حديث أبي سعيد، فيحتمل أن يكون المراد من الاستعاذة الأولى: استعاذتهم خاصة؛ لأنهم لمَّا كانوا مختصين من بين القوم الواقفين بالموقف بهذا الخطاب، احتمل أن تختص الاستعاذة بهم.

وأما هذه الاستعاذة المذكورة في هذا الحديث المصرحة في حديث أبي سعيد، فلا معنى للحمل على استعاذتهم قطعاً، فضلاً عن الحمل على اختصاصهم.

والسابع: في الصراط:

* **قوله: (وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ)** فيه تصريح بإثبات الصراط، وفي رواية أخرى: «ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ»، وفي رواية البخاري: «يُؤْتَى بِالجسْرِ، فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ».

وبالجملة: الروايات متفقة على وجوده، وأنه على متن جهنم، يمر عليه الناس، أدقُّ من الشعر، وأَحَدُّ من السيف، فالمؤمنون يمرون عليه بفضل الله تعالى على حسب منازلهم، على ما قال: «فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ»، وعبورهم ـ أيضاً ـ بحسب ذلك، على ما جاء: «فَيَمُرُّ

المُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ العَيْنِ[1]، وَكَالبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ» ـ جعلنا الله تعالى وإخواننا من الناجين المسلمين، المارين عليها بأسهل ما يمكن، بفضله وكرمه ـ.

والآخرون يسقطون في جهنم كما جاء: «وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ».

وأنكر الصراطَ أكثرُ المعتزلة، وتردد فيه الجُبَّائي نفياً وإثباتاً، وقالوا: لا يمكن العبور عليه على الوصف الذي وصف، وإن أمكن، ففيه تعذيب المؤمنين، ولا عذاب عليهم يوم القيامة.

والجواب: أن القادر المختار يتمكن من العبور عليه ويُسَهِّلُه عليهم ـ كما مر ـ.

والأصل فيه وفي أمثاله الإمكانُ العقلي، وهو حاصل ـ هاهنا ـ؛ إذ لا يلزمه من فرضه محال، وإخبار الصادق بوجوده، وقد أخبر المغيرة بن شعبة، قال: قال رسول الله ﷺ: «شِعَارُ المُؤْمِنِ عَلَى الصِّرَاطِ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ».

وعن أنس، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَالَ: «[أَنَا فَاعِلٌ] إِنْ شَاءَ اللهُ»، قُلْتُ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ المِيزَانِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ، فَإِنِّي لاَ أُخْطِئُ هَذِهِ المَوَاطِنَ الثَّلاثَةَ» أخرجهما الترمذي.

---

(١) في الأصل: «يمر المؤمن عليها كالطرف».

وعن عائشة، قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يُبْكِيكِ؟»، قُلتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ، فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ [قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ]: «أَمَّا فِي ثَلاَثَةِ مَوَاطِنَ، فَلاَ يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَداً عِنْدَ المِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ تَطَايُرِ الصُّحُفِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ؛ فِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ، أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّراطِ، إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ حَتَّى يَجُوزَ»أخرجه أبو داود.

ويجيء من حديث عائشة ـ أيضاً ـ: «أنَّ النَّاسَ على الصِّراطِ يومَ تبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ».

وفي حديث أبي سعيد: «يَخْلُصُ المؤمنونَ على الصِّراطِ»، وقد مَرَّ[1] هذا الحديث وغيره من الأحاديث.

وعن عائشة، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ يَذْكُرُ الحَبِيبُ حَبِيبَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ! أَمَّا عِنْدَ ثَلاَثٍ، فَلاَ»، وذكر مثل مامرَّ، ثم قال: «وَلِجَهَنَّمَ جِسْرٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعَرِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ، عَلَيْهِ كَلاَلِيبُ وَحَسَكٌ يَأْخُذُونَ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَالنَّاسُ عَلَيْهِ كَالطَّرْفِ، وَكَالبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، وَالمَلاَئِكَةُ يَقُولُونَ: رَبِّ سَلِّمْ، رَبِّ سَلِّمْ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُسَلَّمٌ، وَمُكَوَّرٌ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ» رواه أحمد، وإسناده حسن.

---

(١) في الأصل: «كان» بدل «مرَّ».

وإذا أخبر المخبر الصادق بهذا، فوجب الإيمان به، والاعتقاد بثبوته.

* وقوله: (فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ) ـ بضم الياء وكسر الجيم، وآخرها زاي ـ؛ من الجواز، وهو العبور والقطع، يقال: جُزْتُ المكان، وأَجَزْتُه، وجَاوزْتُهُ، وتَجَاوَزْتُهُ، بمعنى، وأكثر ما يستعمل في الصراط: أجاز، ومنه: أعانك الله على إجازة الصراط.

حكي عن الأصمعي: أنه قال: أَجَزْتُه: قطعته، وجُزْتُه: مشيتُ فيه، ويحتمل أن يقال: إن الهمزة في أجاز للتعدية؛ من قولهم: أجيزي صرفةُ؛ أي: أَجِزْنا، وذلك أن صرفةَ كان رجلاً معظَّماً في قريش، يُقتدى به في مناسك الحج، فلا يجوز أحد من موقفه حتى يجوز، فكان الناس يستعجلونه، فيقولون: أجز صرفة؛ أي: ابتدئ بالجواز حتى نجوز بعدك، وكان يمنعهم بوقوفه، ويجيزهم بجوازه، ثم بقي ذلك في ولده، فقيل للقبيلة: أجيزي صرفة، فكذلك جواز الرسول ﷺ وأمته على الصراط، فلا يجوز أحد حتى يجوز هو وأمته، فكأنه يجيز الناس.

وبالجملة: في هذا وعدٌ لأمته ـ عليه السلام ـ بأنهم سابقون في جواز الصراط، بادئون[1] في دخول الجنة قبل سائر الناس، وفي «البخاري»: «مَنْ يُجِيزُهَا»، وفي بعض الكتب: «مَنْ يُجِيزُهُ»، والكل

---

(١) في الأصل: «ما يرون».

واحد؛ لأن الصراط يذكَّر ويؤنث؛ كالسبيل، والطريق.

وعن عبدالله بن محمد، مرفوعاً: «شِعَارُ أُمَّتِي إِذَا حُمِلُوا عَلَى الصِّرَاطِ: يَا لا إِلَهَ إِلا الله» رواه الطبراني.

والخامس: في كلام الرسل:

* **قوله: (وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ)** لمَّا كان يوم القيامة يوماً طويلاً، ذا مواطن كثيرة، جعل كل طائفة من أجزائه إيماء إلى أن كل جزء وكلَّ طائفة منه بمنزلة يوم من أيامكم، بل أطول وأكثر، وبهذا يجمع بين النصوص الواردة في التكلم والسؤال، وعدم الإذن فيه، والاعتذار والسكوت، وغير ذلك مما يتخالف ظاهراً وكلياً، واقع في ذلك اليوم، فمعنى (لاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ): كلاماً يفيد الغير، ويُعتد به في الشفاعة (إِلاَّ الرُّسُلُ)؛ فإن شفاعة المؤمنين لإخوانهم إنما تكون بعد دخولهم الجنة، على ما سيصرّح بعد هذا، فيكون الكلام المفيد في المحشر المشتمل على استخلاص الغير، إنما يصدر من الرسل فقط، ويندرج فيه الأنبياء والملائكة ـ عليهم السلام ـ، وربما يؤيد هذا الاحتمال قوله: (يَوْمَئِذٍ) في قوله: (وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ)؛ فإنه لو قال: ودعوى الرسل (سَلِّمْ سَلِّمْ) بدون ذكر (يَوْمَئِذٍ)، لكان يفيد فائدته، وإنما كرر؛ ليعلم أن اختصاصهم بالتكلم هو هذا الكلام، والتعبير بلفظ (الرُّسُلِ) دون (الأنبياء) ربما يُشعر بدخول الملائكة فيهم، وشموله لهم، وقد مَرَّ في حديث عائشة: «وَالمَلاَئِكَةُ يَقُولُونَ: رَبِّ سَلِّمْ، رَبِّ سَلِّمْ» وفي تكرير لفظ (سَلِّمْ) إيماءٌ إلى أنهم

يكررون هذا القول، ويشتغلون بالدعاء في هذا الموطن، لا ينتهون عن ذلك قط، وذلك لعلمهم بكمال رحمة الله تعالى، وحاجة القوم إلى الدعاء، فالواجب عليهم؛ نظراً إلى كونهم أصفياءَ الله تعالى: أن يطلبوا التخفيف والرَّوح لأتباعهم في الدين، وأشياعهم في سلوك مسالك اليقين.

والتاسع: ما على الصراط:

* **قوله: (وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ)** لمَّا كان الصراط على متن جهنم، والكلاليب التي فيها تكون في جهنم، فلا ينافي ذلك ما ورد في الرواية الأخرى؛ بأن في الصراط كلاليب، ويحتمل أن يكون في جهنم كلاليب، وفي الصراط ـ أيضاً ـ كلاليب أُخر، وربما يؤيد هذا: ذكرُ الخطاطيف والحسك في الصراط مع الكلاليب، والاقتصار على الكلاليب في ذكر جهنم، ـ وأيضاً ـ: لمَّا كان في الخطاطيف معنى سرعة الأخذ، وفي الحسك المنع من العبور عليه، فناسب أن يذكر ذلك مع الكلاليب في الصراط، فيكون الجميع موجوداً فيه، والكلاليب في جهنم فقط؛ لأن المقصود: وجود شيء يجذب الناس إليها، ويوقعهم فيها.

والكلاليب جمع كُلاَّب ـ بضم الكاف ـ، وهي حديدة معطوفة يعلَّق عليها اللحمُ، ويرسل في التنور، والكَلاَّب ـ بفتح الكاف وتشديد اللام ـ، بمعناه.

وقال في «الأساس»، و«المطالع»: هي خشبة في رأسها عُقَّافة منها، أو من الحديد، والخطاطيف: جمع خُطَّاف ـ بضم الخاء وتشديد

الطاء ـ، وهي كل حديدة محناة، ومخالبُ السباع خطاطيفُها، والكلُّ من الخَطْف، وهو استلاب الشيء، وأخذه بسرعة، والخَطَّاف ـ بفتح الخاء وتشديد الطاء ـ: الشيطان؛ لأنه يخطف السمع.

وفي ذكر الكلاليب والخطاطيف ـ نظراً إلى مناسبة الألفاظ ـ إيماءٌ إلى أن سبب وقوعهم في النار، وعليه جذبُ تلك الكلاليب لهم، ما يكون فيهم من الاعوجاج في الدنيا، والخروج عن الاستقامة، وما كان فيهم من الكلبية والسبعية.

والسَّعْدَانَ ـ بفتح السين وإسكان العين المهملتين ـ: نبتٌ له شوكة عظيمة من كل جانب، يقال لها: حسك السعدان، والسعدان مما ترعاه الإبل، وفي المثل: مَرْعًى ولا كالسَّعدان.

ولمَّا كان في السعدان من الشوك، كان كثيراً ما يشتغل في العقدة، يقال: عقد سَعْدَانَةِ النَّعْلِ، وهي عُقْدَة الشِّسْع تحتها، وسعدانات الميزان: العُقَد التي في أسفله.

ولا يخفى مناسبة ذكر السعدان ـ هاهنا ـ أيضاً؛ لما فيه من العقدة، وأنهم يُجازَوْن بها؛ لما في بواطنهم في الدنيا من العقد الفاسدة؛ من الكفر والغل والحسد.

ومناسبة الحسك؛ لما فيه من معنى العداوة والحقد، يقال: هو حَسِكُ الصَّدر على فلان: إذا كان له عداوة أكيدة معه، وفيه معنى البخل والإمساك والإصرار على الشيء.

ومنه حديث أبي أمامة: أنه قال لقوم: إنكم محسكون؛ أي:

ممسكون مصرُّون على القبيح.

* **وقوله: (مَا قَدْرُ عِظَمِهَا)** روي برفع الراء على أن تكون (مَا) استفهامية، ويكون خبراً مقدماً، و(قَدْرُ) مبتدأ، وبنصبها على أن تكون (مَا) زائدة، و(قَدْرَ) مفعول (يَعْلَمُ).

والعاشر: في مراتب الجائزين على الصراط:

* **قوله: (تَخْطَفُ)** يروى بفتح الطاء وكسرها، وقرئ بهما في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[البقرة: ٢٠] الآية، والمعنى: تخطف الكلاليب؛ أي: تأخذ بسرعة وخفة من غير مكث.

وإبطاءُ الناس بسبب أعمالهم القبيحة، فمن لم يكن عمله قبيحاً، لا تخطفه الكلاليب، فعلى هذا يكون المراد: أن الخطف لا يكون لجميع الناس، بل للذين يعملون القبيح، ويتبعون الخَطّاف، وهو الشيطان، ويحتمل أن يراد بخطف الكلاليب الناس بقدر أعمالهم: أن منهم من تعلق به، ويخلص منها بشدة ومشقة، ومنهم من يتعلق به، ولا يخلص منها، فيجذبه إلى النار، ومنهم من لا يتعلق به أصلاً، فيكون المجاز في الخطف، والناس على عمومه، وفي الأول بالعكس.

* **وقوله: (فَمِنْهُمُ المُوبَقُ، وَمِنْهُمُ المُجَازَى)**، يروى: (فَمِنْهُمُ المُؤْمِنُ يَقِيَ) ـ بالياء ـ؛ من الوقاية؛ يعني: فمنهم السالمُ يحفظ نفسَه بعمله؛ فإن عمله لمَّا كان خيراً، حصل له الوقاية والحفظ من تعلق الكلاليب به، وإيقاعِه في جهنم.

ويروى: (المُؤْمِنُ) كذلك، و(بَقِي) ـ بالباء الموحدة ـ من البقاء،

يقال: ما بَقِيَتْ منه باقية؛ أي: ما تركت؛ يعني: منهم السالم يُترك بعمله، فلا تتعلق به الكلاليب، فالروايتان متقاربتان في المعنى.

ويروى (المُوبَقُ بِعَمَلِهِ)؛ أي: الهالك بسبب عمله، ومنه: الموبقات؛ للمهالك.

ويروى (المُوبَقُ) كذلك بزيادة (يعني) بينه وبين قوله: «بِعَمَلِهِ» تفسيراً.

ويروى: (المُوثَقُ) ـ بالثاء المثلثة ـ (بِعَمَلِهِ)، وهي بمعنى الموبق ـ أيضاً ـ.

والحاصل: أن في الكلمة الأولى ثلاث روايات: (المُؤْمِنُ)، و(المُوبَقُ)، و(المُوثَقُ)، وفي الثانية إن وجدت ـ أيضاً ـ كذلك: (بَقِي) ـ بالباء ـ، و(يَقِي) ـ بالياء ـ، و(يعني) تفسيراً، فالروايات خمس، الثلاث مع هذه الرواية في كل واحدة بوجه، واثنتان بدونها، واختار النووي الأولى من الروايات، والقاضي الثانية منها.

* **وأمّا قوله: (وَمِنْهُمُ المُجَازَى)** فيروي العذري كذلك بالجيم والزاي؛ من المجازاة. ويروي أبو سعيد: (المُخَرْدَلُ) ـ بالخاء المعجمة والراء والدال المهملتين في آخرها لام ـ، ويروي بالذال المعجمة ـ أيضاً ـ، ومعناه: القطعُ، يقال: خَرْدَلْتُ اللحْم؛ أي: قطعته، ويروي بالجيم والدال مهملة ومعجمة؛ بمعنى: المشرف على الهلاك، يقال: جَرْدَلته؛ أي: أشرفته على الهلاك والسقوط، ففي هذه الكلمة ثلاث روايات مرجعها إلى معنيين: الناجي، والهالك، كما أن مدار معنى

الكلمة الأولى - أيضاً - كذلك، فالواجب في الرواية أن يقرأ في كل كلمة بما يقابل الآخر، (فَمِنْهُمُ المُؤْمِن)، (وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ)، (وَمِنْهُمُ المُوبَقُ، أَوْ المُوثَق)، (وَمِنْهُم المُجَازَى)، وفي «البخاري». «فَمِنْهُمْ المُوبَق؛ يَعْنِي: بِعَمَلِهِ»، أو «المُوثَقُ بِعَمَلِهِ» - على الشك -، وكذا: «فَمِنْهُمْ المُخَرْدَلُ، أَوْ المُجَازَى، أَوْ نَحْوِهِ» - على الشك أيضاً -.

* وقوله: «حَتَّى يُنَجَّى» غاية العبور؛ بمعنى: حتى يُنَجَّى الناجي، ويهلك الهالك، واختص الناجي؛ لفضله؛ إذ هو المستحق لأن يذكر.

وقيل: يتعلق بقوله: (وَمِنْهُمُ المُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى) بالجواز، والأوّلُ أوجه؛ لأن (حَتَّى يُنَجَّى) موجود على روايتي: (المُجَازَى)، و(المُخَرْدَلُ)، ولا يصح تعلقه به على تقدير رواية (المُجَرْدَلُ)، اللهم إلا بطريق التهكم، كما في [قوله] تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[آل عمران: ٢١].

* وقوله: (حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ) الظاهر أن (حَتَّى) غاية للخطف؛ يعني: خطفُ الكلاليبِ الناسَ، فمنهم المنجَّى، ومنهم الهالك، ولم يزل الأمر كذلك حتى فرغ من ذلك، ودخل مَنْ دخل الجنةَ، ودخل من دخل النارَ، فالمراد: الفراغ من القضاء بين أهل الجنة وأهل النار، وتتميم الحساب؛ لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن.

والحادي عشر: إخراج العصاة من المؤمنين من النار:

* قوله: (وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)

الأحاديث الواردة في هذا المعنى يحصل من جملتها ـ إن شاء الله تعالى ـ: إذا حكم على أهل الجنة بالدخول فيها، وعلى أهل النار كذلك، يشفع الداخلون في الجنة لإخوانهم من المؤمنين، فيأذن الله ـ تبارك وتعالى ـ لهم، فيخرجون من النار جماعات، مرَّات متفرقة ـ على ما سيجيء ـ من أنهم يؤذن لهم في إخراج من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، إلى أن يبلغ في المرة الأخيرة أن يؤذن لهم في إخراج من كان في قلبه مثقالُ ذرة منه، ويشفع الملائكة والنبيون، ويؤذن لهم، فيخرجونهم من النار جميعاً، ويدخلونهم الجنة، ويشفع نبينا ـ عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات ـ أيضاً خاصة، ويُخرج جمعاً كثيراً، ويُدخلهم الجنة، فإذا حصل جميع ذلك، وسمع الله شفاعة الكل، وأخرجوا من أخرجوا من النار، حتى ظن أنه لم يبق من أهل الإيمان فيها أحد، أدرك الذين في علم الله تعالى أن في قلوبهم شيئاً منه رحمةُ الله تعالى، فيخرجهم من النار بكمال رحمته من غير شفاعة أحد، ويُدخلهم الجنة، وهم عتقاء الله خاصة، وإن كان جميع أهل الجنة كذلك، ولكن لمَّا كان في هؤلاء معنى خاص، وهو أنهم يدخلون الجنة بلا استحقاق عمل، ولا شفاعة أحد، اخْتُصُّوا بهذا الاسم.

فالحاصل: أن المُخْرَجِينَ من النار أصناف؛ بعضهم مُخْرَجون بشفاعة المؤمنين، وبعضهم بشفاعة الملائكة، وبعضهم بشفاعة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، وبعضهم بشفاعة نبينا خاصة، وبعضهم بكمال رحمة الله تعالى من غير شفاعة أحد، ولكل واحدة من هذه الأصناف

علامات؛ بعضهم قد أخذت النار أرجلهم إلى الساق والركبة، ولم تتعرض لصورهم، وبعضهم قد أكلت أعضاءهم، وغيَّرت صورهم، وبقيت داراتُ الوجوه، وبعضهم قد أكلت جملتها، وبقيت أعضاءُ السجود، وبعضهم قد أكلت الجميع، وبقيت الجبهة، وبعضهم لم يبق منهم شيء قط، وصاروا فحماً.

والسّر في ذلك ـ والله أعلم ـ: أن الذين حكم عليهم بدخول النار، وفي إرادة الله تعالى خروجُهم منها، ودخولُهم الجنة: قوم من فساق المؤمنين، ولا شك أن معاصيهم مختلفة كمية وكيفية، فيجازَوْن بقدر ذلك، ويُخرجون من النار على ذلك الترتيب، فمن كان معصيته أقلَّ، يخرج أوّل، وهكذا، ولما كان قبول الشفاعة بقدر مرتبة الشافع عند من تُطلب الشفاعة منه، وبعد قبول الشفاعة إنما يخرج بقدر عمله، بأنه من جملة ما يسمح له، كان إخراج المؤمنين للذين لم تتعرض النار لصورهم؛ لأنهم أقلُّ وِزْراً، وأكمل تمييزاً.

وإخراج الملائكة للذين بقيت منهم داراتُ الوجوه؛ لأن التمييز بالوجه[1] من سائر الأعضاء.

وإخراج الأنبياء للذين لم يبق منهم إلا أعضاء السجود.

وإخراج نبينا ـ عليه السلام ـ لمَّا كان أقوى من الكل معرفةً، وأعلى مرتبة، كان لمن لم يبق منه إلا الجبهة؛ لأن أولئك أعظمُ وزراً،

---

(١) في الأصل: «بالوجه التي».

وأكثرُ جزاء، وأحوجُ إلى الشفاعة، وأخفى حالاً؛ لأنهم قد انغمسوا في النار، وأخذت منهم كلَّ مأخذ، حتى صاروا من جملة من يُحكم عليه بالخلود، فبكمال المنزلة، ورفع الدرجة، وغاية الاطلاع، والإحاطة على الأمور، يُخرج بإذن الله تعالى أولئك من النار.

ولما أراد الله تعالى أن يظهر كمال رحمته ورأفته على عباده، وأن يبين أنه يغفر جميع الذنوب سوى الشرك، أمرَ بعد ذلك بإخراج جميع من كان في قلوبهم شيء من الإيمان، ولكن لا أعمال لهم قط، وصاروا من أهل النار، وأثَّرت النار فيهم التأثير التام، وأهلكتهم حتى لم يبق منهم أثر يعرفـون به، وذلك فضل بعد فضل، والله ذو الفضل العظيم، فتأمل في هذا المقام، فإنه من مزالِّ الأقدام.

فإذا تأملتَ ما أَصَّلْنَا لك، يحصل لك الجمعُ بين جميع ما ورد في هذا الباب، ويـزول عنك ما غشـي وهمك من التنافـي بين الأحاديث، فيحصل لك الخلاص من كثير من الشُّبه الواردة في هذا المقام، ولا يذهبْ وهمُك إلى أن شفاعة كل واحد من الأنبياء والملائكة مختصٌّ بما ذكرنا من ذلك الطريق، وبهذا الترتيب تقديماً وتأخيراً؛ فإنه لا يمكن الجزم على ذلك، بل الغرض: بيان أن لهؤلاء شفاعة عند الله تعالى، ولشفاعتهم قبول عنده، ويُخْرَج بسبب ذلك جمعٌ من أهل النار، ويدخله الجنة، وبقي جمع فيها ما أدركَتْهم شفاعتهم، وما حصل لهم الخلاصُ بسبب ذلك، وإنما يخرجون بفضل الله تعالى خاصة، وأدركتهم رحمته خالصة.

وأما كيفيةُ ذلك، وكميتُه، فلا مجالَ للخوض فيه، ومُوكَل إلى عِلْم عالمِ الغيب والشهادة، وإنما أخذنا هذا الترتيب من الأحاديث الواردة في باب الشفاعة في الكتب المعتمدة، ومن وقوع عبارات دالةٍ على اختصاص كل فريق من الشافعين بجماعة من أهل النار، وعلى أن شفاعة كل فريق بعد شفاعة فريق آخر، وإخراجه من النار ما سُمح لهم ـ على ما يجيء [في] بعض تلك الروايات في هذا الكتاب ـ.

ولما كان جمع من الملائكة الخائضين في النار، المحفوظين من وصول أثرها إليهم، فإنهم الذين يدخلون فيها بأمر الله تعالى، ويُخرجون من أَذِنَ في شفاعته، وحَكَم بإخراجه؛ سواء كان بشفاعتهم، أو بشفاعة غيرهم من الأنبياء والمؤمنين، قال: (**أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً**)، ثم ذكر أن إخراجهم إنما يكون برحمة الله تعالى، وذلك يتناول الذين يخرجون بشفاعة شفعاء؛ لأن قبول الشفاعة إنما تكون برحمة الله تعالى، والذين يخرجون بفضل رحمته من غير شفاعة، ولا ينافي ذلك لما جاء مصرّحاً في حديث أبي سعيد: «أَنَّ اللهَ تعالى قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ، فيُخْرِجُ منها قَوماً»، وذلك يدل على أن إخراج الذين كانوا بفضل الله خاصة من غير شفاعة، إنما يكون بقبضة قبضها من غير واسطة مَلَك وغيره؛ لأن قبضَ القبضة مَجازٌ عن الأمر بالاستخلاص، وذلك لا ينافي أن يكون بواسطة الملائكة، بل يحققه.

وأمّا أثر السجود، فلا خفاء في أنه غيرُ أعضاء السجود؛ لأن أثر الشيء يراد به تارة: البقيةُ منه؛ مثل: أثر الداء، وتارة: الحاصلُ

بسببه، كما يقال: صفاءُ الوجه من أثر الطاعة، قال الله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[الفتح: ٢٩].

وبالجملة: لما كان السجود أَدْخَلَ في باب الطاعة؛ لأنه غايةُ الخضوع والتذلل، والعبدُ في تلك الحالة أقربُ ما يكون إلى ربه، عبَّر عن الانقياد بالسجود، وعن حصول فائدته، وهو بقاء بعض الجوارح سالماً عن تأثير النار فيها بأثر السجود، ولا شك أن انقياد المكلفين متفاوتة، وسببها متفاوت أثره، فيُحفظ من بعضهم الصور كاملاً تاماً، ومن بعضهم داراتُ الوجه، ومن بعضهم الجبهة، ومن بعضهم القلب الذي[1] هو الأصل فقط، وأكلت النار جميعَ أعضائهم الظاهرة، وغيّرت صورهم طُرّاً، وهؤلاء هم الذين صاروا فَحْماً، فبقاءُ أثر السجود يتناول جميعَ الأصناف بقدر انقيادهم في الدنيا، وتحصيلهم أثرَه.

ولا وجه للقول بأن المراد من أثر السجود: الأعضاء السبعة التي يُؤمر بالسجود عليها، على ما ذهب إليه النووي، ولا أن المراد به: الجبهة فقط، على ما حكاه عن القاضي عياض، حتى يرد على كل واحد منها: أنه سيصرح بعد ذلك بأن منهم جماعةً بأن يبقى منهم داراتُ وجوههم، وهي بعض الأعضاء السبعة، وزائد على الجبهة، وبأن منهم جماعة لا يبقى منهم شيء، حتى صاروا فحماً.

ولا حاجة إلى الاعتذار بأن هذا تخصيص للعموم، ويعمل بالعام الأخص فيه، وغير ذلك من وجوه التمحلات، فتأمل.

---

(١) في الأصل: «التي».

وإنما اقتصر على قوله: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)، ولم يذكر معها الشهادةَ بالنبوة؛ لأنهما متلازمان، اكتفى بأحدهما عن الآخر، للعلم به، ويحتمل أن الترك لأجل كثرة الرسل؛ إذ يجب على كل واحد أن يعترف برسالة رسوله، فلو ذكر الجميع، لطال الكلام، ولو اقتصر على البعض، توهم الاختصاص، فسكت عن الكل؛ للعلم بذلك، وللاختصار.

* وقوله: (فَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ المَاءُ) الظاهر: أن في الجنة نهراً يقال له: نهر الحياة، على ما سيصرح في حديث أبي سعيد، والذين أذن في شفاعتهم أخرجوا من النار، وأدخلوا الجنة يُصَبُّ عليهم من هذا الماء، فتنبت أعضاؤهم بسبب وصول هذا الماء إليهم، ولمّا كان المخرَجون طوائف على ما مَرَّ، ولهم بقدر بقائهم في النار حالاتٌ مختلفة، اختلفت العبارة عن بيانها، واختلفت ـ أيضاً ـ في كيفية إيصال هذا الماء إليهم، فبعضهم لمَّا بقي من أعضائهم شيء، قيل: صُبّ عليهم ماء الحياة، وبعضهم لما صاروا حُمماً، قيل: يلقيهم في نهر من أنهار الجنة، يقال له: نهر الحياة، والحممة وإن كانت بمعنى الفحم، قال طرفة:

أَشَـــجَاكِ الرَّبْـــعُ أَمْ قِدَمُـــهْ ... أَمْ رَمَـــادٌ دارِسٌ حُمَمُـــهْ

لكن لمَّا كان فيه معنى السواد، يقال: حُمَّ رأسُ المحلوق: إذا نبت شعرُه بعد الحلق، ويقال للعدو ـ أيضاً ـ: حمة، وحميم كأن فيه معنى بقاء شيء، فلذلك قيل: قد عادوا حُمَماً، وهي جمعُ حُمَمَة، وهي الفحم، كأنه أشير إلى أنهم عادوا إلى ما كانوا عليه أولاً من

كونهم بقية شيء، وهي النطفة وقبضة تراب.

فالحاصل أن اختلاف العبارات لأجل اختلاف الأشخاص، واستعمال كل عبارة لمناسبة كل صنف، فتأمّل.

لا يصدَّنَّك عن ذلك قولُ بعض الشارحين: إن ذلك بسبب ضبط الرواة، وعدم ضبطهم، فإنا قدَّمنا لك: أنه لا يُحمل على ذلك إلاّ بعد العلم باتحاد الكلام الصادر عن النبي ـ عليه السلام ـ، فإن مع احتمال تعدد صدوره لا يحمل عليه، كيف وفي هذا الموضع أبينُ دليلٍ على التعدد، وهو الزيادات في كل رواية، ـ وأيضاً ـ: أحوال الآخرة، خصوصاً بيان الشفاعة، ليس مما لا يهتم لشأنه، ويُسأل عنه، بل هو من أجل المهمّات، والسؤال عنه أكثرُ من السؤال عن غيرها، والنبي ـ عليه السلام ـ يجيب لكل سائل بحسب فهمه.

الثاني عشر: في بيان حال آخر أهل الجنة حصولاً فيها:

* **قوله: (ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَى مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ)** هذا الفراغ هو الحتم بأن كل من دخل في الجنة والنار يبقى مخلداً فيها، ولما كان الفراغ الأول عبارة عن الحكم بالدخول فيها، وكان بعد دخول الناس في النار يخرج قوم منها، ويدخل الجنة بالشفاعة وبالرحمة، كان الفراغ الثاني عبارة عن الحتم، حتى لا يخرج من النار بعد ذلك، ولا يدخل الجنة أحد، وكذلك ذكر [. . .] قصة الرجل الذي أُخرج من النار، ولم يدخل الجنة، وصرح بأنه آخر أهل الجنة دخولاً الجنةَ، وفي «البخاري»: «هو آخرُ أهلِ النارِ دخولاً الجنةَ»، وكلاهما صحيح؛ لأنه

حكم بدخولها.

وبيان هذه الأحوال ـ خصوصاً حال هذا الرجل ـ فيه رجاءٌ عظيمٌ بفضل الله تعالى ورحمته، وأن من كان في قلبه شيء من الإيمان، وإن لم يعمل عملاً قط، يحصل له الفوز العظيم، والنعيم الدائم.

ومن حق هذه الأحاديث أن يُلْفح بها وجوه المعتزلة إذ أنكروا نفعَ الإيمان المجرد عن العمل، وادَّعوا إيجابَ عقوبة العاصي على الله تعالى، وحكموا بخلود كلٍّ من دخل النار، وأنكروا الشفاعة لأهل الكبائر، ولو عمل الله بهم في الآخرة بما أفنوا به أعمارهم في الدنيا، وعقدوا عليه نيَّاتهم، لم ينل منهم أحد رائحة الجنة قط، فنالهم في ضلال ليس وراءه ضلال.

* وقوله: (قَدْ قَشَبَنِي)؛ أي: غيَّرني وآذاني، والقَشَبُ ـ بفتح القاف والشين المعجمة ـ: القذر، يقال: طريق قشب؛ أي: فيه قذر، والقِشْبُ ـ بكسر القاف وسكون الشين ـ: السم، وفي المجاز: رجل مُقَشَّبُ النَّسبِ: إذا كان مطعوناً فيه، وقشبه بسوء: لطخه به، وقال الخطّابي: يقال: قَشَبَهُ الدُّخَانُ: مَلأَ خَياشِيمَهُ، وأَخَذَ بكَظَمه.

وبالجملة: في القشب معنى الأذى والإفساد، ومنه قول عمر لمّا وجد من معاوية ريحاً طيّبة وهو محرم: مَنْ قَشَبَنَا؟ أراد: أن الريح الطيبة في هذه الحالة قَشْبٌ؛ يعني: قذر وأذى، كما أن ريح المنتن قَشْبٌ. وقوله ـ أيضاً ـ لبعض بنيه: قَشَبَكَ المالُ؛ أَي: أفسدك، وذهب بعقلك.

والمعنى: آذاني ريح النار، وأحرقني لهبها.

والذَّكَاء يُمدّ ويقصر، والرواية ـ هاهنا ـ بالمدّ، قاله القاضي، وقال القرطبي: وقد روي ـ هاهنا ـ بالوجهين ممدوداً ومقصوراً. وعن أبي عمرو اللغوي: ذكاء النار: شدة حرها ـ بفتح الذال ـ، مقصور، وهو المشهور، وقد حكى أبو حنيفة اللغوي فيه المدّ، وحكاه علي بن حمزة.

* وقوله: (هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟) خبر عسى (أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ)، والشرطُ فاصلٌ بينهما، والمعنى: هل قارب أن تسأل غيره، بمعنى: هل الأمر كما أتوقعه أنك تسأل غيره، والأصل: عسيت أن تسأل غيره، بمعنى: أتوقع سؤالك غير هذا، فأدخل (هل) مستفهماً عما هو متوقع عنده، وأراد بالاستفهام: التقريرَ والتثبيت؛ يعني: أن المتوقع كائن، وأنه صائب في توقعه.

وفيه رمز إلى أنه يسأل غيره، وتعليم وإرشاد له إلى السؤال، وأنه متوقع منه، ويعطيه ما يسأله.

وفي وقوع عسى ولعل في كلام ربّ العزّة: إيماءٌ إلى أنّ الأمور التي تكون عند غيره مظنون، عنده محقق، بحيث لا ريب فيه، وإن أدنى إيماء من عنده بمنزلة الأمر المحتوم، كما قيل في قوله تعالى: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾[البقرة: ٢٤٦]، وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ٢١]، وغير ذلك، ولطائفُ هذا الاستعمال لا يطيق بها نطاقُ العبارة، وليس المقام ـ أيضاً ـ مقامَ إيرادها.

* وقوله: (لاَ وَعِزَّتِكَ) ربما يستدل فيه ومن أمثاله على جواز الحلف بصفات الله تعالى، ومن طلبه الشيء بعد السؤال على جواز حل اليمين، وفعل ما حلف عليه؛ كما قال ـ عليه السلام ـ: «إلاَّ أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»، وسيجيء الكلام عليه في (كتاب الأيمان والنذور) ـ إن شاء الله تعالى ـ.

* وقوله: (انْفَهَقَتْ) ـ بفتح الفاء والهاء والقاف ـ، بمعنى: انفتحت، واتسعت، وأصل الفَهْقُ: الامتلاء، يقال: فَهَقَ الإناءُ يَفْهَقُ فَهَقاً: إذا امتلأ حتى انصبّ، وانْفَهَقت العين: إذا خرج منها الماء بكثرة. وفيه ـ أيضاً ـ معنى السعة، وفي اختيار هذه اللفظة إيماءٌ إلى امتلاء الجنة بالخيرات والمسرّات حتى فاضت منها، ورمز إلى اتساعها.

* وقوله: (مِنَ الخَيْرِ) بيان ما فيها، ورواية الكتاب: (الخَيْرِ) ضد الشر، وفي «البخاري»: (الحَبْرَة) ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الموحدة ـ، وهي السرور، يقال حَبَرَهُ الله: سَرَّهُ، ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[الروم: ١٥]، والمَحْبور: المسرور، وفي المثل: كلُّ حَبْرَةٍ بَعْدَهَا عَبْرَةٌ، فعلى رواية البخاري عَطْفُ (السرور) على (الحبرة) عطفٌ تفسيري، وعلى رواية الكتاب عطفُ الخاصِّ على العام.

* وقوله: (حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ مِنْهُ) معناه: يرضى عنه، وتلطف به، وقد مَرَّ أن أمثال هذه الصفات محمولة في الخالق على نهايات الأغراض، وفي المخلوق على بدايات الأعراض، ويستعمل الضحك في المخلوق ـ أيضاً ـ في لازم معناه الحقيقي، وهو الظهور، يقال:

تَضْحَكُ الأرضُ مـن بكـاء الـسماء

أي: يظهر خيرها، وهو النبات.

وفي بعض الحديث: «فيبعـثُ اللهُ سحاباً، فيضحـك أحسنَ الضحك» جعل انجِلاَءَهُ عن البَرْقِ وظهوره ضَحِكاً، ومنه:

ضَـحِكَ المَـشِيبُ برأْسِـهِ فَبَكَـى

وقول الآخر: في صفة طعنه: يضحَكُ عن طبعٍ قائمٍ.

والأصل في الكلِّ: أن الضحك لما كان في حالة، فوجب تغيراً في الشخص حاصلة من سرور القلب.

وفيه معنى الظهور، واستعمل في هذا، وإن لم يكن فيه معناه، كما يفعل في غيره من الألفاظ، وفي تذكير الله تعالى له الأماني، وإعطائه ما يتمنى، ومثله معه، إشارةٌ إلى غاية رحمة الله تعالى عليه، ونهاية رأفته، وإذا كانت رحمته بهذا الشخص إلى هذه المثابة، فما ظنك بمن واظب على طاعته، وأخلص العمل له؟

اللهمَّ وَفِّقْنـا لطلب مرضاتك، وتثبيتنـا على المواظبـة بما فيـه رضاؤك، وجَنِّبنا عن التعرض بمواجب سخطك يا واسعَ المغفرة، وقديمَ الإحسان.

الثالث عشر: قولــه: (وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِـي هُرَيْرَةَ)؛ يعني: أن أبا سعيد الخدري كان حاضراً في هذا المجلس، وأبو هريرة يحدّث بهذا الحديث، وهو ساكت، فلما أتم أبو هريرة الحديث، قال

أبو سعيد: قال رسول الله ﷺ: «وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ»، والغرض من إيراد هذا: أن أبا سعيد ـ أيضاً ـ يروي هذا الحديث من رسول الله ـ عليه السلام ـ، لما رواه أبو هريرة من غير تغيير[1] إلا في هذا القدر.

واختلف القومُ في الجمع، والظاهر: أن رسول الله ﷺ ذكر ذلك في مجلسين؛ لِمَا مَرَّ أن أمثال هذه الأحاديث الدَّالة على أمور المَعاد تُذكر كثيراً، وتُكرر في مجالس؛ ترغيباً وترهيباً، فذكر في مجلس: «وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، كما رواه أبو هريرة، وفي مجلس «وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ»، كما رواه أبو سعيد، وغرض النبي ـ عليه السلام ـ: بيانُ كثرة إنعام الله تعالى على ذلك، وإعطائه جميعَ ما يتمنى، وما يذكره الله تعالى ـ أيضاً ـ من المتَمنَّيات، وأشياء أخر ما خطر بباله، وما يتمناه، لا أن المراد التحديد.

وقيل: ذكر النبي ـ عليه السلام ـ المِثْلَ أوّلاً على ما رواه أبو هريرة، ثم تكرّم الله عليه، فأوحى [إليه] بأنه يعطيه عشرة أمثاله، فأخبره.

الرابع عشر: في المتابعة:

* **قوله: (وَثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ)** إنما ذكر هذه المتابعة؛ لأنه لمَّا ذكر كلام أبي سعيد مع أبي هريرة، ورواه عن عطاء ابن يزيد، أورد المتابعة تأكيداً لذلك؛ لأن فيها سعيد بن المسيب، مع

---

(١) في الأصل: «تعيين».

عطاء بن يزيد، فأزال ما عسى يتوهم أن يقال: مناظرة أبي سعيد مع أبي هريرة وهمٌ من عطاء بن يزيد.

* * *

٤٧٢ ـ (١٨٣/ ٣٠٢) ـ وَحَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ نَاساً فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نعَمْ». قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْواً لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ صَحْواً لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟». قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغُبَّرِ أَهْلِ الكِتَابِ، فَيُدْعَى اليَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ

ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، ـ قَالَ: ـ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا! فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، لاَ نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً ـ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً ـ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلاَّ أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلاَّ جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ، خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا الجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ وَحَسَكٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ المُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ العَيْنِ، وَكَالبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ، وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ،

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الحَقِّ مِنَ المُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّار، يَقُولُونَ: رَبَّنَا! كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ. فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ. فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ، فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَداً مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ، فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَداً. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْراً». وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الحَدِيثِ، فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٤٠]. «فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ المَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْماً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَماً، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ، نَهْرُ الحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ،

وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالبَادِيَةِ. قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ، فَمَا رَأَيْتُمُوهُ، فَهُوَ لَكُمْ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا! أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ. فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا! أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً».

٤٧٣ ـ قَالَ مُسْلِمٌ: قَرَأْتُ عَلَى عِيسَى بْنِ حَمَّادٍ زُغْبَةَ الْمِصْرِيِّ هَذَا الحَدِيثَ فِي الشَّفَاعَةِ، وَقُلْتُ لَهُ: أُحَدِّثُ بِهَذَا الحَدِيثِ عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَ مِنَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ لِعِيسَى بْنِ حَمَّادٍ: أَخْبَرَكُمُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلاَلٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَحْوٌ؟». قُلْنَا: لاَ. وَسُقْتُ الحَدِيثَ حَتَّى انْقَضَى آخِرُهُ، وَهُوَ نَحْوُ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ. وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: «بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ قَدَمٍ قَدَّمُوهُ»: «فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ. وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ: «فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا

مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ»، وَمَا بَعْدَهُ. فَأَقَرَّ بِهِ عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ.

٤٧٤ ـ (١٨٣/ ٣٠٣) ـ وَحَدَّثَنَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ بِإِسْنَادِهِمَا، نَحْوَ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ . . . إِلَى آخِرِهِ، وَقَدْ زَادَ وَنَقَصَ شَيْئاً.

الحديث الرابع: حديثُ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ: أَنَّ نَاساً فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ». قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْواً لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ صَحْواً لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟». قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغُبَّرِ أَهْلِ الكِتَابِ، فَيُدْعَى اليَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ

بَعْضُهَا بَعْضاً، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، ـ قَالَ: ـ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا! فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، لاَ نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً ـ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً ـ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلاَّ أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلاَّ جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ، خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا الجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ وَحَسَكٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ المُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ العَيْنِ،

وَكَالبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ، وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الحَقِّ مِنَ المُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا! كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ. فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ. فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ، فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَداً مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ، فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَداً. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْراً». وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الحَدِيثِ، فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٤٠]. «فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ المَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْماً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ، قَدْ عَادُوا

حُمَماً، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلاَ تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالبَادِيَةِ. قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ، فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا! أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ. فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا! أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً».

قَالَ مُسْلِمٌ: قَرَأْتُ عَلَى عِيسَى بْنِ حَمَّادٍ زُغْبَةَ الْمِصْرِيِّ هَذَا الحَدِيثَ فِي الشَّفَاعَةِ، وَقُلْتُ لَهُ: أُحَدِّثُ بِهَذَا الحَدِيثِ عَنْكَ: أَنَّكَ سَمِعْتَ مِنَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ لِعِيسَى بْنِ حَمَّادٍ: أَخْبَرَكُمُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلاَلٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَحْوٌ؟». قُلْنَا: لاَ. وَسُقْتُ الحَدِيثَ حَتَّى انْقَضَى آخِرُهُ، وَهُوَ نَحْوُ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ. وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: «بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ قَدَمٍ قَدَّمُوهُ»: «فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ،

وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ.

أخرجه البخاري، والنسائي طرفاً [منه]، وابن ماجه شيئاً من أوّله.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأوّل: في التعريف برواته سوى ما سلف.

(حفص)، وهو أبو عُمر حفصُ بنُ ميسرةَ العقيليُّ، الصنعانيُّ.

عن العلاء بن عبد الرحمن، وهشام بن عروة، وجماعة.

وعنه الثوري، وهو أكبر منه، وابنُ وهب، وآدمُ بن أبي إياس، وآخرون.

وَثَّقَهُ أحمد، وابن معين، وأخرج له الشيخان، والنسائي، وابن ماجه.

وقال أبو حاتم: صالح الحديث.

ويحكى: أن بشر بن روح المهلبي لما قدم أميراً على عسقلان، اجتمع مع حفص، وقال: عِظْني، فقال حفص: أصلح فيما بقي، يغفر لك ما قد مضى، ولا تفسد فيما بقي، فتُؤخذ بما قد مضى.

قال ابن المديني: مات سنة إحدى وثمانين.

والثاني: في حال أهل الكتاب:

* **قوله: (وَغُبَّرِ أَهْلِ الكِتَابِ)** ـ بضم الغين المعجمة وتشديد الباء الموحدة ـ: جمع غابر، وهي بقية الشيء، يقال: غبّر الحيض،

وغبّر اللبن؛ لبقاياه، وفي «البخاري»: «وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ»، وهي بمعنى الغبر، ويقال للماضي ـ أيضاً ـ: غابر، فهو من الأضداد، والتغبير ـ أيضاً ـ: اختراع شيء من خزف، ومنه قيل لتطريب المتصوّفة، وصوت الذين يتناشدون الأشعار بالألحان: التغبير، ولأجل ذلك سميت المتصوفة: المغبرة، وقيل: سُمُّوا مغبّرة؛ لتزهيدهم في الفانية، وترغيبهم في الغابرة، وعن بعضهم:

عِبـــــادك المُغَبـــــــرة رشَّ علينـــــا المَغْفـــــرة

وبالجملة: المراد من غُبَّر أهل الكتاب: بقاياهم، وهم إما بقايا شر منهم، على ما يفصح عنه: (فيدعى اليهود)، ويُسأل عن معبودهم، فيجيبون بأنهم عَبَدوا العُزير، ويدعى النصارى، فيجيبون بأنهم كانوا يعبدون المسيح، فيكون المراد: أن من كان يعبد شيئاً من الطواغيت، وليس له كتاب وشرع، سقط في النار، وبقي من كان يعبد الله، سواء كان بإخلاص وعمل، وهو البَرُّ، أو بلا عمل خير، وهو الفاجر، وبقي هؤلاء ـ أيضاً ـ، وعبَّر عنهم بالغُبَّر ولَمَّا كان لهم كتاب وشريعة، والواجب عليهم إرشاد الغير في الدنيا، فضلاً عن ثباتهم على الضلال وقيامهم على الإضلال، أخَّر إلقاءهم في النار، وسلموا، ليكون ذلك أقرعَ لهم، وأزجر لفعلهم، وـ أيضاً ـ: هم في الدنيا يراؤون الناس بأنهم أخلصُ عباد الله تعالى، وأعلمهم بحدوده، فحُبسوا في الصراط، وأدرجوا في سلك عباده؛ ليقوى رجاؤهم، فظنوا أنهم قد فازوا، ثم حكم عليهم بالهلاك، وذلك أشدُّ عليهم من الحكم أولاً؛

لأنهم كانوا يتوقعون[1] في الأول ذلك، وفي هذه الحالة خلافه، ووصولُ الألم بعد توقُّع الراحة أشدّ، وهذا كما يُفعل بمنافقي هذه الأمة ـ على ما مَرَّ ـ.

والتعبير عنهم بلفظ الغُبَّر الدالِّ على الغبار؛ لأنهم شَوَّهوا وجوهَ بواطنهم بغبار الشرك، أقوى دليل على أن المراد: أشرارُهم.

وإمّا المراد: الأخيار منهم، وعبّر عنهم بالغبر؛ إيماء إلى أنهم تركوا الفانية، واختاروا الغابرة، ولذلك ثبتوا على إخلاص العمل، وتركوا حطام الدنيا الفانية، فالمعنى: لم يبق إلا البر والفاجر، وبقايا أهل الكتاب الذين هم على الرشاد والسداد، فيكون تخصيصاً بعد تعميم البرّ؛ استحساناً لصنيعهم.

* وقوله: (فَيُدْعَى اليَهُودُ...) إلى آخره، فيصل للفاجر، والأولُ أوجه ـ على ما لا يخفى ـ، وإن ذهب إلى الثاني ـ أيضاً ـ.

ورواية البخاري: «وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ» الحديث، بتوسّط قولـه: «ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ» إلى آخره، بين «غُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ»، وبين قولـه: «فَيُقَالُ لِلْيَهُودِي»، حديث ابن مسعود: «فَلْيَنْطَلِـقْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ [فِي الدُّنْيَا»، قَالَ: «فَيَنْطَلِقُونَ، وَيُمَثَّلُ لَهُمْ أَشْيَـاءُ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ]، فَمِنْهُمْ مَنْ يَنْطَلِقُ إِلَى الشَّمْسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْطَلِقُ

---

(١) في الأصل: «موقعون».

إِلَى القَمَرِ، وَإِلَى الأَوْثَانِ [مِنَ الحِجَارَةِ][1] وَأَشْبَاهِ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ»، قَالَ: «وَيُمَثَّلُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عِيسَى شَيْطَانُ عِيسَى، وَيُمَثَّلُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عُزَيْراً شَيْطَانُ عُزَيْرٍ، وَيَبْقَى مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ».

ثم ساق الحديث، وهذا صريح في أن المراد من غُبَّرات أهل الكتاب: أشرارهم. رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

* **وقوله: (فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ)** فيه إشعار بأن الله تعالى يجازي هؤلاء القوم بمثل صنيعهم؛ لأنهم لمَّا تركوا في الدنيا عبادة الله تعالى، واشتغلوا بعبادة غيره، وأضلوا الناس؛ حيث أوهموهم بأنهم يعبدون الله، ويدَّعون أنهم أحبار، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾[المائدة: ١٨]، ويقولون: النجاة منحصر بهم، ومحصور عليهم، ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾[البقرة: ١١١] سئلوا يوم القيامة عن صنيعهم، ثم سئلوا عن مطلوبهم، ولمّا غلبهم العطش في الموقف، ورأوا جهنم كالسّراب، فظنوا أنها ماء، سألوا الماء، وطلبوا الورود عليها، فقيل لهم: ألا تردون؟ فيدخلون فيها.

وفي «البخاري»: «حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟» إلى آخره، والإتيان «بجنهم كأنها سراب»،

---

(١) بياض في الأصل.

فقدم في روايته على السؤال، وليس له ذكر في رواية الكتاب، ولكن يعلم من قوله: «فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ»؛ لأن الإشارة إنما تكون إلى جهنم، ولا بد من أن تكون بمرآهم.

* وقوله: (كَأَنَّهَا سَرَابٌ) إشارة إلى أنهم يرونها كالسراب، فيظنون أنها ماء، فيظنون الورود فيها، ويعطيهم نصيبهم، ويا خساراً لهم.

عافانا الله الكريم بكمال كرمه وفضله منها، ومن كل مكروه.

* وقوله: (يَحْطِمُ)؛ أي: يكسر بعضها بعضاً، وذلك لشدة إيقادها، وتلاطم أمواج لهبها، وفي جعلها كالسراب في أعينهم إيماءٌ إلى أن أعمالهم في الدنيا ـ أيضاً ـ كذلك، وأنهم كانوا يَحْسَبون أنهم يحسنون صنعاً، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾[النور: ٣٩].

الثالث: في امتحان المؤمنين:

* قوله: (**قَالُوا: يَا رَبَّنَا! فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ**)؛ يعني: أنا تركنا مصاحبتهم في الدنيا في حال كوننا محتاجين إليهم؛ لأنهم كانوا رؤساء أغنياء، ونحن مساكين فقراء، فلا نصاحبهم اليوم في هذا الموضع مع استغنائنا عنهم، وهذا تضرُّعٌ منهم إلى الله تعالى في كشف هذه الشدة عنهم، وابتهالٌ إليه، وإظهار أنهم مع احتياجهم في الدنيا إلى الذين تركوا عبادة الله، وزاغوا عنها، قد تركوهم، وصبروا على مشاق الأحوال الدنيوية، طلباً للخفة والسرور في هذا اليوم، وأنهم ليسوا ممن يتبع الناس ويقلدونهم، بل

إنهم يتبعون الحق، ويطلبون مرضاته، وهذا دأب الصحابة من المهاجرين وغيرهم، وطريقة الصالحين في كل زمان، قد تركوا الأوطان والأوطار؛ لأجل تحصيل النعيم في دار القرار، وانقطعوا عن الإخوان والأحباب؛ ابتغاء مرضاة رب الأرباب، وفي هذا إيماءٌ إلى أن مَنْ صاحب شيئاً في الدنيا، وتمكَّنَ ذلك في قلبه، يتبعه في ذلك اليوم، فالواجبُ اتباعُ الهدى، ومصاحبة من يدعو إليه، واجتنابُ مكائد الردى، والاحتراز عن ملاقاة متابعيه.

اللهمَّ ارزقْنا توفيقَ الثبات على الهدى، والاستمساك في جميع أوقاتنا بالعروة الوثقى، وثبتنا على محبة عبادك الصالحين، واحشرنا وسائر المسلمين في زمرتهم أجمعين، يا واسع المغفرة.

وذكر القاضي عياض: أن في هذا الكلام تغييراً؛ إذ المعنى: أنا فارقنا الناس في الدنيا في معبوداتهم، ولم نصاحبهم، ونحن اليوم أحوجُ إلى ربنا؛ أي: محتاجون إليه، كما يقال: هو أهونُ عليه؛ أي: هين، هذا كلامه.

وإنما أوقعتْه في هذا الأمر الروايةُ الواصلة إليه في «البخاري»: «فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ اليَوْمَ» بتوحيد الضمير في (إِلَيْهِ)، فذهب بأنه راجع إلى الله تعالى، أو فسّر بما فسّر، والكلام الواقع في «مسلم» صريحٌ على خلاف هذا، إذ المعنى: بيان أنهم فارقوا الناس في الدنيا مع احتياجهم إليهم، لا مع احتياجهم إلى الله تعالى، ولهذا حكم بالتغيير.

والصواب ما وقع في«مسلم»، والمعنى ما ذكرنا، والرواية في «البخاري» ـ أيضاً ـ: (إليهم) بجمع الضمير، والسياق فيه ـ أيضاً ـ صريحٌ على المعنى الذي ذكرنا؛ فإن الكلام فيه بهذه العبارة: «فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِمُ اليَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا»، ولو سُلِّم توحيد الضمير في (إِلَيْهِ)، [فهو] راجع إلى الفراق الذي يدل عليه [لفظ]: «فَارَقْنَاهُمْ»[1]، ويكون المعنى على حاله مستقيماً كما ذكرنا، فتأمل.

* وقوله: (حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ) هكذا الرواية بإثبات (أن) مع كاد، وهي لغة.

و(يَنْقَلِبَ) ـ بالنون والقاف ـ؛ أي: يرجع، والمراد: بيان شدة الأمر عليهم، ونهاية الابتلاء بهم، [. . .]، ورجوعه عن هذا القول، وعن سَنَن الاستقامة، وليس المراد: بيان رجوع ذلك البعض وتزلزله، وإنما المراد: بيان شدة الأمر، وتفاقم الحال، ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾[البقرة: ٢١٤]، وقد مَرَّ: أنه يحتمل أن يكون التردد من جمع المقلدين في الدين، غير الراسخين في العلم، والذي يدل على أن المراد: بيان شدة الأمر قوله: «فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»، فإنه يستعمل فيما يشتد الأمر، ويتفاقم الحال، ولا كشف ثَمَّ،

---

(١) في الأصل: «فارقنا».

ولا ساقَ، وإنما هو مثلٌ لشدة الأمر؛ لأن من وقع في بليَّةٍ يُشَمِّر ساعده، ويكشف عن ساقه، قال:

وَكُنْـــتُ إِذَا جَـــارِي دَعَـــا لِمَـــضُوفَةٍ
أُشَـــمِّرُ حتَّـــى يَنْـــصُفَ [الـــسَّاقَ] مِئْـــزَرِي

فجعل كشف الساق عبارةً عن الشدة، وحصول المشقة؛ كما يقال للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يدَ ثَمَّ، ولا غُلَّ، وإنما هو مثلٌ في البخل، وفي التنزيل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤]، وقد قدمنا لك أن في أمثال هذه المقامات، السلامةُ تركُ الخوض فيها.

ونحن إنما نورد على سبيل النقل أحسنَ كلام الخائضين فيه بعد تقديم ما هو الأوجَهُ.

وقيل: المراد بالساق هنا: نور عظيم؛ يعني: يحصل للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من الفوائد والألطاف ما لا يبلغ كُنْهه.

وقيل: الساق: علامة بينه وبين المؤمنين؛ من ظهور جماعة من الملائكة على خلق عظيم؛ لأنه يقال: ساقٌ من الناس: جماعتهم؛ كما يقال: «رِجْلٌ مِنْ جَرَاد»، ورواية البخاري: «فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ» أشدُّ طباقاً عليه.

وقيل: قد تكون ساق مخلوقة، جعلها الله علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة، والرواية المذكورة مطابقة لهذا المعنى ـ أيضاً ـ.

وقيل: معناه: كشف الخوف، وإزالة الرعب عنهم، وإذهاب

ما كان غلب على عقولهم من الأهوال، فتطمئن عند ذلك نفوسهم.

وقيل غير ذلك.

وذهب قوم إلى التشبيه، وهو باطل قطعاً؛ لما تقرر في موضعه.

وفي «الكشاف»: يحكى هذا التشبيه عن مقاتل، وعن أبي عبيدة: خرج من خراسان رجلان؛ أحدهما شبَّه حتى مثَّل، وهو مقاتلُ بنُ سليمان، والآخرُ نفى حتى عَطَّل، وهو جَهْمُ بنُ صفوان، وإنما يُصار إلى التشبيه لضيق العَطَن، وقلة النظر في علم المعاني والبيان، ومَنْ أَحَسَّ بمضارِّ فَقْدِ هَذا العِلْمِ، عَلِمَ مِقدارَ عِظَمِ منافعِه.

* وقولـه: (فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَـاءِ نَفْسِهِ، إلاَّ أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ)؛ يعني: من كان يسجد لله تعالى في الدنيا خالصاً مخلصاً من نفسه، طلباً لمرضاة الله تعالى، واستقامة عليه من خالص قلبه وصميم اعتقاده، أُذن له في ذلك اليوم بالسجود، وحصل له، فسجدةُ المُخلِصِ: الانقيادُ الذي كان له في دار التكليف في ذلك المقام المشهود، فسجد المخلصون، وعلم جميع من حضر أن هؤلاء هم الذين أخلصوا دينهم لله، وواطأت قلوبُهم ألسنتَهم [...] عليهم من كان يسجد لله في الدنيا اتقاء؛ أي: خوفاً من السيف، وطلباً لحظوظ حطام الدنيا، ورياء، ونحوه، لا بالإخلاص، وخوف الله تعالى، وطلب نعيم الآخرة، صار ظهرُهم طبقة واحدة؛ أي: فَقارةً واحدة، لا يقدرون على السجود، وكلما أرادوا أن يسجدوا، يخِرُّوا على قفاهم، فعلم جميعُ مَنْ رآهم أنهم كانوا يسجدون لله تعالى ويعبدونه

في الدنيا لأجل حطامها، لا بالإخلاص والدعاء إلى السجود في ذلك المقام المشهود للامتحان، وامتياز الخُلَّص من غيره في مرأى الناس؛ ليعلم الجميع، ويعز المخلص، ويُهان المدحض، كما يكون إنطاق الخوارج لذلك.

وفيه توبيخٌ وتعنيف لهم؛ حيث أُمروا بالسجود مع إعقام أصلابهم، والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة، ويتحسرون ويندمون على تركهم السجودَ المعتدَّ به في الدنيا، حين دُعوا إليه وهم سالمو الأصلاب والمفاصل، فراموا العلل عن ذلك، ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾[القلم: ٤٣]

والرابع: في الرؤية:

* **قوله: (وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ)** الرواية المشهورة: (في صورته) بإثبات الهاء، وهو الموجود في «الجمع بين الصحيحين» للحافظ عبد الحق ـ أيضاً ـ، وفي بعض النسخ (فِي صُورَةٍ) بدون [هاء]، وهو الواقع في«جمع الحميدي»، وظاهر هذا الكلام: أن تحصل لهم الرؤية مرتين قبل دخولهم الجنة؛ مرة قبل السجود، وحين قالوا: «أَنْتَ رَبُّنَا»، وبعده حين يرفعون رؤوسهم من السجود، والتي في الجنة على ما في سائر الأحاديث غير ثابت، فتكون ثلاثاً.

لا نزاع عند أهل الحق في ثبوت الرؤية في الجنة، وإنما الكلام في الرؤية قبل الدخول، فقيل: يرونه كما هو ظاهرُ هذا الحديث.

ومعنى قوله: «وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ»:

أن الله تعالى قد حوّل الصورة التي رآه المؤمنون قبل السجود، وأزالها، وتجلى هو بنفسه، فرآه المؤمنون، ثم أُمروا بالسجود، فسجدوا، ولم يزل الحق لذلك متجلياً، لكنِ المؤمنون لاشتغالهم بالسجود منصرفين عن رؤيته، فلما فرغوا منه، عادوا إلى رؤيته مرة ثانية، فيكون قوله: (وَقَدْ تَحَوَّلَ) حالاً متقدمة قبل سجودهم؛ بمعنى: وقد كان حوّل قبل الرؤية مرة واحدة بعد السجود حين يرفع المؤمنون رؤوسهم منه، والرؤية التي كانت قبل السجود هي رؤية صفة من صفات الله تعالى، لا يشاركه فيها غيره، ولذلك قالوا: (أَنْتَ رَبُّنَا)؛ بمعنى: أن هذه الصفة هي الصفة التي عرفناك في الدنيا أن ربّنا يتصف بها، لا بالتي رأيناها قبل هذا، وعلى هذا قوله: «وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ» تجلى لهم بنفسه في تلك الصورة في المرة الأولى، لأجل من كان معهم من المنافقين حتى يميزوا عنهم.

وقيل: يرون الصورة الصفة، والعلامة التي يحصل لهم الوثوق بأنه ربّهم، وهذا الخطاب خطابه، ولا يرونه معاينة إلا في الجنة، وعليه أكثرُ المحققين.

ولما كان القول بالرؤية قبل السجود يوهم حصولها للمنافقين، وغُبَّرِ أهل الكتاب؛ لأنهم كانوا مع المؤمنين، ولم يتميزوا عنهم بعد، ذهبت السالمية إلى أن المنافقين يرونه ـ أيضاً ـ في المرة الأولى؛ لأنهم لما بقوا مع المؤمنين، وحصل التجلي للجميع، فرآه الجميع.

وقد أطبق المحققون على أن هذا باطل؛ لما تقرر من أن الرؤية

لا تحصل إلا للمؤمن الخالص، والمنافقُ متحيّر في أمره، مضطربٌ في شأنه؛ بحيث لا يبصر من بين يديه، ولا يكون الخطاب والكلام معه، والنصُّ الصريحُ واردٌ في كونهم محجوبين عن الرؤية، قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥]، فلا تحصل لهم الرؤية إن ثبت أنهم ما ميزوا بعد، وما سقطوا في النار؛ لما ذكرنا من دهشهم، وجمودهم في مكانهم.

على أن الأقرب: أن التجلي بالصفة في الأول بما فيه شيء من سمات الحدوث، وفي الثاني بما ليس فيه ذلك، ولا يشاركه فيها غيره، ويؤيده: ما جاء في بعض الروايات: (فيقال لهم: وكيف تعرفونه؟ قالوا: إنه لا شبيهَ له ولا نظير)، وإطلاق الصورة على الصفة غير مستبعد، يقال: صورة هذا الأمر كذا؛ أي: صفة.

وأما الرؤية التي تكون مَنْفَعَة عند أهل الحق، فهي التي تكون في الجنة، والمنافق في الدرك الأسفل، فأنى له ذلك؟!

وقد استدل من الأمر بالسجود للمنافقين، مع عدم الإمكان [على] جواز التكليف[1] بما لا يطاق، ووقوعه، ورُدَّ بأن الآخرة ليست دارَ تكليف، ووضع المسألة في التكليف.

والخامس: في الجواز على الصراط:

* **قوله: (ثُمَّ يُؤْتَى بالجسْرِ)** ـ بفتح الجيم وكسرها ـ لغتان

---

(١) في الأصل: «المكلفين».

مشهورتان، وهو الصراط.

في حديث ابن مسعود على ما في «الطبراني»: «ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصِّرَاطِ، فَيُضْرَبُ عَلَى جَهَنَّمَ».

* **وقوله: (دَحْضٌ)** بفتح الدال وسكون الحاء المهملتين وآخرها ضاد معجمة.

* **(مَزْلَقَةٌ)**[1]؛ أي: مكان تزلق فيه الأقدام، ولا تستقرّ، والمَزِلَّةُ - أيضاً - قريب إلى معناه، كأن في الدحض معنى الميلان وعدم الاستقامة، وفي المزلة معنى عدم الثبات والاستقرار، ولما كان الناس في الدنيا بين ثابت على الحق واليقين وهم المؤمنون، ومائل عنه وهم الكافرون، ومزلزل فيه غير ثابت وهم المنافقون، جعل الصراط دحضاً مزلة، يثبت ويعين عليه من كان ثابتاً في الدنيا، ويميل عنه ويسقط في جهنم من كان مائلاً عن الدين، ويزلزل فيه ولا يستقرّ من كان مزلزلاً.

أعاننا الله تعالى بفضله العميم على العبور عليه، وثبت أقدامنا فيه، وجعلنا من الذين يجوزون بأسرع ما يمكن، بكرمه وفضله.

* **وقوله: (فَيَمُرُّ المُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ العَيْنِ، وَكَالبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ، وَالرِّكَابِ)** وهذا الجواز بحسب الأعمال، كما جاء مخرجاً في حديث ابن مسعود: «فَيَمُرُّ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ زُمَراً، أَوَائِلُهُمْ كَلَمْحِ البَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، ثُمَّ كَأَسْرَعِ

(١) الرواية: «مزلَّة».

البَهَائِمِ، «ثُمَّ كَذَلِكَ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ سَعْياً، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ مَشْياً، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ رَجُلاً يَسْعَى عَلَى بَطْنِهِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! أَبْطَأْتَ بِي، فَيَقُولُ: إِنَّمَا أَبْطَأَ بِكَ عَمَلُكَ».

ويظهر قَدْرُ الأعمال بقدر النور المعطى في ذلك الموقف، على ما جاء في حديث ابن مسعود ـ أيضاً ـ: «ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعُوا رُؤوسَكُمْ، فَيَرْفَعُونَ رُؤوسَهُمْ، فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الجَبَلِ العَظِيمِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُوراً مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُوراً أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ رَجُلاً يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضِيءُ مَرَّةً، وَيَطْفَأُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ، قَدَّمَ قَدَمَهُ فَمَشَى، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ»، قَالَ: «وَالرَّبُّ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ أَمَامَهُمْ، وَيَقُولُ: مُرُّوا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ نُورِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفِ العَيْنِ»، الحديث رواه الطبراني، وسيجيء في الكتاب من حديث أبي هريرة، وحذيفة، وجابر شيءٌ من ذلك ـ إن شاء الله ـ.

* وقوله: (**فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ**) قَسَّمَ المارُّون على ثلاثة أقسام:

قسم: مسلَّمٌ لا يناله شيء من الخوف والتزلزل.

وقسم: مخدوش يخدش وينال، ثم يرسل فيخلص، وفي الخدش إيماء إلى قلة التعرض، وفيه ـ أيضاً ـ: إشعار بأن القسم الأول لا يتعرض لهم أصلاً.

والقسم الثالث: المكدوس، يروى بالسين المهملة في أكثر الأصول، وهو المجتمع بعضاً فوق بعضهم، ومنه تَكَدَّسَتِ الدواب: إذا ركب بعضُها بعضاً، ورواه العذري بالشين المعجمة؛ من الكَدْشُ، وهو السَّوْقُ.

في «الصحاح»: الكدش: الخدش، ويقال: هو يَكْدِشُ لعياله؛ أي: يَكْدَحُ، وكَدَشْتُ من فُلانٍ عَطاءً: أصبته منه، والكَدْشُ ـ أيضاً ـ: السَّوْقُ الشديد.

فعلى الرواية المشهورة معناه: أنهم يلقون في جهنم، ويكدس بعضهم فوق بعض، ففيه إيماء إلى كثرة الملقى، وكون الهالكين كثيرين.

وعلى الرواية الثانية: أنهم يساقون السوق الشديد إلى النار، وفي ذلك إيماء إلى أن إلقاءهم في جهنم بسرعة، كما يحصل الخلاص للناجين كطرف العين وكالبرق.

ثم هذا القسم يحتمل أن يكون في فرق المؤمنين خاصة، ويكون قوله: (مَخْدُوشٌ)، و(مَكْدُوسٌ) معطوفاً على قوله: (مُسَلَّمٌ)، والنجاة تشملهم، ويريد بها: الخلاص من العذاب المخلد؛ فإن من حصل له الخلاص من العذاب الشديد، فهو ناج، ولكن لمّا كانت مراتب الناجين متفاوتة، ذكرهم على الترتيب، فقال: منهم مسلم، ومنهم مخدوش، ومنهم ملقى في جهنم، ثم ينجّى بالشفاعة والفضل، ويدل عليه: رواية البخاري: «فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ»،

وفيه ـ أيضاً ـ بعد قوله: «وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»: قوله: «حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْباً»، وفي هذا دليل على أن الأقسام في المسلمين؛ فإن مرور آخرهم بهذه الصفة أن يكون للمؤمنين، والذي يسحب سحباً هو آخرهم، لا آخر الكافرين.

ويحتمل أن يكون في الناس جميعاً، ويكون الثالث معطوفاً على (ناج)؛ أي: فمنهم ناج مسلم، ومنهم ناج مخدوش، ومنهم هالك مكدوس، ولكن الاحتمال الأوّل ربما يؤيده قوله: «حَتَّى إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ» إلى آخره؛ فإنه ظاهر على أن المراد من الخلاص من النار: الخلاص في العبور من الصراط، وأنهم يشتغلون بعد ذلك بالشفاعة لإخوانهم، وإخراجهم لهم من النار بأمر الله تعالى.

وفيه دليل على أن المكدوش هو الفاسق من أهل الإيمان، فتأمّل.

السادس: في الشفاعة:

* **قوله: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الحَقِّ مِنَ المُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)** قد وقع في ضبط قوله: (فِي اسْتِقْصَاءِ الحَقِّ) اختلاف، روي بالتاء الفوقانية ثم قاف ثم صاد مهملة، واختاره القاضي عياض، ويروى: (فِي اسْتِبْقَاءِ) بالتاء الفوقانية ثم باء تحتانية ثم قاف، وهو قريب إلى الأول، ويروى: بتاء فوقانية ثم باء تحتانية ثم ضاد معجمة؛ يعني: استبضاء، ويروى كذلك، إلا أنه بحذف الياء المثناة التحتانية، والمعنى في الجميع متقارب، يعني: ما من أحد

منكم إذا ألبس عليه الحق، وخفي الحال في الدنيا، وهو يناشده الله تعالى، ويدعوه، ويتضرع إليه، ويطلب منه الكشف عليه، يناشد مثل مناشدة هؤلاء؛ أي: لا تكون مناشدةُ أشدِّكم مناشدة في هذه الحالة مثل مناشدة المؤمنين لله يوم القيامة لأجل استخلاص إخوانهم من المؤمنين الذين سقطوا في النار.

ولا شك أن الإنسان عند خفاء الأمر عليه، وطلب وضوحه، أو عند وصول التعدي إليه، وطلب استخلاص حقه، يكون أشد مناشدة ودعاء وتضرعاً من كونه على غير هذه الحالة، فرواية الاستقصاء ـ بإثبات الياء وحذفها ـ ناظرةٌ إلى الحقوق الدينية؛ فإن من خفي عليه شيء من أمر دينه، وهو ممن يجزيه ذلك؛ بأن يكون من الطالبين للحق واليقين، الراغبين في الآخرة، الزاهدين في الدنيا، تكون مناشدته ربه وطلبه الاستيضاء منه أشد وأقوى من غيره؛ إذ المهم له أمرُ دينه، ووضوحُ مسالك يقينه.

ورواية الاستقصاء والاستبقاء ناظرة إلى الحق الدنيوي؛ فإن مَنْ حَقُّه من الحقوق الدنيوية في يد متعدّ ظالم، وهو محتاج إليه، فإنه يناشد الله تعالى، ويطلب منه استخلاصَ حقه، واستيفاءه من يد خصمه أشد مناشدة، يعرفونه بتلك العلامة الواضحة، فيُخْرِجون مَنْ فيه تلك العلامة بدفعات على ما نطق به الحديث، وعلامةُ الذي ما عمل خيراً، ولكن ينوي أخفى من الأول، وجريمته أكثرُ وأقوى، فلا يعرفه المؤمن؛ لأنه إنما يَعرف العلامةَ الظاهرة، فيظن عند إخراجه

الذين قد عرفهم، وعدم بقاء مَنْ فيه تلك العلامة أن لا يبقى أحد من أهل الإيمان في دَرَك النيران، فيفرح بذلك، ويحصل له سرورُ قَبولِ شفاعته، وسرورُ رؤيتِهِ خلاصَ إخوانه على سرور أن لا يبقى من جملة إخوانه أحد، وإنما يعرفه الأنبياء والملائكة؛ لأن قواهم أقوى من قوى غيرهم، واطّلاعهم على الخَفِيَّات أكثر، ومراتبهم أجلّ، فيقبل الله تعالى شفاعتهم في أولئك، فيُخْرِجون من النار مَنْ فيه تلك العلامة الخفية، حتى لم يبق منهم أحد، ويحصل لهم سرور على سرور ـ كما قلنا ـ.

ثم بعد ذلك عند جزم كل المكلفين من الأنبياء والملائكة والمؤمنين بعدم بقاء أحد في النار ممن يستحق الشفاعةَ، والدخولَ في الجنة، وأن كلَّ مَنْ بقي في النار هو من أهلها، أظهر الله تعالى كمالَ قدرته، ونهايةَ إحاطةِ علمه، وغايةَ رحمته ورأفته على خلقه، فقبضَ بيدِ قدرته قبضةً من النار، فأخرج منها قوماً ما لهم علامةٌ، ولا يعرفها أحد من خلقه، وبيَّن أن فيهم شيئاً من الإيمان، وهو الصنف الثالث؛ إذ ليس لهم علامة بها يُعرفون، فرحمهم، وأدخلهم الجنة، وإنما قال: (فِي قَلْبِهِ)؛ لأن العمل الصالح المعتدّ به هو الذي يكون عن تصميم قلبه؛ سواء فعله بجوارحه بعد التصميم، أو نواه بقلبه فقط، ولا يخطر ببالك أن ذلك قرينة أن المراد الخير من الإيمان؛ كما سبق إلى بعض الأذهان؛ فإن هذا التدريج والترتيب ربما يضمحلُّ عند هذا الوهم، على أنه قد جاء مصرّحاً في حديث جابر: «حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ

النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً»، وفي غير ذلك من الأحاديث على ما يُعرف بالتتبع.

هذا غاية ما يمكن من الكلام في هذا المقام، فعليك بالتأمّل الصافي، والتدبر الوافي؛ فإنه مقام قد زلَّت فيه الأقدام، وضلَّت فيه أفهام، ووقع لقوم منه السلوك، وخفي على البعض كيفية السلوك، والله المستعان، وعليه التكلان.

* **وقوله: (ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْراً)** الرواية بسكون الياء في «خَيْراً» على أنه على حذف المضاف؛ أي: صاحب خير، ورُدَّ بأنه لا يحتاج إلى التقدير؛ فإن الخير إذا فقد، فُقِد معه صاحبه.

وأقول: الاحتياج إلى الأصحاب لأجل أن المراد: ما تركوا في النار أحداً فيه شيء من خير، بل أخرجوا الكل ممن كان في قلبه مثقالُ دينار من خير، إلى من كان في قلبه مثقالُ ذرّة منه؛ كما جاء مصرحاً في المرّات السابقة؛ حيث قالوا: (لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَداً)، فالإضمار لأجل أن المراد: بيان صاحب الخير، لا الخير نفسه، ويمكن أن يراد بالخير: نفسه، بلا تقدير للمضاف، ويكون على سبيل المبالغة؛ كما في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾[البقرة: ١٧٧] الآية، وقد صُحِّف (خَيِّراً) ـ بتشديد الياء ـ، ويعد سهواً.

* **وقوله: (أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِـرُ)** الرواية بلفظ المصغّر، وكذلك في أبيض، ثم الواقع فيهما الرفع، وفي (أُبَيْض) النصبُ، والوجه فيه: أن لفظة (كان) في قوله: (تَكُونُ إِلَى الحَجَرِ)، وفي قوله: (يَكُونُ إِلَى

الشَّمْسِ) وفي قوله: (يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ) تامة، بمعنى: يقع في المعنى: أن الحبة تقع إلى جانب الحجر والشجر، فالذي يقع ويبيت إلى جانب الشمس أخضر وأصفر، والذي يقع في جانب الظل أبيض، وإن (كان) في قوله: (يَكُونُ أَبْيَضَ) ناقصة، والغرض من زيادة (كان): الإيماءُ إلى أن يسوق الكلام إليه؛ فإن الغرض: بيان أن أضعف ما ينبت من الحبة التي تنبت أبيض، وهي المشبه بها، فأدخل (كان) عليه إيماء إلى ذلك، وإشعار بأن النار أثرت فيهم التأثير التام، حتى إنهم بعد الخلاص منها، والوقوع في نهر الحياة، في غاية الضعف، ونهاية الهزال، ولغاية خفائهم، خفي حالهم على المخلوقات، واستأثر بمعرفة حالهم الخالقُ بكمال علمه.

وفي رواية البخاري: «فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا، كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ، كَانَ أَبْيَضَ» بالنصِّ في الموضعين على أن (كان) ناقصة، وروايةُ الكتاب أشملُ على الفوائد؛ فإن في التصغير، وزيادة (كان) في الموضع المقصود، وزيادة لفظة: (مِنْهَا) فيه شواهدُ صدق على ما ذكرنا من القصد، وهذا ظاهر.

وذكر القرطبي: أن فيه تنبيهاً على أن ما يكون إلى الجهة التي تلي الجنة، سبق إليه البياض المستحسن، وما يكون منها إلى جهة النار، ويتأخر ذلك النُّصُوعُ عنه، فيبقى أخيضر وأصيفر إلى أن يتلاحق البياض، ويستوي الحسن والنور ونضارة النعمة عليهم.

* وقوله: (فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ) جمع خاتم؛ يعني: يجعل الله

تعالى في أعناق الذين يُدخلهم الجنةَ بفضله ورحمته خاصةً خواتمَ من ذهب؛ ليكون علامة لهم، وفي ذلك إيماءٌ إلى أنه لما خفي حالهم على الخليقة، وبقوا على الخمول، وحُبسوا في الجحيم عند خروج أمثالهم من المؤمنين بشفاعة إخوانهم المؤمنين والملائكة والنبيين، أعطاهم الله تعالى بدلَ ذلك نباهةَ شأن يمتازون عن غيرهم الامتياز الظاهر، وهو الخاتم في العنق، سواء اختصاصهم عتقاء الله تعالى.

السابع: في المتابعة:

* **(قَرَأْتُ عَلَى عِيسَى بْنِ حَمَّادٍ)** هو أبو موسى عيسى بنُ حمادِ ابنِ مسلمٍ التُّجيبيُّ، مولاهم، البصريُّ.

عن الليث، وابن وهب، وابن القاسم، وجماعة.

وعنه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأخرجوا له، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وخلق آخرهم أحمد بن عيسى الوشَّاء.

وثقه النسائي، وأبو حاتم، والدارقطني، وقال أبو داود: لا بأس به.

وقال ابن يونس: جاوز تسعين، وهو آخر من حدّث عن الليث من الثقات.

توفي سنة ثمان وأربعين ومئتين.

وأما (شيخه خالد)، فهو أبو عبد الرحيم خالد بن يزيد الجمحيُّ مولاهم، البربري، ثم المصريُّ الفقيه.

عن عطاء بن أبي رباح، والزهري، وجماعة.

وعنه حيوة بن شريح، ويزيد بن أبي مريم، ومفضل، وخلق.

وَثَّقَهُ النسائي، وأخرج له الستة.

وقال أبو حاتم: لا بأس به.

توفي سنة تسع وثلاثين ومئة.

وأما (شيخه)، فهو أبو العلاء سعيد بن أبي هلال الليثيُّ مولاهم، المدنيُّ، ثم المصريُّ، أحدُ المشاهير المكثرين عن نافع، ونعيمٍ المُجْمِرِ، والزهري، وخلائق، وأرسل عن جابر وغيره، وأخرج له الستة.

قال أبو حاتم: لا بأس به.

توفي سنة ثلاث وثلاثين ومئة.

وأما (هشام) في الإسناد الآخر، فهو أبو عباد هشام بن سعد المدنيُّ، يقال له: يتيم زيدِ بنِ أسلم.

روى عن زيد فأكثرَ، وعن نافع، ونعيمٍ المجمرِ، وسعيدٍ المقبريِّ، وجماعة.

وعنه الليث، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي، وطائفة.

أخرج له الخمسة، والبخاري تعليقاً.

قال أحمد: لم يكن بالحافظ، ولا مُحْكَم الحديث.

وقال ابن معين: ضعيف.

وقال أبو حاتم: لا يحتج به.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال أبو زرعة: شيخ محلُّه الصدق.

وقال أبو داود: هو أثبتُ الناس في زيد بن أسلم.

وقال ابن عدي: مع ضَعْفِهِ يكتب حديثه.

قيل: توفي سنة ستين ومئة.

وغرض مسلم من هذه المتابعات: التأكيد لرواية حفص بن ميسرة، وذكر التفاوت بين روايته، وبين رواية سعيد بن أبي هلال؛ فإن الروايتين متفقتان على قوله: «بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ»، ثم في رواية حفص بعده: «وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ» إلى آخره، على ما في الكتاب، وفي رواية سعيد بن أبي هلال: «وَلاَ قَدَمٍ قَدَّمُوهُ» بدل: «وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ»، «فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ» مع قوله: «قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الجِسْرَ [أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَ]أَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ»، وليس في رواية بعضٍ هذه الزيادة، وفيها قوله: «فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا! أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً» إلى آخر الحديث، وليس في رواية سعيد بن أبي هلال ذلك، فيكون التفاوت بين الروايتين جميعاً؛ فإن في كل واحدة زيادةً ليست في الأخرى، وفيهما تبديل لفظ (قَدَم) بدل (خَيْر).

وربما يعترض على قوله: (وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ قَدَمٍ قَدَّمُوهُ): أن قوله: (وَلاَ قَدَمٍ) لا يصلح أن يكون حكاية رواية حفص؛ لأن في روايته: (وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ)، ولا يصلح أن يكون من

الزيادة التي في رواية سعيد؛ لأن في روايته جاءت هذه الكلمة بدل (خَيْر) في رواية حفص، وليست زيادة، وإنما الزيادة قوله: (فَيُقَالُ لَهُمْ) إلى آخره.

ويجاب: بأن المراد بيان موضع الزيادة، ولا يمكن البيان مع الاختصار إلا بهذا الطريق، وأنه لو قال: وذكر بدل قوله: (وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ)، (وَلاَ قَدَمٍ قَدَّمُوهُ)، وزاد: (فيقال...) إلى آخره، لكان تطويلاً، مع أن المقصود ظاهر.

وإنما أطنب الكلام بقوله: قرأت هذا الحديث على عيسى، وقلت له كذا، ثم كرر، وقال: (قُلْتُ لِعِيسَى)، بعد قوله: (وَقُلْتُ لَهُ)، وزاد في الآخر: (فَأَقَرَّ بِهِ عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ)، مع أن بيان هذه المتابعة يمكن بأقصر طريق على ما هو دأبه في سائر المتابعات؛ إيماءً إلى أنه حديث جليل المقدار؛ لأنه مناط الأمر وملاكه في الآخرة، فيجب الاعتناء بشأنه، والفحص عن مظانِّه، وأومأ إلى هذا ـ أيضاً ـ بقوله: (هَذَا الحَدِيثَ فِي الشَّفَاعَةِ)، وفي هذا الأمر ـ أيضاً ـ إرشادٌ إلى كيفية أخذ الحديث من الثقات، وبيان لِمَا كانوا عليه من التتبع والفحص.

ثم أورد متابعة أخرى تأكيداً على تأكيده، وذكر أن هشام بن سعد يروي ـ أيضاً ـ عن زيد بن أسلم، وإسنادهما ـ يعني: بإسناد حفص بن ميسرة، وسعيد بن أبي هلال ـ نحو حديث حفص، والغرض: أن هشام بن سعد يروي عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي

سعيد الخدري؛ كما يروي حفص وسعيد، فيكون إسناد هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم إلى النبي ـ عليه السلام ـ مثلَ إسناد حفص بن ميسرة، ومتنُ حديثه مثلَ حديث حفص، فيكون قد روى عن زيد بن أسلم ثلاثة: حفص، وسعيد، وهشام.

ثم أورد رواية عمر بن يحيى بن عمارة، عن أبيه، عن أبي سعيد، ثم رواية أبي نضرة، عن أبي سعيد، فأكد الحديث بهذه الروايات؛ إشعاراً على أنه مما يجب المحافظة عليه، والاعتناء بشأنه، مع أن في كل واحد من الروايات فوائد من زيادة وتغيير، يستنبط منها حكم، ويبين بها خفي.

* * *

٤٧٥ ـ (١٨٤/ ٣٠٤) ـ وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الأَيْلِي، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ عُمَارَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَماً قَدِ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الحَيَاةِ، أَوِ الحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟».

٤٧٦ ـ (١٨٤/ ٣٠٥) ـ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا

عفَّانُ، حَدَّثنَا وُهَيْبٌ ح، وَحَدَّثنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، أَخْبَرَنَا خَالِدٌ كِلاَهُمَا، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَقَالاَ: «فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ: الحَيَاةُ»، وَلَمْ يَشُكَّا.

وَفِي حَدِيثِ خَالِدٍ: «كَمَا تَنْبُتُ الغُثَاءَةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ».

وَفِي حَدِيثِ وُهَيْبٍ: «كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِئَةٍ، أَوْ حَمِيلَةِ السَّيْلِ».

الحديث الخامس: حديثُ أبي سعيد ـ أيضاً ـ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَماً قَدِ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الحَيَاةِ، أَوِ الحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟».

وفي رواية: «فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ: الحَيَاةُ» بلا شك. أخرجه البخاري.

وهذا الحديث والذي قبله في الحقيقة روايات الحديث السابق باختصار، وإنما جعلنا كل واحدة منهما حديثاً برأسه؛ اقتداء بالقوم، وكأن كُلاً منهما زيادة.

وقد سلف ـ في أوّل الكتاب ـ: أن الزيادة المحتاج إليها من حديث بمنزلة حديث على حدة.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع.

الأوّل: التعريف برواته سوى ما سلف:

عمرو، وأبو عمر، وآخر.

وأمّا (عمرو)، فهو أبو يحيى بن عمارة بن أبي حسن الأنصاري، ابن بنت عبدالله بن زيد بن عاصم.

عن أبيه، وعباد بن تميم، والأعرج، وخلائق.

وعنه يحيى بن سعيد الأنصاري، ويحيى بن أبي كثير، وهما من أقرانه، وابن جريج، والسفيانان، والحمادان، وآخرون.

وَثَّقَهُ أبو حاتم، والنسائي، وأخرج له الستة.

وأمّا (أبوه)، فهو يحيى بن عمارة.

عن عبدالله بن زيد بن عاصم، وشُقران، وأنس بن مالك، وجماعة.

وعنه الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعمارة بن غزية، وخلق.

وَثَّقَهُ النسائي، وابن خراش، وأخرج له الستة.

وأمّا (عمرو) في الإسناد الآخر، فهو أبو عثمان عمرو بن عدي ابن أويس بن الجعد السّلميُّ، أحدُ الحفاظ.

عن عبد العزيز الماجشون، وحماد بن سلمة، وشريك، وجماعة.

وعنه البخاري، وأبو داود، وابن معين، وخلق.

وَثَّقَهُ ابن معين، وأطنب في الثناء عليه، وأخرج له الستة، وقال أبو زرعة: قلَّ من رأيت أثبتَ منه.

قيل: توفي بواسط سنة خمس وعشرين ومئتين.

الثاني: في الشك في قول: «نَهْرِ الحَيَاةِ، أَوِ الحَيَا» هكذا وقعت الرواية بالشك، وذكر البخاري: أن الشك من مالك، ثم أورد رواية وهب بلا شك، كما أورد في الكتاب روايته مع حجاج بن الشاعر، إلا أن البخاري ـ رحمه الله ـ نبَّه بأنّ في رواية مالك: «مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»، وفي رواية وهيب: «مِنْ خَيْرٍ» بدل «إِيمَانٍ»، وليس في مسلم هذه النسبة، وفيه النسبة على أن من رواية حجاج «الغُثَاءَةُ» بدل (الحبة) في رواية، وفي رواية وهب «فِي حَمِئَةٍ، أَوْ حَمِيلَةِ السَّيْلِ» بدل «جَانِبِ السَّيْلِ» في رواية مالك، وليس في«البخاري» هذا.

ثم (الحَيَا) مقصورٌ في الرواية، والمراد منه: المطر، سمي حياة؛ لأنه يُحيي الأرض.

و(الحِبَّةُ) ـ بكسر الحاء ـ: بزر البقول والعشب التي تنبت في البرّ وجوانب السيول، وبالفتح من الحنطة، وغيرهما مما يزرع.

و(الغُثَاءَةُ) ـ بضم الغين المعجمة والتاء المثلثة المخففة وبالمد وآخرها هاء ـ: كل ما جاء به السّيل مما بَلِيَ واسودَّ من العيدان والورق وغيرهما. والغُثَّاء ـ بالتشديد ـ مثله، قال امرؤ القيس:

كَـــأَنَّ ذُرَى رَأْسِ المُجَيْمِـــرِ غُـــدْوَةً

مِـــنَ الـــسَّيلِ والغُثَّـــاءِ فَلْكَـــةُ مِغْـــزَلِ

والرواية في غير مسلم: «كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِى غُثَاءِ السَّيْلِ»، وهو ظاهر، وأمّا رواية الكتاب، فقيل: المراد: ما احتمله السّيلُ من البزور، وهذا حَسَنٌ.

قال في «القاموس»: الغثاء: ما على وجه الأرض من فُتات الأشياء.

ويحتمل أن يراد بالغثاءة: النبات الضعيف الذي ينبت أوّلاً، فإن الغثاءة في الحقيقة ما اسودَّ وبلي من حميل السيل، فشبَّه النبات الخارج من الأرض أولاً به؛ لأن كل واحد منها يُرى أسود على وجه الأرض، غير مرتفع عنه، وإن النبات قبل أن يعلو عن وجه الأرض يرى من بعيد أسود الموضع سواداً ضعيفاً مائلاً إلى الصفرة، كما أن موضع الغثاءة من الأرض ـ أيضاً ـ كتلك، ويستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر، قال الله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾[الأعلى: ٤ ـ ٥] الآية، وروى السمرقندي: (القثاة) ـ بالقاف ـ، وهو تصحيف.

والحَمِئَةُ ـ بفتح الحاء وكسر الميم ثم همزة مفتوحة ـ: الطين الأسود الذي يكون في جوانب النهر، والعين، ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾[الكهف: ٨٦]، والشك في قوله: (فِي حَمِئَةٍ، أَوْ حَمِيلَةِ السَّيْلِ) من الراوي.

* * *

٤٧٧ ـ (١٨٥/ ٣٠٦) ـ وَحَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا بِشْرٌ ـ يَعْنِي: ابْنَ الْمُفَضَّلِ ـ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ

أَبِـي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلاَ يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِـهِمْ ـ أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ ـ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْماً، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ! أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالبَادِيَةِ.

٤٧٨ ـ (١٨٥/ ٣٠٧) ـ وَحَدَّثَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالاَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِـي مَسْلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ، عَنْ أَبِـي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ إِلَى قَوْلِهِ: «فِي حَمِيلِ السَّيْلِ». وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ.

الحديث السادس: حديثُه ـ أيضاً ـ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيهَا وَلاَ يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِـهِمْ ـ أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ ـ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْماً، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ! أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالبَادِيَةِ. أخرجه ابن ماجه في الشفاعة.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: في التعريف برواته سوى ما سلف.

(**أبو مسلمة**)، وهو سعيد بن يزيد بن مسلمة الأزديُّ، البصريُّ، القصير.

عن أنس، وعبد العزيز بن أسيد، وشقيق بن ثور، وجماعة.

وعنه حماد بن زيد، وعباد بن العوَّام، وابن عُلَية، وخلق.

وَثَّقَهُ ابن معين، والنسائي، وأخرج له الستة.

والثاني: في ألفاظه:

والواقع في معظم الأصول: «أَهْلُ النَّارِ [الَّذِينَ] هُمْ أَهْلُهَا» بدون لفظة: (أما)، فتكون الفاء في قوله: (فَإِنَّهُمْ) مزيدة على هذا في بعض النسخ (أَمَّا أَهْلُ النَّارِ) بزيادة (أَمَّا)، فتكون الفاء في موضعها.

* **وقوله: «فَأَمَاتَهُمْ»** في بعض النسخ: بتاءين، والفعل مسند إلى النار، وفي بعضها بتاء واحدة، فيكون مسنداً إلى الله تعالى، وحُذِف للعلم به.

والثالث: فيما يتعلق بالمعنى:

وهو كما قص فيما مَرَّ.

وفي الحديث دليل على أن أهل النار لا يموتون فيها، ويكونون معذبين دائماً، قال الله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾[فاطر: ٣٦].

وفيه: رد لزعم من زعم: أن العذاب ينقطع، مستدلاً بأن الجرم مُتَناهٍ، لصدوره عن العبد في زمانٍ متناه، فيليق بالحكيم العادل على

الإطلاق أن يعذب في زمانٍ متناهٍ، وبأن قوى البشر لا تبقى أبداً، فلا يمكن عذابه دائماً، فتعذيبُ الأعضاء التي لم تَعْصِ خارجةٌ عن الحكمة والعدل.

وأنت خبير بأن هذه أباطيل وجهالاتٌ بقدرة الله تعالى وحكمته، والحقُّ ما ذهب إليه أهل الحق، ونطقت به الآيات، ودلت عليه الأخبار؛ فإن أمثال هذه الأمور لا يقدر العقل أن يحكم فيها بنفسه، بل لا بد من اتباع النقل، ولهذا من اعتمد عليه مجرداً، ضَلَّ.

وفيه دليل ـ أيضاً ـ على أن الفساق بعد إذاقة العذاب مرة يموتون، ثم بعد ذلك يخرجون، فينبتون على نهر الحياة، فيحيون بعد ذلك على ما هو الظاهر من الحديث.

وقد اختلف فيه، فقيل: الموت حقيقة على ما هو الظاهر، فيكون عذابهم حبسهم في النار عن دخول الجنة كالمسجونين، ويؤيده: ما جاء في حديث أبي هريرة: «إذا أدخلَ اللهُ الموحِّدينَ النَّارَ، أَمَاتَهُم فيها إماتةً، فإذا أرادَ أن يُخرجهم منها، أَمَسَّهم ألمَ العذابِ تلك الساعةَ».

وقيل: المراد: بيان عدم إحساسهم الألم، بأن تُركوا بعد ما نَضِجت جلودُهم على ما صارت، ولم يبدلها بجلود غيرها، فبقوا غير مُدْركين للألم.

ويعترض على الأول: بأن الثابت إِمَّا بيان أحدهما قبيل دخول القبر، والثانية في النفخ الأول، على ما نطقت به الآيات والأحاديث بإثبات الثالثة مخالفة لذلك.

ويجاب: بأن ذلك في حق الجميع، فلا يمنع ثبوت ثالثة في حق البعض.

وفي الحديث: رد على من زعم بأن من دخل النار لا يُخرج منها، ويخلد فيها.

* **وقوله**: (فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ) الرواية بالتكرير، و(ضَبَائِرَ)، بفتح الضاد المعجمة، جمع ضِبارة ـ بكسر الضاد، يروى فيها الفتح أيضاً، وهي المتفرقة من الشيء، وفي معناه: الإضبارة، والجمع: أَضَابِيرُ، يقال: عنده أَضابِيرُ من الكتب، ومن السهام.

وفي ضَبَرَ معنى الجمع، يقال: ضَبَرَ الفَرَسُ: إذا جمع قوائمه، ثم وثب، وفلان ذُو ضَبارَةٍ؛ أي: مجتمع الخلق موَثَّقَهُ.

والمعنى: يجيء بهم مجتمعة الأجزاء، مضمومة بعضها إلى بعض، ملتقطة من مواضع مفرقة، كما تجمع الذباب والأشياء الصغار، ويضم بعضها إلى بعض، حتى تصير شيئاً واحداً.

وكما في ضبائر من معنى القلة والصغر والتفرق، قيل: فَبُثُوا؛ إذ البثُّ يناسبه ـ على ما لا يخفى ـ.

* * *

[٨٥ ـ باب
آخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً]

٤٧٩ ـ (١٨٦/ ٣٠٨) ـ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِـي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ

ابْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِي كِلاَهُمَا، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً، فَيَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لَهُ: اذْهَبْ، فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يا رَبِّ! وَجَدْتُهَا مَلأَى. فَيَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ ـ قَالَ: ـ فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يا رَبِّ! وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا، وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا ـ قَالَ: ـ فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي ـ أَوْ أَتَضْحَكُ بِي ـ وَأَنْتَ المَلِكُ؟». قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً.

٤٨٠ ـ (١٨٦/ ٣٠٩) ـ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ـ وَاللَّفْظُ لأَبِي كُرَيْبٍ ـ، قَالاَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِاللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنَ النَّارِ: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفاً، فَيُقَالُ لَهُ: انْطَلِقْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ ـ قَالَ: ـ فَيَذْهَبُ، فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ، فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا المَنَازِلَ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى، فَيُقَالُ لَهُ: لَكَ الَّذِي تَمَنَّيْتَ،

وَعَشَرَةُ أَضْعَافِ الدُّنْيَا ـ قَالَ: ـ فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ المَلِكُ؟». قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

٤٨١ ـ (١٨٧/ ٣١٠) ـ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا، الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِيَ اللهُ شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: يَا بْنَ آدَمَ! لَعَلِي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يا بْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لاَ أَسْأَلُكَ

غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يا بْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا، فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْخِلْنِيهَا. فَيَقُولُ: يا بْنَ آدَمَ! مَا يَصْرِينِي مِنْكَ، أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ! أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟». فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلاَ تَسْأَلُونِّي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضِحْكِ رَبِّ العَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ».

الحديث السابع: حديثُ ابن مسعود، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً، فَيَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يا رَبِّ! وَجَدْتُهَا مَلأَى. فَيَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ ـ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ ـ قَالَ: ـ فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يا رَبِّ! وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا، وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا ـ قَالَ: ـ فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي ـ أَوْ:

أَتَضْحَكُ بِي ـ وَأَنْتَ المَلِكُ؟». قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً.

وفي رواية: «إِنِّي لأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنَ النَّارِ: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفاً، فَيُقَالُ لَهُ: انطَلِقْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ ـ قَالَ: ـ فَيَذْهَبُ، فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ، فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا المَنَازِلَ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟ فيَقُولُ: نعَمْ. فَيُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى، فَيُقَالُ لَهُ: لَكَ الَّذِي تَمَنَّيْتَ وَعَشَرَةُ أَضْعَافِ الدُّنْيَا ـ قَالَ: ـ فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ المَلِكُ؟». قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

وفي رواية: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ: رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا، الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِيَ اللهُ شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: يَا بْنَ آدَمَ! لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا، سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يا بْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا، تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟

فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يا بْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا، فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يا بْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ! أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ! أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟». فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُود، فَقَالَ: أَلاَ تَسْأَلُونِّي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضِحْكِ رَبِّ العَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ» أخرجه البخاري، والترمذي.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: التعريف برواته سوى ما سلف.

(عَبِيدَةَ): وهو ابن عمرو، وقيل: ابن قيس بن غنم المراديُّ، السَّلْمانيُّ، الكوفيُّ، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين.

وروى عن علي، وابن مسعود، وغيرهما.

وعنه الشعبي، وابن سيرين، والسبيعي، وجماعة.

اتفق القوم على علو درجته وفضله وإتقانه، وأخرج له الستة.

قال ابن نمير: كان شُريح إذا أشكل عليه الأمر، كتبه إلى عبيدة.

وقال أبو مسهر: توفي سنة اثنتين وسبعين.

الثاني: في ألفاظه:

* **قوله: (رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً)**، وفي رواية: (زَحْفاً)، وكلاهما متقارب المعاني.

قال في «الأساس»: الصبي يَحْبُو: إذا زحف، والبعير المعقول يَحْبُو: إذا زحف، ويقال: زَحَفْتُ إليه: إذا مشيت إليه، ومشيه زحف وزحوف: فيه نقلُ حركة، زَحَفَ البَعِيرُ، وَأَزْحَفَ: أَعْيَا حتى جَرَّ فِرْسِنَهُ، وزحفَ العسكرُ إلى العدو: مشوا إليهم في ثقل؛ لكثرتهم، وزحف الشيء: جرَّه جراً ضعيفاً، فحصل من هذا: أن الحبو والزحف: المشي الضعيف الثقيل، ولَمَّا كانت آلة المشي هي الرِّجْلُ، وعند فقده أو فقد استعماله يكون اشتغالاً بالنقل بغير آلة، يستعمل الزحف في ذلك الشيء، وإن لم يكن ضعيفاً ثقيلاً، يقال: زحفت الحية، وكلُّ ماشٍ على بطنه.

والمعنى: أن الشخص الذي يخرج من النار يمشي مشياً ثقيلاً ضعيفاً؛ لأن النار قد أهلكت قواه، وأبطلت [. . .]، فعبّر عن ذلك بالحبو والزحف.

وفي الرواية الأخرى: (يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً)، أي: يسقط، فعُلم أنه لا اختلاف بين الروايات في ذلك، والمعنى واحد، والغرض:

بيان ضعفه، وعدم قدرته على المشي التام، وأن النار أضعفت قواه، وأثرت فيه أشدَّ تأثير؛ إذ ما تخيله بأن الجنة مملوءة، قيل: لأجل ذلك، وقيل: لأجل حكمة التردد والانتظار، على ما جاء في الرواية الأخرى من رؤية الشجرة، وطلبه من الله تعالى الإدناء إليها، ثم إلى أخرى على التدريج، ولا يخفى ما في التدريج من الفوائد.

و ـ أيضاً ـ: لما كان هذا الشخص قد تثاقل في العبادة، ولم يوجد منه الرغبة والنشاط في القيام عليها في الدنيا، ناسب أن يُجازى بذلك، وجاء مثلُه في حديث حذيفة، وأبي هريرة في: آخِرِ من يَجُوُز على الصراط.

وجاء في حديث أبي أمامة، مرفوعاً: «إِنَّ آخِرَ رَجُلٍ يَدْخُلُ الجَنَّةَ: رَجُلٌ يَتَقَلَّبُ عَلَى الصِّرَاطِ ظَهْراً لِبَطْنٍ؛ كَالغُلَامِ يَضْرِبُهُ أَبُوهُ، وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ»، ثم ساق الحديث نحو حديث ابن مسعود، رواه الطبراني، وهذا صريح أن ذلك في الصراط.

وعن أنس بن مالك، مرفوعاً: «إِنَّ عَبْداً فِي جَهَنَّمَ لَيُنَادِي أَلْفَ سَنَةٍ: يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ! قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِعَبْدِي هَذَا، فَيَنْطَلِقُ جِبْرِيلُ، فَيَجِدُ أَهْلَ النَّارِ مُكِبِّينَ يَبْكُونَ، فَيَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ ﷻ، فَيُخْبِرُهُ، فَيَقُولُ: ائْتِنِي بِهِ؛ فَإِنَّهُ فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، فَيَجِيءُ بِهِ، فَيُوقِفُهُ عَلَى رَبِّهِ ﷻ، فَيَقُولُ لَهُ: يَا عَبْدِي! كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ وَمَقِيلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! شَرَّ مَكَانٍ، وَشَرَّ مَقِيلٍ، فَيَقُولُ: رُدُّوا عَبْدِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا كُنْتُ أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا

أَنْ تَرُدَّنِي فِيهَا، فَيَقُولُ: دَعُوا عَبْدِي» رواه أحمد، وأبو يعلى، ورجاله ثقات، وهذا صريح في أن ذلك بعد دخول النار.

فقيل: إنهما اثنان؛ إما شخصان، أو نوعان، وعبر عن الجماعة بالواحد منهما.

وقيل: المراد بآخر أهل النار خروجاً؛ يعني: من المرور والجواز على الصراط، لا في من أوثق ودخلها، والأوجَهُ؛ نظراً إلى سياق الأحاديث: الوجهُ الأوّل.

الثالث: في قول الرجل: **(أَتَسْخَرُ بِي ـ أَوْ: أَتَضْحَكُ بِي)**، هكذا وقع في الروايات بالشك، وهو من الراوي، وقد صححوا رواية: (أَتَضْحَكُ بِي) أكثر من رواية: (أَتَسْخَرُ بِي)؛ لما فيه من مطابقة الروايات، والاستعمال الفاشي: سخر منه، وقد حكى أبو زيد: سخر به، وقيل: إيراد الباء لدلالة التضمين؛ كأنه مثل: استهزأ بي، والهزء والسخرية من وادٍ واحدٍ، وقد جاء في رواية أخرى: (أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي، وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟).

وفي هذا الحذف وجوه من التأويل، فقيل: سمي جزاء فعله، وهو الغدر؛ حيث نقض العهود والمواثيق مراراً باسمه، فإن فعله لما كان من هذا القبيل، يسمى فعلُ الله تعالى به من الإطماع بدخول الجنة، مع تخييل أنها ملأى، الذي فعله سخر به تضحكاً؛ كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَا﴾[الشورى: ٤٠]، قاله المازري.

وفيه نوع بُعد؛ إذ ليس فعله سخرية وضحكاً، [....]؛ لأنه ما فعل ذلك على فعل السخرية، بل لمَّا حصل له النجاة من النار، حَمِدَ [الله] على ذلك، ثم لما نسي العذاب، وجمع عقله، ورأى شيئاً أحسنَ مما فيه، اشتهته نفسه، ومالت إليه، فطلبه من ربه لما رأى من فضله عليه بإخراجه من النار، ومَطْمَحُه في ذلك الوقت هو مطلوبُه لا غير، فعاهد على عدم طلب شيء آخر غيره، فلما وصل إلى مطلوبه، حصل له مثلُ ما حصل أوّلاً، وطلب الأعلى منه، وهلمّ جرّاً، ومثلُ هذا لا يسمى سخريةً وضحكاً، بل يسمى بالنظر إلى حاله وطلبه: الترقي، وبالنظر إلى نقض العهد ونسيانه: قلة العزم، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[طه: ١١٥].

والحاصل: أن المشاكلة قد تكون بالنظر إلى اللفظ، كما في قوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾[التوبة: ٧٩]، و﴿مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة: ١٤ ـ ١٥]، وقد يكون بالنظر بالفعل، ولكن بشرط أن يقصد الفاعل ذلك المعنى الذي تقع به المشاكلة، كما في قوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١٣٨] في مقابلة صبغ النصارى أولادهم في ماء أصفر، وادعائهم أن ذلك مطهِّر لهم.

وأمّا وقوع المشاكلة بالنظر إلى فعل ليس للفاعل قصد ما وقع فيه المشاكلة من فعله، بل قصده آخر غيره، فلا.

وقيل: معناه: لا تسخر بي، يعني: إني أعلم أنه لا يوجد منك السخرية؛ لأنك ربّ العالمين، ومنزّه عن صفات المخلوقين، وقولك

حق، وأمرك صدق، وما أعطيتني من جزيل العطاء حق، لكن أتعجَّبُ أن فعلتَ لي هذا وأنا غيرُ مستأهِلٍ له، فالهمزة في (أَتَسْخَرُ بِي) همزةُ نفي، كذا نقله القاضي عن أبي بكر الصوفي، وهذا وجه حسن لو دلَّ هذا الكلام عليه؛ إذ لا شك في أنّ همزة الاستفهام تستعمل في الإنكار بمعنى: لا يكون، وإنما الكلام في دلالة هذه العبارة على ذلك المعنى؛ إذ الظاهرُ من حال الشخص، والمتبادَرُ من كلامه إلى الذهن: أنه لما سمع إعطاء الدنيا ومثلها معها له، ظن أنه سخرية به[1]؛ لأن أقصى غرضه: دخول الجنة، وأن يكون له فيها موضع جلوس، فالجوابُ وقع ـ في زعمه ـ مطابقاً للسؤال، فحمله على السخرية، كما سأل قوم موسى عن إحياء الميت، فقال لهم موسى ـ عليه السلام ـ: اذبحوا بقرة، واضربوه ببعضها، فلمّا ظنّوا أن الجواب غيرُ مطابق لسؤالهم، قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾[البقرة: ٦٧].

وـ أيضاً ـ: هذا الشخص لمّا خُيل إليه أن الجنة ملأى، وقد أخذ الناسُ منازلَهم، تحقق عنده أن لا يبقى له في الجنّة موضع، وإن حصل له الدخول فيها، يكون دخيلاً في منزل شخص آخر، حاصلاً في زاوية في زوايا منزله، فلما سمع ذلك الوعد العظيم، ظن ذلك.

فالأقربُ ما قيل: إن الرجل لما سمع هذا الوعد، ورأى ما لم يخطر بباله، خرج من نفسه، ولم يقدر على ضبطها، فصدر عنه هذا الكلام، وهو غير ضابط لأحواله، وجرى ذلك على لسانه دهشاً

---

(١) في الأصل: «سخر به معه».

وفرحاً، غيرَ معتقد ذلك في حق بارئه، وظن أنه على عادته في الدنيا في مخاطبة أمثاله من المخلوقين؛ كما قال النبي ـ عليه السلام ـ في الرجل الآخر الذي وجد راحلته، وقد أشرف على الهلاك من العطش والجوع: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ» أنه أخطأ، ولم يقدر أن يضبط نفسه من الفرح.

والرابع: في ضحك النبي ـ عليه السلام ـ له حتى بدت نواجذه.

قيل: المراد: الأنياب، وقيل: الضواحك، وقيل: الأضراس، ولا وجه أن يراد: الضحك البالغ من غير نظر إلى بدوِّ النواجذ وعدم بدوِّها؛ إذ يستعمل ذلك فيه. قال في «الأساس»: يقال: أبدى ناجذه: إذا بالغ في ضحكه وغضبه.

والمعنى: رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بالغ في ضحكه، والغرض: بيان غاية سرور رسول الله ﷺ بذلك؛ حيث عفا الله تعالى عن رجل من أهل الإيمان، ولم ينظر إلى تقصيراته في الطاعة، وتفريطاته في العبادة.

وفيه: بيان نهاية هِمَّةِ النبي ـ عليه السلام ـ على اختلاص أهل الإيمان من عذاب النار، وأن الضحك في مقامه حسنٌ وزَيْنٌ، كما أنه في غير أوانه قبحٌ وشَيْن، وإن كان صدوره عن صدر الدنيا له في المقام مناسبة؛ لبيان رضا الله تعالى عن عبده؛ لما علمت أن الضحك الوارد في صفة الله تعالى هو الرضا، وقد حصل منه تعالى، وعلامته الأمرُ بدخول الجنة، وإعطاؤه عشرة أمثال الدنيا، فوافق النبي ـ عليه السلام ـ

في ذلك، وأظهر علامة السرور، وهو الضحك؛ ليكون تأسياً بالله تعالى في الرضا عن ذلك العبد، ولهذا ضحك الراوي موافقةً على ما ورد في رواية ابن مسعود، وقال: أَلاَ تَسْأَلُونِّي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضِحْكِ رَبِّ العَالَمِينَ».

الخامس: في تعليم الأماني:

* **قوله: (فَيُقَالُ لَهُ: أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟)** قيل: المراد: زمان الفراغة في الدنيا؛ حيث كان مشغولاً بالملاذِّ والمناهي، فارغاً عن العبادة، والمعنى: أنه يقال له: تَمَنَّ فارغاً من كل شائبة، كما كنت فارغاً في ذلك الزمان، ويخطر ببالك الأماني الكثيرة، والغرض، الأمر بكثرة التمني، وبيان أن جميع ما يتمنى يحصل له، وأضعافه.

وقيل: المراد: العفو؛ حيث عرض عليه ذنوبه.

وقيل له: أتعرف ذنب كذا وكذا؟ ثم غفر له بعد أن أقرّ بذنوبه، ورأى هلاكه، وإنما يفعل به ذلك، لأن إخراجه من الوهم بتلك الطريقة أقوى؛ إذ لو غفر له دفعة، لربما خطر بباله أنه يؤاخذ بعد ذلك بخطيئاته، فإذا عرض عليه ذلك، وغفر له، حصل له الفراغ الكلي، وعلم أنه وصل إلى النعيم السرمدي.

والغرض: بيان طلب الإقرار منه بالذنوب، والعفو له، ثم الأمر بالتمنّي، فعلى هذا ففي الرواية اختصار، ويدل عليه الحديث الآخر؛

حيث قال: «فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِـهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا» إلى آخر الرواية، وإنما عرض عليه صغار الذنوب دون كبارها، قيل: لأن الصغار لما كانت معفوّة بالصّلاة والصوم والحج وغير ذلك ـ على ما تقرر ـ، فالعفو في هذا المقام إعطاء الحسنة بدل كل صغيرة، وأمّا الكبار، فكأن عفوها عدم المؤاخذة بها، لا إعطاء الحسنة بدلها.

وفيه ـ أيضاً ـ: إيماء إلى أنّ الصغائر تعفى، لا الكبائر، فيجب الاجتناب عنها.

وقيل: إنما لم يعرض الكبار؛ لأنه عُذّب لأجلها في النار، وهو آخر أهل الجنة خروجاً من النار، فبقي له الصغار، فيعفو ويعطي بدل كل سيئة حسنة، تكرّماً وتفضّلاً.

السادس: بيان سعة رحمة الله عليه:

* **قولـه: (فَإِنَّ لَـكَ مِثْلَ الدُّنْيَـا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَـا)** الظاهر: أن الغرض: بيان كثرة لطف الله تعالى، وسعة فضله، ولذلك ذكر الرسول ـ عليه السلام ـ ذلك في كل مقام بعبارة أخرى، فقال: «فاذْهَبْ [فَادْخُلِ الجَنَّةَ]؛ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا، وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا»، وقال في موضع: «ولَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَعَشَرَةُ أَضْعَافِ الدُّنْيَا»، وقال في آخر: «[فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا]؛ أي: مثل مُلكِ خمسةٍ [من] ملوك الأرض «لَكَ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ

نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ»، وليس الغرض: التحديد إلى ما سبق إلى بعض الأذهان، فيحتمل الجمع بين الروايات بأن الله تعالى قد أعطاه أوّلاً مثل الدنيا، ثم زاد عليها عشرة أضعافه، ثم أعطاه مثل ما تمنى وعشرة أمثاله، فإن المراد: بملكِ خمسةِ ملوك الأرض: ملكُ تمام؛ لأن في العادة أن كل ملك تملك بعض الملك، وغير ذلك من وجوه التكلفات، بل الغرض: التكثير، وبيان سعة رحمة الله على عباده.

وأنت خبير بأنّ هذا لا يحتاج إلى هذه التعسفات، فالوجه الإعراضُ عنه صفحاً، والإقبال على ما أَصَّلناه لك وجهاً.

ويؤيد ذلك: ما جاء في حديث ابن مسعود بعد ذكر ضحك ربّ العالمين: «فَيَقُولُ الله ـ تبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لَهُ: الحَقْ بِالنَّاسِ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ يَرْمُلُ فِي الجَنَّةِ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ النَّاسِ، رُفِعَ لَهُ قَصْرٌ مِنْ دُرَّةٍ، فَيَخِرُّ سَاجِداً، فَيُقَالَ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، مَا لَكَ؟ فَيَقُولُ: رَأَيْتُ رَبِّي، أَوْ تَرَاءَى لِي رَبِّي، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّمَا هُوَ مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِكَ، قَالَ: ثُمَّ يَلْقَى رَجُلاً، فَيَتَهَيَّأُ لِلسُّجُودِ لَهُ، فَيُقَالَ لَهُ: مَهْ، مَا لَكَ؟ فَيَقُولُ: رَأَيْتُ أَنَّكَ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ، فَيَقُولُ: إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ مِنْ خُزَّانِكَ، عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِكَ، تَحْتَ يَدِي [أَلْفُ قَهْرَمَانٍ][1] عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ أَمَامَهُ حَتَّى يَفْتَحَ لَهُ القَصْرَ»، قَالَ: «وَهُوَ فِي دُرَّةٍ، مُجَوَّفَةٍ [سَقَائِفُهَا][2]، وَأَبْوَابُهَا،

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

وَأَغْلاقُهَا، وَمَفَاتِيحُهَا [مِنْهَا][1] تَسْتَقْبِلُهُ جَوْهَرَةٌ خَضْرَاءُ مُبَطَّنَةٌ بِحَمْرَاءَ، كُلُّ جَوْهَرَةٍ تُفْضِي إِلَى جَوْهَرَةٍ عَلَى غَيْرِ لَوْنِ الأُخْرَى، فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ سُرُرٌ وَأَزْوَاجٌ، وَوَصَائِفُ، أَدْنَاهُنَّ حَوْرَاءُ عَيْنَاءُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ حُلَّةً، يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ حُلَلِهَا، [كَبِدُهَا مِرْآتُهُ، وَكَبِدُهُ مِرْآتُهَا]، إِذَا أَعْرَضَ عَنْهَا إِعْرَاضَةً، ازْدَادَتْ فِي عَيْنِهِ سَبْعِينَ ضِعْفاً عَمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِذَا أَعْرَضَتْ عَنْهُ إِعْرَاضَةً، ازْدَادَ فِي عَيْنِهَا سَبْعِينَ ضِعْفاً عَمَّا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ لَهَا: [وَاللهِ!] لَقَدِ ازْدَدْتِ فِي عَيْنِي سَبْعِينَ ضِعْفاً، وَتَقُولُ لَهُ: وَأَنْتَ [وَاللهِ!] لَقَدِ ازْدَدْتَ فِي عَيْنِي سَبْعِينَ ضِعْفاً، فَيُقَالُ لَهُ: أَشْرِفْ، قَالَ: فَيُشْرِفُ، فَيُقَالُ لَهُ: مُلْكُكَ مَسِيرَةُ مِئَةِ عَامٍ يَنْفُذُهُ بَصَرُهُ» رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

السابع: في قوله: (لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ): الرواية في الأصول: (عَلَيْهِ) بتذكير الضمير في الأولتين، وأمّا في الثالثة، ففي أكثرها: (عَلَيْهَا) بتأنيث الضمير، وفي بعضها: (عَلَيْهِ) كما في الأولتين، والظاهر: أن الضمير يرجع إلى (مَا) [في] قوله: (مَا لاَ صَبْرَ لَهُ)، وهو عبارة عن الشجرة المرفوعة، فبالنظر إلى اللفظ يُذكَّر الضمير الراجع إليه، وبالنظر إلى المعنى يؤنث.

بقي فائدةُ اختصاصِ الثالثة بذلك، قيل: لأن الشجرة الثالثة عند باب الجنة، والأدنى إليه الدخول في أول مراتب المقصود، وهو

(١) بياض في الأصل.

دخول الجنة، فكان النظر إلى المعنى لأجل الدلالة على أن هذه الشجرة أقربُ إلى المقصود من الأوليين.

وقيل: الضمير يرجع إلى (ما) بمعنى: الجنة؛ لأن الشجرة لما كانت عند بابها، فالنظرُ إليها نظرٌ إلى الجنة، فبطلب الأدنى إليها يحصل الدنوّ إلى الجنة، فتكون (ما) في الأولتين عبارة عن الشجرة، وفي الثالثة عن الجنّة، فذكر بالتأنيث إيماءٌ إلى فضلها وقربها، وهذا أقرب، على أنّ الأظهر ما في بعض الأصول من تذكير الضمير في الثالثة كما في الأولتين.

وبالجملة: قول النووي عن النعمة أخذٌ بالحاصل، وإلا، فالمذكور هو الشجر.

والثامن: في قوله: (مَا يَصْرِينِي) ـ بفتح الراء وسكون الصاد المهملة وكسر الراء ـ؛ من الصَّرْي ـ بفتح الصاد وسكون الراء ـ، وهو القطعُ والمنع.

قال في «الصحاح»: يقال: صَرِيَ بَوْلَه صَرْياً: إذا قطعه، وصَرَى الله عنه شره: إذا دفعه، وصَرَيتُ الماء: إذا جمعته وحبسته، واختصمنا إلى الحاكم، فصَرَى ما بيننا؛ أي: فصل.

وفي «الأساس»: يقال: صَرَاك الله: منعك وحفظك.

وبالجملة: أصل الصَّرْي: القطع، ويستعمل في المنع، والجمع، والحفظ، لمناسبة القطع؛ إذ في الثلاث الأُوَل قطعُ التعرض، وفي الرابعة قطعُ الخصومة، ويستعمل في الحتم ـ أيضاً ـ، ومنه حديث

الإسراء في فرض الصلاة: «عَلِمْتُ أَنَّهَا أَمْرُ اللهِ صِرَّى»؛ أي: حتم واجب.

وفي حديث أبي سمعان الأسدي حين وجد ناقته، وقد ضلَّت: علِمَ ربِّي أَنَّها مِنِّي صِرَّى؛ أي: عزيمة قاطعة، ويمين لازمة.

وقـــال في «القـــاموس»: صَراهُ يَصْرِيه: قَطَعَهُ، ودَفَعَهُ، ومَنَعَهُ، وحَفِظَهُ، وكَفَاهُ، ووقاهُ، وتَقدَّمَ، وتَأَخَّرَ، وعَلاَ، وسَفَلَ، ضـِدٌّ. وقيل: الصِّرى مشتقة من أَصْرَرْت على الشيء: إذا لزمته.

والرواية في جميع نسخ مسلم: (مَا يَصْرِينِي مِنْكَ)، وأنكره إبراهيم الحربي، وقال: الصّواب ما في سائر الأصول: (مَا يَصْرِيك مِنِّي)، وليس الأمر على ما توهَّم الحربي، بل كلاهما صحيح؛ إذ الانقطاع كما يكون من جانب السائل، يكون من جانب المسؤول عنه، نعم، رواية سائر الأصول أدلُّ على المراد؛ إذ الغرضُ: بيان قطع سؤال السائل؛ بإعطائه ما يقطع سؤاله، وأقرب إلى الأدب؛ إذ إضافة القطع إلى الشخص أنسبُ من إضافته إلى الله تعالى.

ولكن في رواية الكتاب لطيفة ليست في تلك الرواية؛ إذ المقامُ مقامُ بيان فضل الله تعالى على ذلك الرجل، وإعطائه له جميع مُناه، وغاية متمناه، ففي رواية الكتاب إيماءٌ إلى شدة الاعتناء بشأنه؛ فإن مقصود المتكلم إذا كان بيان شدّة عنايته لتحصيل مرام السائل، وجعل طلبه كأنه متعلق به، وهو يريد قطعه بما يقتضي مطلوب السائل، يضاف الأمر إلى نفسه، ويومئ أن ذلك ثابت في ذمته، وهو يريد

تفريغها بكفاية المرام، وإعطاء الطلبة بالتمام، كما قيل في الألفاظ الواردة في النصوص الدالـة على الوجوب على الله تعالـى، مع أنه لا يجب عليه شيء، والكل منه فضل: إن ذلك لأجل هذا الإيماء، وليس هذا الإيماء في الرواية الأخرى ـ على ما لا يخفى ـ.

* * *

٤٨٢ ـ (١٨٨/ ٣١١) ـ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِـي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِـي بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِـي صَالِحٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِـي عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِـي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً: رَجُلٌ صَرَفَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الجَنَّةِ، وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا». وَسَاقَ الحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَلَمْ يُذْكُرْ: «فَيَقُولُ: يا بْنَ آدَمَ! مَا يَصْرِينِي مِنْكَ». إِلَى آخِرِ الحَدِيثِ، وَزَادَ فِيهِ: «وَيُذَكِّرُهُ اللهُ سَلْ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ: هُوَ لَكَ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ ـ قَالَ: ـ ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الحُورِ العِينِ، فَتَقُولاَنِ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ ـ قَالَ: ـ فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ».

الحديث الثامن: حديثُ أبي سعيد الخدري: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً: رَجُلٌ صَرَفَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الجَنَّةِ، وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ

الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا». وَسَاقَ الحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَلَمْ يُذْكُرْ: «فَيَقُولُ: يا بْنَ آدَمَ! مَا يَصْرِينِي مِنْكَ». إِلَى آخِرِ الحَدِيثِ، وَزَادَ فِيهِ: «وَيُذَكِّرُهُ اللهُ سَلْ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ: هُوَ لَكَ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ ـ قَالَ: ـ ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الحُورِ العِينِ، فَتَقُولاَنِ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ ـ قَالَ: ـ فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ»، وهذا من أفراد مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري، مرفوعاً: «أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً، وَتُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ[1] مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ، كَمَا بَيْنَ الجَابِيَةِ إِلَى صَنْعَاءَ».

وعن ابن عمر، يرفعه: «إِنَّ أَدْنَى أَهْل الجَنَّة مَنْزِلَةً: لَمَنْ يُنْظَرُ إِلَى جَنَّاتِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللهِ: مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غَدْوَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ قَرَأَ رَسُول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]»، أخرجه الترمذي.

إذا عرفت هذا، فالكلام ـ هاهنا ـ في مواضع:

الأول: في التعريف برواته سوى ما سلف: يحيى، وشيخه، والنعمان.

أمّا (يَحيَى)، فهو ابْنُ أَبِي بُكَيْرٍ، نَسْر، أو بِشْر، وقيل: بشير العبديُّ، القيسيُّ، الكوفيُّ قاضي كَرمانَ.

---

(١) في الأصل: «وبيت له فيه».

عن شعبة، وإسرائيل، وزائدة، وجماعة.

وعنه حفيده عبدالله بن محمد بن يحيى، ويعقوب الدَّورقي، وابن المثنى، وخلائق.

وَثَّقَهُ ابن معين وغيرُه، وأخرج له الستة.

وقال أبو حاتم: محله الصدق.

قيل: توفي سنة ثمان ومئتين.

وأما (شيخه)، فهو أبو المنذر زهير بن محمد المروزيُّ.

عن زيد بن أسلم، ومحمد بن المنكدر، وعبد الرحمن بن القاسم، وخلق.

وعنه عبد الرحمن بن مهدي، والوليد بن مسلم، وأبو عامر العَقَدي، وجماعة.

أخرج له الستة، وعن أحمد: أنه ثقة، وعن ابن معين: أنه لا بأس به.

وقال النسائي في موضع: ضعيف، وفي موضع: ليس به بأس، وفي بعض الروايات: ليس بالقوي.

وقال البخاري: كأن الذي روى عنه أهل الشام زهير آخر.

وأما (النعمان)، فهو أبو سلمة النعمانُ بنُ أبي عياش الزرقي الأنصاريُّ.

عن خولة، وجابر، وابن عمر، وجماعة.

وعنه سُمَيٌّ، وأبو حازم، وابن عجلان، وطائفة.

وَثَّقَهُ ابن معين وغيرُه، وأخرج له الستة، وأبوه من جلَّة الأنصار وفرسانهم.

والثاني: فيما يتعلق بمعناه، وقد سبق في الحديث قبله.

والثالث: في قوله: (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا) قيل: المراد من الإحياء: الخلق، والمعنى: الحمد لله الذي خلقك لأجلنا، وخلقنا لأجلك، وقيل: المراد حقيقته، والمعنيان متقاربان، والتفاوت بينهما أنّ في الأوّل إيماء إلى [أن] ذلك مقدر من بدء الخلق، فإنه خلق لأجلهما، وهما لأجله، فتكون الحُور قبل المبعث، والحكم بدخول الجنّة متعيّنة للأشخاص لهن، وليس في المعنى الثاني ذلك.

والرواية في (زوجتاه) ـ بالتاء ـ، على أنه تثنية زوجة، والزوج والزوجة يقال في المرأة ـ أيضاً ـ؛ كما يقال الأوّل في الرجل، وربما يقال في بعض الاستعمال الفاشي في المرأة فقط، فالأوّل في الرجل [...].

و(تَقُولاَنِ) ـ بالتاء المثناة الفوقانية ـ هي الرواية.

* * *

٤٨٣ ـ (١٨٩/ ٣١٢) ـ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الأَشْعَثِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، وَابْنِ أَبْجَرَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رِوَايَةً إِنْ شَاءَ اللهُ ح.

٤٨٤ ـ وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِـي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ: سَمِعَا الشَّعْبِـيَّ يُخْبِـرُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُهُ عَلَى المِنْبَرِ يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

٤٨٥ ـ قَالَ: وَحَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ الحَكَمِ ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ، وَابْنُ أَبْجَرَ: سَمِعَا الشَّعْبِـيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ المُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يُخْبِـرُ بِهِ النَّاسَ عَلَى المِنْبَرِ، قَالَ سُفْيَانُ: رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا ـ أُرَاهُ ابْنَ أَبْجَرَ ـ، قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِـيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الخَامِسَةِ: رَضِـيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِـيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ! فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] الآيَةَ.

٤٨٦ ـ (١٨٩/ ٣١٣) ـ حَدَّثَنَـا أَبُو كُرَيْـبٍ، حَدَّثَنَـا عُبَيْـدُاللهِ

الأَشْجَعِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبْجَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: إِنَّ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ سَأَلَ اللهَ ﷻ عَنْ أَخَسِّ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنْهَا حَظّاً. وَسَاقَ الحَدِيثَ بِنَحْوِهِ.

الحديث التاسع: حديثُ الشعبي قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رِوَايَةً ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ ح.

وفي رواية: قال الشعبي: سَمِعْتُهُ[1] عَلَى المِنْبَرِ يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وفي رواية يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ عَلَى المِنْبَرِ، قَالَ سُفْيَانُ: رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا ـ أُرَاهُ ابْنَ أَبْجَرَ ـ، قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ يا رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ: رَبِّ! فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»،

---

(١) في الأصل: «سمعت المغيرة».

قَـالَ: وَمِصْدَاقُـهُ فِـي كِتَـابِ اللهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة: ١٧] الآيَةَ.

وفي رواية - صلوات الله وسلامه عليه -: «سَأَلَ اللهَ عَنْ أَخَسِّ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنْهَا حَظّاً». وَسَاقَ الحَدِيثَ، أخرجه الترمذي.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: التعريف برواته سوى ما سلف.

(**مُطَرِّفٌ**)، وهو أبو بكر مطرفُ بنُ طريفٍ المازنيُّ، الكوفيُّ.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، والشعبي، والحكم، وجماعة.

وعنه السفيانان، وابن فضل، وخلق.

وَثَّقَهُ القوم، وأثنوا عليه، وأخرج له الستة.

توفي سنة ثلاث وأربعين ومئة.

وَ(ابْنُ أَبْجَرَ)، وهو عبد الملك بن سعيد بن حبان بْنِ أَبْجَرَ الهمذانيُّ، الكوفيُّ.

عن أبي الطفيل، وإياد بن لقيط، وعكرمة، وجماعة.

وعنه ابنه عبد الرحمن، وزهير بن معاوية، وأبو أسامة، وخلق.

وَثَّقَهُ ابن معين وغيرُه، وأخرج له مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

قال ابن المديني: له نحو أربعين حديثاً.

قال زهير بن معاوية: قال ابْنُ أَبْجَرَ: إذا أكلت الجراد نيئاً، أكلك

ولم تأكله، وإذا أكلته مطبوخاً، لم تأكله ولم يأكلك، وإذا أكلته مشوياً، أكلته ولم يأكلك.

الثاني: في الإسناد:

* **قوله: (سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رِوَايَةً - إِنْ شَاءَ اللهُ -)** ظاهر هذا الكلام: أن سفيان بن عيينة شك في أن الشعبي وَقَفه على المغيرة، أو رفعه إلى رسول الله ﷺ، وكذلك قدَّم مسلم - رحمه الله - هذه الرواية؛ لأنها بين الرفع والوقف، ثم أورد رواية الرفع مصرحاً، ثم الذي يرفعه أحد شيخي سفيان، وهما: مُطَرِّف، وابن أَبْجَرَ، ويرفعه الآخر، ثم لمّا ذكر الحديث، أورد رواية ابن أَبْجَرَ عن الشعبي موقوفاً على مغيرة بلا شك، فالشكُّ في الرفع، وغيره في الرواية الأولى، ولذلك ذكر المشيئة احتياطاً، ولا شك أن ذلك غيرُ قادح؛ لما مَرَّ من [أن] الحديث الذي رفعه بعض الرواةدون بعض، فـالحكم للرفع.

ولمّا أخرج الترمذي هذا الحديث، قال: وروى بعضهم هذا الحديث عن الشعبي، عن المغيرة، ولم يرفعه، والمرفوع أصح.

الثالث: فيما يتعلق بالمعنى:

* **قوله: (مَا أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟)** لما كان السؤال عن منازل أهل الجنة من الأدنى والأعلى، أورد لفظة (مَا) دون (من)؛ إيماءً إلى أن المراد: بيان معرفة تفاوت المنازل؛ إذ بحسب ذلك التفاوت يحصل التفاوت في النازلين - أيضاً -، فجعل ذلك أصلاً، ولو قيل: (مَنْ) لكان الأصل السؤال عن النازلين، ويقرب عرض السؤال عن

المنازل وبيان التفاوت فيها، ويحتمل أن يكون السؤال[1].

* وقوله: (أَخَذَاتِهِمْ) ـ بالفتحتين ـ.

* وقوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ) ـ بالرفع ـ، وكذا (غَرَسْتُ) بَدَلٌ مِنْ (أَرَدْتُ)، والأصل: أردتُ غرسَ كرامتهم، وإنما قيل: (غَرَسْتُ)؛ إيماء إلى وقوع المراد، وأن غرسَ كرامتهم بعد إرادته قد وقع ورضي، وإنما ذكر الإرادة، وإن كان الفعل لا يتخلف عنها، فلو قيل: غرستُ كرامتهم، لكفى؛ إيماءً إلى أنهم في الأزل ـ قبل خلق الجنة ورفع منازلها ـ مقدّرون لذلك النعيم، فالحاصل: أن الواقع أقوى وأدل على المقصود من أن يقال: الذين غرست كرامتهم، وكذا من أردت غرس كرامتهم، وكذا من أردت فغرست، لما في الفاء معنى التعقيب، ولا شك أن الفعل لا يتأخر عن إرادته تعالى.

وذكرُ الغرس يومئ إلى الثبات والاستقرار، ويناسب الجنة؛ إذ يستعمل ذلك في الأشجار، وغرس الكرامة مجاز عن استقرار التعظيم وثبات التكريم، وذلك بأن يدخل في الجنّة أوّل مرة، من غير توقف ولا سؤال، ولا دخول في النار لأجل مجازاة بعض الأعمال.

وقيل: التقدير: غرست دَارَ كرامتهم، والأوّلُ أوجه؛ إذ لا شك أن الغرس مَجازٌ هاهنا، والمراد: بيان أنهم محكومون بالإنعام العام، والإكرام التام، بحيث لا يشاركهم فيه أحد، وأن ذلك مقدر في الأزل

---

(١) بياض في الأصل.

حين لا يكون غرس، وإيقاع الفعل، وهو الغرسُ على الكرامة التي لا تغرس تحقّق هذا المعنى، وتبين أنّ في الكلام استعارة بالكناية؛ حيث شبَّه الكرامة بالكرم ونحوه، واستعارة تخييلية، حيث أثبت شيئاً من لوازم المشبه به، وهو الغرس، فلو قدرت مضافاً، لأخرجت الكلام عن هذا الشيء، ولا يبقى فيه هذه اللطافة.

وقد مَرَّ أن اليد، والإصبع، ونحوهما من الأشياء الواردة في النصوص المضافة إلى الله تعالى، فمذهبُ أكثرِ أهل السلف: الإيمانُ بها، وتفويض العلم إلى عالم الغيب والشهادة، بعدَ الجزم بأنه تعالى منزّهٌ عن صفات المخلوقين، ليس بجسم، ولا جسمانيّ، ولا شبيه له ولا نظير، وأكثر الخَلَف يؤوِّلونها بما يَليق بالموضع، ويوجد في استعمال العرب؛ فإن اليد ـ مثلاً ـ تطلق في استعمالاتهم على القدرة، والنعمة، والملك، ونحوها، فيؤوَّلُ الواردُ في هذا الحديث ونحوه على ما يليق به.

وبالجملة: تركُ تقدير المضاف ـ هاهنا ـ أَدفعُ بصدر من يُلحد في صفات الله تعالى، ويذهب [إلى] التجسيم؛ إذ لا شك أن الكرامة ليست مما يُغرس حتى يذهب وَهْمُه الخبيث إلى تصور غارس ويد.

* وقوله: (وَمِصْدَاقُهُ) الظاهر أنّ القائل هو المغيرة بن شعبة، ولمّا كان في الحديث نوع غرابة؛ إذ هو إخبار عن أمور المَعاد، أكد ذلك بقوله: «وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ».

* وقوله: (عَنْ أَخَسِّ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنْهَا حَظّاً) الرواية بالخاء المعجمة والسين، بمعنى: أَدْوَنِ أهل الجنة، كما في الرواية الأولى: (أَدْنَى أَهْلِ

الجَنَّةِ مَنْزِلَةً)، ووقع في رواية أبي العبّاس الدَّلاَيي[1]: (أحسن) ـ بالحاء المهملة وآخره نون ـ وهو تصحيف.

* * *

٤٨٧ ـ (١٩٠/ ٣١٤) ـ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا: رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ! قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لاَ أَرَاهَا هَاهُنَا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

٤٨٨ ـ (١٩٠/ ٣١٥) ـ وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ كِلاَهُمَا، عَنِ الأَعْمَشِ بِهَذَا الإِسْنَادِ.

---

(١) وهو المعروف بالعذري.

الحديث العاشر: حديثُ أبي ذرّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا: رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِـهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِـهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِـهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ! قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لاَ أَرَاهَا هَا هُنَا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. أخرجه الترمذي، وقد مرَّ الكلام عليه في الحديث السابع، فلا نعيده.

* * *

٤٨٩ ـ (١٩١/ ٣١٦) ـ حَدَّثَنِي عُبَيْدُاللهِ بْنُ سَعِيدٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ كِلاَهُمَا، عَنْ رَوْحٍ، قَالَ عُبَيْدُاللهِ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ الْقَيْسِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ سَمِعَ جَابِـرَ ابْنَ عَبْدِاللهِ يُسْأَلُ عَنِ الوُرُودِ، فَقَالَ: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ ـ قَالَ: ـ فَتُدْعَى الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ ـ قَالَ: ـ فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ، وَيَتَّبِـعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ ـ مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ ـ نُوراً، ثُمَّ يَتَّبِـعُونَهُ، وَعَلَى

جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَطْفَأُ نُورُ المُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو المُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، سَبْعُونَ أَلْفاً لاَ يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ المَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا.

الحديث الحادي عشر: حديثُ جابر يُسْأَلُ عَنِ الوُرُودِ، فَقَالَ: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ - قَالَ: - فَتُدْعَى الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ - قَالَ: - فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ، وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ - مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ - نُوراً، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَطْفَأُ نُورُ المُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو المُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، سَبْعُونَ أَلْفاً لاَ يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَءِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ

شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ المَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا.

وهذا الحديث من أفراد مسلم.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأوّل: في التعريف برواته سوى ما سلف.

(رَوْحٌ)، وهو أبو محمد رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ بنِ العلاء بنِ حسانَ الْقَيْسِيُّ، البصريُّ، أحدُ الحفاظ والرؤساء.

عن حسينٍ المعلِّم، وابن عون، وهشام بن حسان، وجماعة.

وعنه أحمد، وإسحاق، وعبد بن حُميد، وخلائق.

أخرج له الستة.

وقال ابن المديني: نظرت لروح بن عبادة في أكثر من مئة ألف حديث، كتبت منها عشرة آلاف حديث.

وقال أيضاً: من المحدّثين قومٌ لم يزالوا في الحديث، فطلبوا ثم صنفوا، ثم حدّثوا، منهم روح بن عبادة.

وقال ابن معين: صدوق. قلت يظلم فيه القواريري، فلا حجة.

وقال الخطيب: قدم روحٌ بغداد، وحدّث بها مدة، ثم رجع إلى البصرة، فمات بها سنة خمس وثمانين، وكان كثير الحديث، صنف الكتب في السنن والأحكام، وجمع التفسير، وكان ثقة.

والثاني: في ألفاظه:

اعلم أن الرواية في جميع أصول «صحيح مسلم»: (نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ)، وذكر النووي أن المتقدمين والمتأخرين اتفقوا على تصحيفه، وقال الحافظ عبد الحق في كتابه «الجمع بين الصحيحين»: هذا تخليط من أحد الناسخين، وقال القاضي عياض: هذه صورة الحديث في جميع النسخ، وفيه تغيير وتصحيف، قال: وصوابه: (نَجِيء يَوْم القِيَامَة عَلَى كَوْم)، وهذا رواه أهل الحديث، وفي كتاب أبي خيثمة من طريق كعب بن مالك: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى تَلٍّ، وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ)، وذكره الطبري في «التفسير» من حديث ابن عمر: (فيَرْقَى هو؛ يعني: محمداً ـ عليه السلام ـ وأمتُه على كَومٍ فوقَ النَّاس)، وذكر من حديث كعب بن مالك: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُون أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ)، ثمَّ قال القاضي: فهذا كله يبين ما تغير من الحديث، كأنه أظلمَ هذا الحرفُ على الراوي، أو مُحي له، فعبّر عنه بكذا وكذا، وفسّره بقوله: (أَيْ: ذَلِكَ فَوْق النَّاس)، وَكَتَبَ عَلَيْهِ: (أُنْظُرْ)، فجمع النقلة الكلَّ على أنه من متن الحديث كما ترى.

و ـ أيضاً ـ: هذا الحديث ليس من شرط مسلم؛ لأنه موقوف على جابر، وإنما ذكره؛ لأنه روي مسنداً من غير هذا الطريق، وذكره ابن أبي خيثمة عن ابن جريج، يرفعه. هذا كلام القاضي وغيره.

والظاهر: أنه لا حاجة إلى الحكم بالتصحيف [. . .] مع

الاستغناء، وكيف يصححون هذا الكلام بتلك الأحاديث، ولا مناسبة بينها وبين ما في الكتاب في اللفظ؛ فإنه لو كان التغيير في كلمة، يمكن أن يقال: إنها تصحيف، وذلك ـ أيضاً ـ إنما يكون إذا وردت رواية أخرى في هذا الحديث بعينه، وتكون الكلمة الواقعة في هذه الرواية لا معنى لها، أو يكون معناها منافياً للغرض، وجميعُ الأسباب مفقودة هاهنا، فأيُّ داعٍ لهم إلى الحكم بالتصحيف؟ إذ الظاهرُ من رواية الكتاب: أنّ جابراً لمَّا سئل عن الورود، كان غرض السائل السؤالَ عن أحوال الموقف، لا عن الورود فقط، بدأ جابر ﷺ بأوَّل الأحوال، وقال: (نَجِيءُ نحن) وأكد مجيئهم بعد ما كان معلوماً من النون في (نَجِيءُ) بقوله: (نَحْنُ) زيادةً في البيان، و- أيضاً ـ جاء لغرض بأن المراد بيان مرتبة هذه الأمة في الموقف.

والمراد من الناس: سائر الأمم، والمعنى: نجيء نحن عن كذا وكذا، وأشار إلى جبل وتل في موضع السؤال؛ ليكون ذلك أوضحَ للسائل، وأشد تبياناً عنده، ثم أكد ذلك بقوله: (انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ)، ولا شك أن السائل إذا سأل شخصاً عن حال الموقف، فأجابه بأنا نجيء عن كذا وكذا، وأشار إلى جبل من الجبال، وتل من التلول، وبيَّن موقف سائر الناس في أسفل، ثم قال له: انظر أي المواقف فوق الناس، يكون فيه بيان بأنهم يقفون في موضع أسفل منهم، فيكون قوله: (كَذَا وَكَذَا) إشارة إلى تلال وجبال، و(ذَلِكَ) إشارة إلى ما أشار إليه بكذا وكذا.

وفيه بيانُ مراتب هذه الأمّة ـ أيضاً ـ؛ فإن موضع موقف بعضهم

فوق موقف بعض، وموقف الجميع من حيث إنهم هذه الأمّة فوق موقف جميع الناس.

فالحاصل: أنّ جابراً أجاب السّائل ببيان مراتب الوقوف، وذكر أنّ هذه الأمة تجيء عن كذا وكذا، وأشار إلى مواضع مرتفعة، ثم بيَّن أنها فوق موقف جميع الناس، ثم انتقل إلى بيان ما جرى على الأمم بعد الوقوف في تلك المواقف، فلا تكون هذه الرواية مخالفة لما روي [من] الأحاديث، بل هي بمعناها، وإنما الاختلاف في اللفظ.

على أن هذه الرواية أقوى وآكدُ ـ على ما ذكرنا ـ، فلا يحكم على مثل هذا بالتصحيف، ولا يصار إلى أن لفظ هذه الرواية معني بالاستدلال برواية أخرى، ومن ذهب إلى ذلك، كان كمن رام تصحيح الروايات الواقعة في «البخاري»، ولا شك في خطئه.

نعم، لو قيل: في هذه الرواية حذف شيء اختصاراً، والأصل: نجيء نحن عن كذا وكذا، ويقف، لكان شيئاً، وهو لا يوجب القدح؛ إذ كثير من الروايات فيه أمثال هذه التقديرات، على أنّ في الكلام ما يدل على ذلك ـ أيضاً ـ.

وأمّا الاعتراض بأنه موقوف على جابر، وليس من شرط مسلم إيرادُ مثله، فضعيف؛ لأن هذا الحديث مرفوع من طرق عن جابر[1] ـ على ما سيجيء بعضها في حديث الشفاعة ـ، وبعضها من طرق أُخر

(١) في الأصل: «من طريق جابر».

ـ على ما مَرَّ ـ، وهذه الرواية إنما ذكرت متابعةً، لا أنها من الأصول، ومثله في «الصحيحين» كثير.

والثالث: فيما جاء في الورود:

عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيَّ عَنْ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[مريم: ٧١]، فَحَدَّثَنِي: أَنَّ عَبْدَاللهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُمْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْحِ البَرْقِ، ثُمَّ كَالرِّيحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، ثُمَّ كَمَشْيِهِ» أخرجه الترمذي، وحسَّنه، وقال: وقد روي عن السدي، ولم يرفعه.

وعَنْ أَبِـي سُمَيَّةَ، قَالَ: اخْتَلَفْنَا [هَاهُنَا] فِي الوُرُودِ، فَقَالَ بَعْضُنَا: لاَ يَدْخُلُهَا مُؤْمِنٌ، وَقَالَ بَعْضُنَا: يَدْخُلونهَا جَمِيعاً، ثُمَّ يُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا. فَلَقِيتُ جَابِـرَ بْنَ عَبْدِاللهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا اخْتَلَفْنَا [هَاهُنَا] فِي الوُرُودِ، فَقَالَ: يَرِدُونَهَا جَمِيعاً. [وَقَالَ سُلَيْمَانُ مَرَّةً: يَدْخُلونهَا جَمِيعاً]. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا اخْتَلَفْنَا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُنَا: لاَ يَدْخُلُهَا مُؤْمِنٌ، وَقَالَ بَعْضُنَا: يَدْخُلُونَهَا جَمِيعاً، فَأَهْوَى بِأُصْبُعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ، وَقَالَ: صُمَّتَا إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الوُرُودُ الدُّخُولُ، لاَ يَبْقَى بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ إِلاَّ دَخَلَهَا، فَتكُونُ عَلَى المُؤْمِنِ بَرْداً وَسَلاَماً كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، حَتَّى إِنَّ لِلنَّارِ ـ أَوْ قَالَ: إِنَّ لِجَهَنَّمَ ـ ضَجِيجاً مِنْ بَرْدِهِمْ، ثُمَّ يُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَيَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً» رواه أحمد، ورجاله ثقات.

والرابع: فيما يتعلق بالمعنى:

* قوله: (فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ) قد مَرَّ أن المراد من التجلي: الظهور، ومن الضحك: الرضا، فالمعنى: يظهر لهم راضياً عنهم.

وقيل: معنى يظهر: يُبين ويُبدي لهم ما أخفى لهم من فضله ورحمته.

* وقوله: (وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ - مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ - نُوراً) ظاهر في أنّ للمنافقين نوراً في الأوّل، وإنما أعطاهم؛ نظراً إلى إيمانهم الظاهر، ثم لمّا لم يكن إيمانهم مفيداً، أنه ذهب عنهم النور، وبقوا في الصراط على الجسر العظيم، ثم وقعوا[1] في قَعْر جهنم.

* وقوله: (ثُمَّ كَذَلِكَ) إشارة إلى قوله: «كَأَضْوَءِ نَجْمٍ»؛ يعني: أن وجوه الزمرة الأولى كالقمر ليلة البدر، ووجوه الزمرة الثانية كأضوء نجم في السماء، فيكون التفاوت بين سائر الزمر من سوى الأولى في تقدّم الدخول وتأخره، لا في زيادة النور وقلّته.

وقيل: إشارة إلى النور، والمعنى: ثم الذين يلونهم وجوهُهم متفاوتة في النور تفاوتَ نور النجم المضيء بالنسبة إلى البدر، والأوّلُ أظهر.

وأما قوله: (فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الجَنَّةِ) لا ينافي هذا قوله فيما سبق: (فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الجَنَّةِ)؛ إذ كثيراً ما يستعمل الفِناء في الفضاء خلال البيوت، وفيها الأنهار والأشجار، على أن النهر بالنسبة إلى الجنة، وإن كان في وسطها، من الفناء - أيضاً -.

---

(١) في الأصل: «وقفوا».

* وقوله: (حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْل) هكذا الرواية في أكثر النسخ، وفي بعضها: (نَبَاتَ الدِّمْن) ـ بكسر الدال وسكون الميم ـ، وهي السِّرْقينُ، والدِّمْنَة: البقعةُ التي سوَّدها أهلها، وبالت فيه ويَعَرت مواشيهم، والمعنى: ينبتون نبات الدمن في سرعة الإنبات، وحسنِ المنظر، وطراوة الظاهر، مع قبح الباطن وقَذَره، ومنه: «خَضْراءُ الدِّمَنِ» مَثَلٌ لما يكون ظاهره حسناً وفي أصله سيءٌ، وفي هذا التشبيه إيماء إلى أنهم وإن كانوا استحقوا العذاب لأجل قبائح أعمالهم، ولكن لما أدركهم فضلُ الله تعالى ورحمته، زال ذلك عنهم، وبدّلت سيئاتهم حسنات.

ولما كان الظاهر من قوله: (نَبَاتَ الدِّمْن فِي السَّيْل) بسرعة إنبات اللحم، وتسوية الأعضاء، وعوده إلى الاعتدال، أشار إلى رَوْنَق حال الباطن، وأن الحرارة التي أصابت بواطنهم زالت عنها، فقال: (وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ)، فهو بضم الحاء المهملة وتخفيف الراء؛ أي: حراق أثر النار منها، والضمير فيه راجع إلى (مَنْ) في قوله: (حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله)، وإنما وحَّد هاهنا، وفي قوله: (وَكَانَ فِي قَلْبِهِ)، وفي قوله: (ثُمَّ يَسْأَلُ)، وجُمع في قوله: (فَيُجْعَلُونَ)، و(عَلَيْهِمُ)، و(يَنْبُتُوا)؛ ذهاباً إلى لفظ (مَنْ) ومعناه، والاختصاص: التنبيه على التفاوت، وقد تقرر في موضعه: أن الجنس يعبّر عنه بالواحد؛ لأنه متحد في الأفراد، والتعبير بالجمع إنما هو لملاحظة الأفراد، والمقصود الأعظم في هذا المقام: بيان أن سبب خلاص المخرَجين من النار كونُ شيء من الإيمان في قلوبهم، وبيان أنّ النعيم الواصل إليهم

أزال تأثير النار عنهم، وأنهم بعد ذلك يَسألون، ويُعْطَون ما يريدون وزيادة، فيكون المقصود هي الأمور الثلاثة: كون الإيمان في القلب الذي هو السبب [في] إزالة الحراقة، وإعطاء المتمني مع الزيادة، فوحد الضمير فيها، وجعلهم في فناء الجنّة، ورش الماء عليهم، وبيان سرعة الإنبات [...] الغرض، [...] المقصود، فجمع الضمير فيها، فتأمّل، والله أعلم بالصواب.

* * *



(٥٥)

باب

إثبات الشفاعة

٤٩٠ ـ (١٩١/ ٣١٧) ـ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثنا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو: سَمِعَ جَابِراً يَقُولُ: سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِأُذُنِهِ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ نَاساً مِنَ النَّارِ، فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ».

٤٩١ ـ (١٩١/ ٣١٨) ـ حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: أَسَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ قَوْماً مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ»؟ قَالَ: نَعَمْ.

٤٩٢ ـ (١٩١/ ٣١٩) ـ حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ سُلَيْمٍ العَنْبَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ الفَقِيرُ، حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ قَوْماً يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ يَحْتَرِقُونَ فِيهَا إِلاَّ دَارَاتِ وُجُوهِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ».

أخرج فيه أربعةَ عشرَ حديثاً:

الأوّل: حديث جابر: سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ـ عليه السلام ـ بِأُذُنِهِ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ نَاساً مِنَ النَّارِ، فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ».

وفي رواية قَالَ: حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: أَسَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ قَوْماً مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ»؟ قَالَ: نَعَمْ.

وفي رواية: «إِنَّ قَوْماً يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ يَحْتَرِقُونَ فِيهَا إِلاَّ دَارَاتِ وُجُوهِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ». أخرجه البخاري.

وفي رواية: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمُ الثَّعَارِيرُ»، قُلْتُ: مَا الثَّعَارِيرُ؟ قَالَ: «الضَّغَابِيسُ».

وعن عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ: أن النبيَّ ـ عليه السلام ـ قال: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَتِي، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ» أخرجه البخاري، والأربعة سوى النسائي.

وعن أنس: أن رسول الله ﷺ [قال]: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ قَوْمٌ بَعْدَ مَا مَسَّهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ: الجَهَنَّمِيِّينَ» أخرجه البخاري.

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» أخرجه أبو داود، والترمذي.

ثم قال الترمذي: وفي الباب: عن جابر، ثم أخرج حديث جابر من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه، عنه: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي». قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: فَقَالَ لِي جَابِرٌ: يَا مُحَمَّدُ! مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ، فَمَا لَهُ وَلِلشَّفَاعَةِ؟

وأخرجه ابن ماجه ـ أيضاً ـ.

وعـن عَوْن بن مالك، قال: قـال رسول الله ﷺ: «أَتَانِـي آتٍ مِنْ رَبِّـي، فَخَيَّرَنِـي بَيْـنَ أَنْ يَدْخُـلَ نِصْفُ أُمَّتِـي الجَنَّةَ، وَبَيْـنَ الشَّفَاعَـةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، وَهِيَ لِمَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً».

وأخرجه ابن ماجه بلفظ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا خَيَّرَنِي رَبِّـيَ اللَّيْلَةَ؟». قُلْنَـا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَـالَ: «فَإِنَّهُ خَيَّرَنِـي بَيْـنَ أَنْ يَدْخُـلَ نِصْفُ أُمَّتِي الجَنَّةَ، وَبَيْنَ الشَّفَاعَـةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَـةَ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعلَنَا مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: «هِيَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

وعن أبي موسى الأشعري، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ، وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ؛ لأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتُرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لاَ، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِـينَ الخَطَّائِينَ المُتَلَوِّثِينَ».

عن عبدالله بن أبي الجَدْعَاء، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّـةَ بِشَفَاعَـةِ رَجُلٍ مِـنْ أُمَّتِـي أَكْثَرُ مِـنْ بَنِي تَمِيمٍ». قَالُـوا: يَا رَسُولَ اللهِ! سِوَاكَ؟ قَالَ: «سِوَايَ» أخرجه الترمذي، وابن ماجه.

وعن أبي سعيـد، مرفوعاً: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِئَامِ، وَمِنْهُمْ مَـنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِـيلَةِ، وَمِنْهُـمْ مَـنْ يَشْفَـعُ لِلْعُصْبَـةِ، [وَمِنْهُمْ مَـنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ]، حَتَّى يَدْخُلُوا الجَنَّةَ» أخرجه الترمذي.

وعـن عثمانَ بـنِ عفّانَ، قال: قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَشْفَـعُ يَـوْمَ القِيَامَةِ ثَلاَثَةٌ: الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ العُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ» أخرجه ابن ماجه.

إذا عرفت هذا، فالكلام ـ هاهنا ـ في مواضع:

الأوّل: في بيان المناسبة:

لما أورد الأحاديثَ الدالة على رؤية المؤمنين ربّهم في الآخرة، وكان بعضُ الأحاديث المشتملة على بعض الرؤية مشتملةً على ذكر الشفاعة ـ أيضاً ـ، أورد الأحاديثَ الدالة على ذكر الشفاعة بدون ذكر الرؤية بعدَها، لأجل تلك المناسبة، ولأجل الإيماء إلى نفع الإيمان؛ فإنه إذا وجد، وإن كان معه معاصي، فإن صاحبه يحصل له الخلاص آخراً، ولأجل بيان كمال نفع الرسول ـ عليه السلام ـ لأمته، حيث هداهم في الدنيا إلى الإيمان، ونَجّاهم في الآخرة من عذاب النيران.

والثاني: في بيان الشفاعة:

اعلم أن أصل الشفاعة مما اجتمعت عليه الأمّةُ، وإنما اختلفوا في الشفاعة لأصحاب الكبائر في إدخالهم الجنة أوّلاً، أو بعد الدخول في النار.

فذهب أهلُ الحق في الوقوع، ويدل عليه النصوصُ الظاهرة الكثيرة المذكورةُ في الكتاب العزيز، وفي الأحاديث النبويّة ـ على ما مَرَّ ـ، وسيجيء بعضها ـ أيضاً ـ.

وقالت طوائف من المعتزلة وغيرهم: إنما هي للخلاص من الموقف، ولسرعة الحساب، ولزيادة الثواب، لا لدَرْء العقاب، وتمسّكوا بنصوص، أقواها قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ﴾[البقرة: ١٢٣]، وهو عام في عدم قبول الشفاعة لأصحاب الكبائر، ويندرج فيه النبي وغيره.

وأجيب بعدم العموم، فإن الكلام مع قوم مخصوصين، وهم بنو إسرائيل، فلا يلزم منه أن لا تنفع لغيرهم، و- أيضاً -: في يوم مخصوص، فيجوز أن يقع في غيره، و- أيضاً -: أنتم قائلون بوقوع شيء منها، وهو الاستخلاص من شدة هَوْل الموقف، ومن المناقشة في المحاسبة، ومن حصول رفع الدرجة، فلا يبقى على عمومه، وإذا خصّص شيء، جاز تخصيصه بعده بأمثال هذه الأخبار.

ثم اعلم أن للمفهوم من أحاديث الشفاعة أنها على خمسة أقسام:

أوّلها: الإراحة من هول الموقف، وهي مختصّة بسيّدنا - عليه الصلاة والسلام - على ما سيجيء.

والثانية: في إدخال قومٍ الجنةَ دون حساب، وهذه - أيضاً - وردت اختصاصه بنبيِّنَا - عليه السلام -، وسيأتي بيانه.

والثالثة: شفاعة قوم استوجبوا النار، فيشفع فيهم نبيُّنا - عليه السلام -، ومن شاء الله أن يشفع، وسيجيء ذكرها في الكتاب.

والرابعة: في إخراج قوم، وإدخالهم الجنةَ بشفاعة نبيّنا - عليه السلام -، وسائر الأنبياء عليهم السلام، وشفاعة الملائكة والمؤمنين، وقد مَرَّ.

والخامسة: في رفع الدرجات.

والمعتزلة ومن يضاهيهم من أهل البدع لا ينكرون الأولى والثانية والخامسة، وينكرون الباقيتين اللّتين هما من المقاصد العظمى، والنعم الأسنى.

وتمامُ الكلام في علم الكلام.

لما كان المقصود إثباتَ شفاعة نبيّنا ـ عليه السلام ـ، وكانت شفاعته في زيادة الثواب مما لا نزاع فيه، وإنما المتنازع الشفاعةُ لدرء العقاب، بدأ مسلم ـ رحمه الله ـ بالحديث المشتمل على خروج ناس من النار، ودخولهم الجنة؛ إذ هو المخالف لقواعد المخالفين المنكرين للشفاعة؛ لأنهم يقولون: من يدخل النار، لا يخرج منها، فأورد ذلك رداً لقولهم، وإبطالاً له، وتوطئة للأحاديث الواردة في الشفاعة.

ثم ذكر الرواية المصرّحة بأن الخروج من النار لأجل الشفاعة.

ثمّ المشتملة على بيان خروجهم منها، ودخولهم الجنّة.

ثم الحديث المشتمل على بيان المقام المختصِّ بنبينا ـ عليه السلام ـ.

ثم المشتمل على النبيين من الشفاعة، وعدم إقدامهم عليها، وإقدام النبي ـ عليه السلام ـ عليها، وإخراجِه جمعاً من النار بدفعات، وإدخالهم الجنّة، حتى إنه لم يبق فيها إلا من حبسه القرآن؛ أي: وجب عليهم الخلودُ، ويخرج منها من قال: لا إله إلا الله.

ثم المشتمل على اختباء النبي ـ عليه السلام ـ شفاعته في الدنيا لأجل ذلك اليوم، ودعائه في الدنيا لأجل أمّته، وبكائه عليهم، ووعد الله تعالى له بقبول شفاعته فيهم، وذلك أقوى دليل على غاية شفقته ورحمته على أمّته ﷺ، وعلى أزواجه وذريته.

والثالث: في قوله: (سَمِعَهُ مِنَ النَّبِـيِّ ـ عليه السلام ـ بِأُذُنِهِ) إنما أكد السماع بقوله: (بِأُذُنِهِ) إيماءً إلى أن حديث الشفاعة حديث عظيم ينبغي أن يهتم به السامع؛ إذ هو ملاك الأمر في الدار الآخرة، ولذلك كان الرواة يذكرون هذا الحديث في مواضع [من] رواياتهم، مثل ما مَرَّ، ومثل قوله: (وَيْحَكُمْ! أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ ـ يعني: جابراً ـ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ)، وغير ذلك ـ على ما سيجيء في الروايات ـ، وينبهون على مواضع السماع، وكل ذلك للإيماء إلى عظم شأن هذا الحديث، وجلالة قدره، ورمز إلى غاية طلب القوم تحقيقه وتبيينه ـ رزقنا الله تعالى وإخواننا المسلمين شفاعةَ رسوله ﷺ ـ.

والعجبُ أن قوماً من أهل الإسلام يزعمون أنه يُكره أن يسأل الله تعالى أن يرزقه شفاعة النبي ـ عليه السلام ـ زعماً منهم بأن الشفاعة لا تكون إلاّ للمذنبين، فمن سأل الشفاعة، كان معترفاً بالذنب، منخرطاً تحت المذنبين، ولا يفطنون [إلى] بطلان المقدمتين اللتين بنوا عليهما كلامهم؛ إذ لا نسلّم اختصاص الشفاعة بالمذنب، بل قد تكون لزيادة الدرجات، ورفع المراتب، على ما هو مصرّح في الأحاديث، ولو سلم الاختصاص، لا نسلِّم أن الاعترافَ بالذنب، والانخراطَ في سلك المذنبين أمرٌ مكروه، كيف وكُلُّ عاقل ينبغي أن يكون معترفاً بالتقصير، طالباً للتلاقي، راغباً في كل ما يُزْلفه إلى رضوان الله تعالى، مقراً بذنوبه، محتاجاً إلى العفو، غيرَ مغرور بعلمه، مشفقاً من أن يكون من الهالكين، وعلى ذلك جرت سنة السلف والخلف الصّالح ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ، وهو الموافق للقوانين، وعليه الاعتماد.

والرابع: التعريف برواته سوى ما سلف.

(قَيْسٌ)، وهو ابْنُ سُلَيْمٍ التميميُّ، العنبريُّ، الكوفيُّ.

عن علقمةَ بن وائلِ بنِ حُجْرٍ، والضحاكِ، وجماعة.

وعنه ابنُ المبارك، وعُبيدالله بن موسى، وخلق.

وَثَّقَهُ أبو حاتم وغيرُه، وأخرج له مسلم، والنسائي.

و(شيخه)، وهو أبو عثمان يزيدُ بنُ صُهيبٍ الفقيرُ.

عن ابن عمر، وأبي سعيد، وجماعة.

وعنه سَيَّار، والمسعودي، ومِسْعَر، وخلق.

وَثَّقَهُ ابن معين وغيرُه، وأخرج له الستة إلا الترمذيّ.

وقال أبو حاتم: صدوق.

وقيل: كان يشكو فَقار ظهره، فقيل له: الفقير.

* * *

٤٩٣ ـ (١٩١/ ٣٢٠) ـ وَحَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا الفَضْلُ ابْنُ دُكَيْنٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ـ يَعْنِي: مُحَمَّدَ ابْنَ أَبِي أَيُّوبَ ـ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ الفَقِيرُ، قَالَ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ ـ قَالَ: ـ فَمَرَرْنَا عَلَى المَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ يُحَدِّثُ القَوْمَ ـ جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الجَهَنَّمِيِّينَ ـ قَالَ: ـ فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ! مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ، وَاللهُ

يَقُـــولُ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾[آل عمـــران: ١٩٢]، وَ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ القُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ يَعْنِي: الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ المَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ، ـ قَالَ: ـ ثُمَّ نعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ ـ قَالَ: ـ وَأَخَافُ أَنْ لاَ أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ ـ قَالَ: ـ غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْماً يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا ـ قَالَ: ـ يَعْنِي: فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ. قَـالَ: فَيَدْخُلُـونَ نَهْراً مِـنْ أَنْهَـارِ الجَنَّـةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيـهِ، فَيَخْرُجُـونَ كَأَنَّهُمُ القَرَاطِيسُ، فَرَجَعْنَا قُلْنَا: وَيْحَكُمْ! أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟! فَرَجَعْنَا، فَلاَ ـ وَاللهِ ـ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ.

الحديث الثاني: حديثُ يزيد الفقير قال: «كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ ـ قَالَ: ـ فَمَرَرْنَا عَلَى المَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِـرُ بْنُ عَبْدِاللهِ يُحَدِّثُ القَوْمَ ـ جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الجَهَنَّمِيِّـنَ ـ قَـالَ: ـ فَقُلْتُ لَهُ: يَـا صَاحِبَ رَسُـولِ اللهِ! مَا هَـذَا الَّـذِي تُحَدِّثُونَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾[آل عمران: ١٩٢]، وَ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]، فَمَا هَذَا

الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ القُرْآنَ؟ قُلْتُ: نعَمْ. قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ يَعْنِي: الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ؟ قُلْتُ: نعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ المَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ ـ قَالَ: ـ ثُمَّ نعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ ـ قَالَ: ـ وَأَخَافُ أَنْ لاَ أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ ـ قَالَ: ـ غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْماً يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا ـ قَالَ: ـ يَعْنِي: فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ. قَالَ: فَيَدْخُلُونَ نَهْراً مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيه، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ القَرَاطِيسُ، فَرَجَعْنَا قُلْنَا: وَيْحَكُمْ! أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟! فَرَجَعْنَا، فَلاَ ـ وَاللهِ ـ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ.

هذا الحديث من أفراد مسلم.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأوّل: في التعريف برواته سوى ما سلف.

و(محمدٌ): هو أبو عاصم محمدُ بنُ أيوبَ، وقيل: ابن أيوب الثقفيُّ الكوفيُّ.

عن الشعبي، وقيس بن مسلم، وجماعة.

وعنه وكيع، وخَلاَّد، وخلف.

وَثَّقَهُ أحمد، وابن معين، وأخرج له مسلم.

وقال أبو حاتم: صالح.

والثاني: في قوله: (قد شغفني رأي) يروى بالغين المعجمة، وهي

الأكثر، وبالمهملة، والمعنيان متقاربان، وقرئ بهما في قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[يوسف: ٣٠]، يقال: شَعَفَ الحُبُّ فؤادَه ـ بالعين المهملة ـ؛ أي: علاه، وغلب عليه، وكل شيء علا شيئاً، فقد شعفه، ويقال: شغفها حُبّاً ـ بالمعجمة ـ: إذا أصابَ به شَغَافها، وهو غشاء القلب وغلافه، قال:

يَعْلَمُ اللهُ أَنَّ حُبَّكِ مِنِّي   فِي سَوَادِ الفُؤَادِ وَسْطَ الشَّغافِ

وبالجملة: في قوله: (قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الخَوَارِجِ) إيماءٌ إلى تمكن مذهبهم في قلبه، واستقراره في نفسه، وأنه يطلب تحقيقه، ومعرفة صحته من بطلانه.

وفيه: رمز إلى غاية إشمامه شأن هذا الحديث؛ حيث صار ذلك سببَ هدايته في الدنيا، وخلوصه من العذاب في العقبى.

* وقوله: (نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ)؛ أي: نُظْهر المذهب، وندعو الناس إليه، وهو ـ أيضاً ـ تصريح بما تضمنه قوله: (قَدْ شَغَفَنِي) من الإيماء، والغرض من ذكر ذلك: بيان جلالة قدر هذا الحديث، وعظم شأنه، ولعمري! إنه جليل القدر، عظيم الشأن، حيث دلَّ على معنى هو أقصى المطالب، وأقوى المآرب.

وفيه: بيان فضل النبي ـ عليه السلام ـ على سائر الأنبياء، وغاية عنايته ورحمته على أمته ﷺ.

والثالث: في قوله: (فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ المَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ) من النار.

وعن آدمَ بنِ عليٍّ، قال: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثاً، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ! اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ المَقَامَ المَحْمُودَ. أخرجه البخاري.

وأخرج ـ أيضاً ـ عن حمزة بن عبدالله، عن أبيه عبدالله بن عمر، مرفوعاً إلى النبي ـ عليه السلام ـ، وعن أبي هريرة: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ المَقَام المَحْمُود، فَقَالَ: «هُوَ الشَّفَاعَة» أخرجه الترمذي.

وعنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قَالَ: «هُوَ المَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ فِيهِ لأُمَّتِي» رواه أحمد، وإسناده حسن.

وعن كعب بن مالك، عن النبي ـ عليه السلام ـ، قال: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ، وَيَكْسُونِي رَبِّي ﷻ حُلَّةً خَضرَاءَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي، فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَلِكَ المَقَامُ المَحْمُودُ» رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

وعن ابن عبّاس في قوله: قال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الإسراء: ٧٩]، قال: يُجْلِسُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ جِبْرِيلَ، وَيُشَفَّعُ لأُمَّتِهِ، فَذَلِكَ المَقَامُ المَحْمُودُ. رواه الطبراني.

وعن حُذيفة وذكر المحشر، وكون الناس فيه سكوت، لا تَكَلَّمُ نفس إلا بإذنه، فينادي محمداً فيقول: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ» إلى آخر كلامه، قال: «فَذَلِكَ المَقَامُ المَحْمُودُ».

وعن عبدالله بن سلام، قال: إذا كانَ يومُ القيامة، جيء بنبيكم، فأُقعد بينَ يدَيِ الله على كرسيه[1].

وبالجملة: يُعلم من هذه الأحاديث وغيرها: أنّ مقامه المحمود هو كونُ آدم ومن ذُكِرَ تحت لوائه يوم القيامة، من أوّل عَرَصاتها، إلى دخولهم الجنة، وإخراج من يخرج من النار، فأوّلُ مقاماته: إجابته المنادي، وتحميدُه ربّه، وثناؤه عليه بما ألهمه من محامده، ثم الشفاعةُ من إراحة العرض، وكذا المحشر، وهذا مقامٌ حَمِدَهُ فيه الأوّلون والآخرون، ثم شفاعتُه لمن لا حساب عليه من أمّته، ثم لمن يخرج من النار حتى لا يبقى فيها مَنْ في قلبه مثقالُ ذرة من إيمان، ولا يبقى فيها إلا المخلَّدون، وهذا آخر عرصات القيامة، مقامات المحشر، فهو في جميعها له المقام المحمود، وبيده لواء الحمد.

وحديث الترمذي عن أبي هريرة: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ المَقَام المَحْمُود، فَقَالَ: «هُوَ الشَّفَاعَة» ـ على ما مَرَّ ـ، ولا شك أنه ـ عليه السلام ـ أومأ بهذه العبارة الملخصة إلى جميع ما يكون له في ذلك؛ فإن في جميع مواطن ذلك اليوم الشفاعة التي يعتد بها له، وهو المتعيّن لها ـ على ما سيجيء في بعضها مفصلاً في أواخر الكتاب ـ.

والرابع: في قوله: (فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ) الرواية المشهورة الموجودة في أكثر الأصول: (السَّمَاسِمِ) بالسّينين المهملتين، الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، وميمين، وهي جمع سِمْسِم، وهو

---

(١) قال الحافظ الذهبي فى «العلو» (ص: ٧٥): هذا موقوف، ولا يثبت إسناده.

الحَبُّ المعروف، ووجه الشبه: الدقة والسواد؛ لأن عيدان السمسم إذا ألقيت[1] في الشمس ليؤخذ حَبُّها، تصير سوداء كأنها محرقة، ـ وأيضاً ـ: عيدانُه مجوَّفة ضعيفة في الغاية، فشبّه بها.

وقيل: صوابه: الساسم ـ بحذف الميم الأولى وفتح السين ـ، وهو خشب أسود.

وقيل: الأبنوس، وغير ذلك، والوجهُ ما قدمنا.

ثم الموجود في أكثر النسخ: (كَأَنَّهُمْ) على أن الضمير للقوم، وفي بعضها: (كَأَنَّهَا)، والضمير للصور، ويحتمل أن يكون للقوم لما جاء في ضمير الرجال [...]، وفي الرجوع إلى الضمير إيماءٌ إلى أنهم صاروا صوراً لا حياة فيها، حتى لا يبقى لهم ما [...][2] أن يرجع إليهم ضمير العقلاء، وهو مبالغة في فنائهم، وتأثير النار فيهم.

ثمّ لما ذكر دخولهم في نهر الجنة، وحصول الحياة فيهم سبب ذلك، أورد ضمير العقلاء، فقال: (كَأَنَّهُمُ القَرَاطِيسُ)، وشبههم بالقراطيس في الصفاء والبياض والرقة، وأنه قد زال عنهم ما كانوا فيه من الضعف والسواد والاختلال.

ثم في هذا التشبيه ـ أيضاً ـ إيماءٌ إلى أن صحائف أعمالهم كانت سوداً، ثم صارت بفضل الله تعالى بِيضاً، و ـ أيضاً ـ: إشعار إلى بياض وجوههم؛ لأنه لم يبق منهم إلا داراتُ الوجوه، وكانت سوداً، فصارت

---

(١) في الأصل: «ألقي».

(٢) بياض في الاصل مقدار كلمتين.

[بيضاً] بسبب الدخول في هذا النهر ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

والخامس: في قوله: (فَلاَ وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ)؛ يعني: قد تركنا ما كان في عزمنا من الخروج على الناس، ودعائهم إلى مذهب الخوارج؛ لَمَا سمعنا من هذا الحديث من جابر، فما خرج منا، وما عزم على ذلك العزم إلا رجلٌ واحد، وأَمَّا ما في رجال العصابة، فقد تركوا ذلك، ودخلوا في الاعتقاد الصحيح، وجزموا على وقوع الشفاعة في الآخرة، وكونِها سبباً لإخراج المذنبين من النار.

ولما كان في تأثير هذا الحديث في هؤلاء القوم، وفي أنّ جميعهم أذعنوا له، وتركوا ما هم عليه، أو بعضهم مثل أكثرهم أو أقلهم تردُّد، أشار الراوي، وهو حجاج بن الشاعر شيخُ مسلم إلى ذلك، فقال: (أَوْ كَمَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ)، وهو شيخه، يعني: قال مثل ما قلتُ من تركِ جميعِهم أو بعضهم هذا المذهب، شكَّ الحجاج في كيفية سماعه من أبي نعيم شيخِه، فنبّه على ذلك، وهذا وأمثاله من غاية رعاية الرواة لما سمعوا، حتى احتاطوا بمثل هذا في غير الحديث، فما ظنك فيه؟

* * *

٤٩٤ ـ (١٩٢/ ٣٢١) ـ حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِـي عِمْرَانَ، وَثَابِـتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ، فَيُعْرَضُونَ عَلَى اللهِ،

فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا، فَلاَ تُعِدْنِي فِيهَا، فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا».

الحديث الثالث: حديثُ أنس: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ، فَيُعْرَضُونَ عَلَى اللهِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا، فَلاَ تُعِدْنِي فِيهَا، فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا». وهذا من أفراد مسلم.

قال: «إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلا النَّارَ يَشْتَدُّ صِيَاحُهُمَا، فيقُولُ اللهُ ﷻ: أَخْرِجُوهُمَا، فَقَالَ لَهُمَا: لأَيِّ شَيْءٍ [اشْتَدَّ] صِيَاحُكُمَا؟ فَيقُولاَنِ: فَعَلْنَا ذَلِكَ لِتَرْحَمَنَا، فيقُولُ: إِنَّ رَحْمَتِي لَكُمَا أَنْ تَنْطَلِقَا، فَتُلْقِيَا أَنْفُسَكُمَا حَيْثُ كُنْتُمَا مِنَ النَّارِ، فَيَنْطَلِقَانِ، فَيُلْقِي أَحَدُهُمَا نَفْسَهُ، فيَجْعَلُهَا [اللهُ] عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلاماً، وَيَقُومُ الآخَرُ، فَلا يُلْقِي نَفْسَهُ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُلْقِيَ نَفْسَكَ كَمَا أَلْقَى صَاحِبُكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ! إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لا تُعِيدَنِي فِيهَا بَعْدَ مَا أَخْرَجْتَنِي، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: لَكَ رَجَاؤُكَ، فَيَدْخُلانِ جَمِيعاً الجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللهِ» أخرجه الترمذي.

ولا تنافيَ بين الحديثين؛ فإن الأربعة يعرضون على الله، ويبقى الاثنان يشتد صياحهما، فينطلقان، فيعرضان عليه، ويبقى الواحد، فيطلب فيعرض، ويدخل الجنة الكل بفضله ورحمته تعالى.

وفي الحديث: بيان[...][1]، والاعتذار الحسن معه أن الكل

---

(١) بياض في الأصل مقدار كلمتين.

من الله، وبفضله يخرج من النار أربعة.

* * *

٤٩٥ ـ (١٩٣/ ٣٢٢) ـ حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ الجَحْدَرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الغُبَرِيُّ ـ وَاللَّفْظُ لأَبِي كَامِلٍ ـ، قَالاَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ ـ وَقَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ: فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ ـ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، ـ قَالَ: ـ فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الخَلْقِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ـ، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحاً أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ، ـ قَالَ: ـ فَيَأْتُونَ نُوحاً، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ـ فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ـ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلاً، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ـ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ـ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ، ـ قَالَ: ـ فَيَأْتُونَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ـ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّداً ﷺ عَبْداً قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ». قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فيأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ، وَقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، فيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدّاً، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدّاً، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ». قَالَ: فَلاَ أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ: ـ «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ ـ أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ ـ». ـ قَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ.

٤٩٦ ـ (١٩٢/ ٣٢٣) ـ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالاَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْتَمِعُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَهْتَمُّونَ بِذَلِكَ، أَوْ يُلْهَمُونَ ذَلِكَ». بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ، وَقَالَ فِي الحَدِيثِ: «ثُمَّ آتِيهِ الرَّابِعَةَ ـ أَوْ أَعُودُ الرَّابِعَةَ ـ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا بَقِيَ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ».

٤٩٧ ـ (١٩٢/ ٣٢٤) ـ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُعَاذُ ابْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَجْمَعُ اللهُ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ»

بِمِثْلِ حَدِيثِهِمَا، وَذَكَرَ فِي الرَّابِعَةِ: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ؛ أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ».

٤٩٨ ـ (١٩٢/ ٣٢٥) ـ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ الضَّرِيرُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، وَهِشَامٌ صَاحِبُ الدَّسْتَوَائِيِّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ح.

الحديث الرابع: حديثُ أنسٍ ـ أيضاً ـ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ ـ وَقَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ: فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ ـ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ـ قَالَ: ـ فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الخَلْقِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلائِكَةَ، فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ـ، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحاً أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ، ـ قَالَ: ـ فَيَأْتُونَ نُوحاً، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ـ فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ـ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلاً، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ـ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ـ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ـ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ـ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّداً ﷺ عَبْداً

قَدْ غفَرَ اللهُ له مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِـهِ وَمَا تَأَخَّرَ». قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ، وَقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَـا شَاءَ اللهُ، فَيُقَالُ: يَـا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَـكَ، قُلْ تُسْمَـعْ، سَـلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدّاً، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدّاً، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ». قَالَ: فَلاَ أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِـعَةِ قَالَ: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ؛ أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ». ـ قَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ».

وفي رواية يقول هذا القول بلا شك، أخرجه البخاري، وابن ماجه.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأوّل: في طلب الشفاعة:

* **قوله: (فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ)** هكذا المشهور من الرواية؛ من الاهتمام، والمعنى: يعتنون لذلك؛ أي: للجمع؛ يعني: لما جمعهم الله تعالى في الموقف، ورأوا ما فيه من الشدائد والمشاق، واهتموا لأجل رفع ذلك عنهم، والتخفيف عليهم، على ما سيصرح في قوله: «حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا».

وما ذكر النووي أن المعنى: يعتنون لسؤال الشفاعة توجيهُ ما يؤول

إليه المعنى، لا تفسيرٌ لقوله: (لِذَلِكَ) ـ على ما لا يخفى ـ.

وفي بعض الروايات: (فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ)؛ يعني: أن الله تعالى ألهمهم ذلك الطلب، فلأجل ذلك الإلهام أتوا آدم ـ عليه السلام ـ.

وإتيانهُم إلى الأنبياء، وطلبُ الشفاعة منهم لأجل أنهم دُعاة الله تعالى للخلق إلى الحق، وهم الذين أتوا الأنبياء في هذا المقام هم دون الكفار؛ لما ثبت عندهم أن إيمانهم ينفعهم في الآخرة، وكانوا في الدنيا مُتَّبعين لهم، وقد سمعوا ما وُعِدوا من الفوز في الآخرة.

وذهابُهم أوّلاً إلى آدم عليه السلام؛ لِمَا تقرّر عندهم من أنه أبو الخلق جميعاً، ومتصف بصفات لا يشاركه [فيها] غيره من أولاده، على ما سيصرح في قوله: «خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ».

وأمّا أمرُ آدم ـ عليه السلام ـ لهم بالذهاب إلى نوح، وأمرُ نوحٍ وغيرِه من الأنبياء لهم بالذهاب إلى مَنْ بعدهم على ذلك التدريج، دون أَنْ أَمرَ آدم لهم بالذهاب إلى نبيّنا ـ عليه السلام ـ، قيل: لأجل أن كل واحد منهم يعلم أن هذا المقام ليس له، بل لغيره، ولكن لا يعلم بالتعيين، فأحاله إلى غيره حتى وصل إلى صاحبه، فبادر بالشفاعة.

وقيل: يعلمون ذلك، ولكن أحالوا على سبيل التدريج؛ ليتعلم جميع أهل الموقف أن صاحب هذا المقام هو محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء، ولو أحال آدم ـ عليه السلام ـ أولاً إليه، لما علم أن غيره من الأنبياء ليس له هذا المقام، ولا يعلم اختصاص النبيِّ ـ عليه السلام ـ بهذه الفضيلة.

وقد قيل ـ أيضاً ـ: في إلهام الله تعالى لهم في المجيء إلى آدم ـ عليه السلام ـ حيث لم يلهمهم إلى نبيّنا ـ عليه السلام ـ لذلك، ولما كان الغرض الإيماء إلى أن صاحب هذا المقام هو نبيّنا ـ عليه السلام ـ، أحال كلُّ نبيّ الآخرَ إلى آخر، لا على سبيل الترتيب الذي لا [. . .] بينهما أحد من الأنبياء، بل على سبيل التدريج الكلي؛ فإن آدم ـ عليه السلام ـ ما أحال الأمر إلى شيث وإدريس، بل إلى نوح، وهو إلى إبراهيم دون مَنْ بعده، وإبراهيم إلى موسى دون إسماعيل وإسحاق أو يعقوب أو غيرهم، وموسى إلى عيسى دون غيره من الأنبياء الذين كانوا في البين، ويعلم من ذلك ـ أيضاً ـ: مراتب الأنبياء المذكورين، وأنهم أفضل من الذين لم يُذكروا.

والثاني: من جواب الأنبياء:

* **قوله: (فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ)** إلى آخره.

اعلم أن مسألة الأنبياء قبل البعثة وبعدها مما يتكلم الناس عليها كثيراً.

فقال الجمهور: لا يمتنع أن يصدر منهم كبيرة قبل البعثة؛ إذ لا دلالة للمعجزة عليه، ولا حكم للعقل.

وقال أكثر المعتزلة: تمتنع [عليهم][1] الكبيرة، وإن تاب عنها؛ لأنه يوجب النفرة، وهي تمنع عن اتباعه، فتفوت مصلحة البعثة.

---

(١) بياض في الأصل.

ومنهم من منع عما يُنفِّر ؛ كعقِّ الأمهات، والفُجور، والصغائر الخسيسة دون غيرها.

وقال الروافض: لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة.

وأما بعد البعثة، فأجمع أهلُ الشرائع على عصمتهم عن تعمد الكذب فيما دلت المعجزة على صدقهم فيه؛ كدعوى الرسالة، وما يبلغونه من الله تعالى.

وفي جواز صدوره عنهم على سبيل السهو والنسيان خلاف؛ فمنعه الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، وكثيرٌ من الأئمة؛ لدلالة المعجزة على صدقهم، وجوَّزه القاضي أبو بكر الباقلاَّني ذاهباً إلى دخوله في التصديق المقصود بالمعجزة.

وأمّا سائر الذنوب، فهي؛ إما كفر، أو غيرها.

أما الكفر، فأجمعت [الأمة] على عصمتهم منه، غير أن الأزارقة من الخوارج جوَّزوا عليهم الذنب، وكل ذنب عندهم كفر، وجوزت الشيعة إظهاره تقية [عند خوف الهلاك]، وذلك يفضي إلى إخفاء الدعوة.

وأما غير الكفر؛ إِمَّا كبائر، أو صغائر، وكل منهما إِمَّا عمداً أو سهواً.

أما الكبائر عمداً، فمنعه الجمهور إلا الحشوية، والأكثرُ على امتناعه سمعاً.

وقالت المعتزلة ـ بناء على أصولهم ـ: عقلاً.

وأمّا سهواً، فَجَوَّزَهُ الأكثرون.

وذهب الأستاذ أبو المظفر الإسفراييني ومَنْ تبعه إلى: أنه لا يجوز عليهم، وتأوّلوا أحاديث السهو وغيرها بما سنذكره في موضعه.

وأما الصغائر عمداً، فَجَوَّزَهُ الجمهور إلا الجُبَّائي، وأَمَّا سهواً، فجائز عند الجمهور، إلا الصغائر الخسيسة؛ كسرقة حبّة، أو لقمة.

وقال الروافض: لا يجوز عليهم صغيرة قَطّ.

وقال الجاحظ[1]: تجوز الصغائر سهواً بشرط أن ينبهوا عليه فينتهوا عنه، وذهب [إليه] كثير من المتأخرين [من المعتزلة][2].

هذا نبذٌ من كلام القوم في هذا المقام، ولكل واحد من الفرق حجج ومناقضات يطول ذكرها.

وبالجملة: الحقُّ عصمتُهم من الكبائر والصغائر عمداً، وإن صدر عنهم الكبائر سهواً، فلا بد من التنبيه عليها قصداً؛ إمَّا في الوقت، كما ذهب إليه جمهور المحققين، أو قبل وفاتهم، كما ذهب إليه جمع، ليسنُّوا حكم ذلك، ويبينوا ذلك قبل انخرام مدتهم، وليصحّ تبليغهم ما أُنزل إليهم.

وما تمسّك به المخالف ممّا يكون منقولاً بالآحاد وجبَ ردُّه؛ لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهونُ من نسبة المعاصي إلى الأنبياء، وما ثبت

---

(١) في الأصل: «الحافظ».

(٢) انظر: «المواقف» للإيجي (٣/ ٤٢٥ ـ ٤٢٧)، وعنه نقل المصنف هذه النُّبذ.

تواتراً، فما له محملٌ، حمل عليه، وصرف عن ظاهره؛ لدلائل العصمة، وما لم يوجد له مَخْلص، حمل على أنه قبل البعثة، أو من قَبيل ترك الأَوْلى، أو صغائر صدرت عنهم سهواً، ولا ينافي ذلك تسميتهم الصادر عنهم ذنباً، والاستغفار عنه، ولا الاعتراف بكونه ظلماً منهم؛ إذ ذلك لعظمته عندهم، أو قصدوا به هضمَ أنفسهم.

ولا يهولنَّك إن نسب قومٌ هذا المذهب إلى الخوارج والمعتزلة، وطوائف من المبتدعة؛ إذ منزعُهم فيه منزعٌ آخر من التكفير بالصغائر، والحكم بالخروج من الإيمان، ونحو ذلك، ونحن نتبرأ إلى الله تعالى من هذه المذاهب الفاسدة، بل المذهب: أن مرتبة النبوة أجلُّ من أن يُنسب إلى الظالم بها شيءٌ من هذه الأمور، وانظر إلى الخطايا المذكورة هنا؛ من أكل آدم ـ عليه السلام ـ من الشجرة ناسياً، [و]من دعوة نوح ـ عليه السلام ـ على قوم كفار، ومدافعة إبراهيم ـ عليه السلام ـ الكفارَ بقولٍ فيه تعريض، وقتل موسى ـ عليه السلام ـ الكافرَ الذي لم يؤمر بقتله، إنها ليست في حق غيرهم بذنوب، لكنهم أشفقوا منها؛ لكونها صادرةً من غير أمر الله تعالى، ولذلك قالوا ما قالوا، وطلبوا المغفرة، وسموها ظلماً، وإنما عُدِّدت عليهم، وعوتبوا عليها؛ نظراً إلى مناصبهم؛ إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس، ولقد أحسن الجُنيد حيث قال: حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقرّبين. فهم وإن كانوا قد شهدت النصوص بوقوع أشياء منهم، فهنا نوعُ عَتْبٍ عليه، فلا يحل ذلك لمناصبهم، ولا قدح به في دينهم، بل قد تلاقاهم، واجتباهم،

وهداهـم، ومدحهـم، وزكّاهـم، واختارهـم، واصطفاهـم ـ صلـوات الله عليهم أجمعين إلى يوم الدّين ـ.

و ـ أيضاً ـ: مراتـب الأنبياء فـوق مراتب غيرهـم، فهم يحترزون عن أدنى شيء أشدَّ من احتراز غيرهم من أعلاه، و ـ أيضاً ـ: أفعالهم وأقوالهم يجب التأسِّي بها، فيكون ذلك تحريضاً للناس على التحرز عن المنهيات، وإكثار الاستغفار عند صدور شيء منها، ولو بالسهو والنسيان.

وفي ذكرهم خطيئاتهم في هذا المقام إيماءٌ إلى أن مقام الشفاعة مقـامٌ عظيـم، لا ينبغـي أن يُقدم عليه إلا مـن لا يَصدر عنـه شيءٌ مـن ذلك.

وفيه أعلى دليـل على فضيلـة القائم به ـ عليـه أفضـل الصلوات وأكمل التحيات ـ.

وعدمُ إقدام عيسى ـ عليه السلام ـ على ذلك، مع أنه ليس له خطيئة، إيماءٌ إلى [أنَّ] صدور الخطايا التي ذكرت ليس سبباً لعدم الإقدام، بل لكل مخلوق من الأنبياء وغيره مقامٌ معلوم يقوم عليه، فلا يمكنه التجاوز عنه، ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[الصافات: ١٦٤]، والمقام المحمود الذي يقوم عليه القائم بالشفاعة هو مقام نبيّنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

اللهمَّ ارزقْنا شفاعته يوم الدين، واجعلْنا من الفائزين بشفاعته يا أرحم الراحمين.

والثالث: في قوله: (وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحاً أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ)، وفي رواية: «أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ» ربما يعترض بإدريس ـ عليه السلام ـ؛ فإنه قبل نوح؛ لأنه جدُّ أبيه ـ على ما ذكره النيسابوري ـ.

يجاب: بأنه نبيٌّ لا رسول، ويقال مثلُه في شيث ـ أيضاً ـ، وبأنه إلياس المبعوث في بني إسرائيل مع يوشع بن نون ـ على ما جاء في بعض الروايات ـ.

والحقُّ أن نوحاً ـ عليه السلام ـ أُرسل إلى الناس جميعاً في زمان كثرة الخلق، وكانت دعوته ألف سنة، ووقوع الطوفان بدُعائه آية عظيمة.

وقدَّمنا لك: أن الغرض ـ هاهنا ـ: إحالةُ كل واحد منهم الأمرَ إلى من [هو] أعظمُ مرتبةً؛ ليعلم عِظَمَ مرتبة صاحب هذا المقام، ولا يضير في ذلك رسالة شيث وإدريس؛ لأنهما وإن كانا رسولين قبل نوح ـ عليهم السلام ـ، ولكن رسالة نوح أعظمُ من رسالتهما؛ نظراً إلى عظم المبعوث إليهم، وكثرتهم، وعدم اختصاصه بقوم دون قوم، والغرض ـ كما قلنا ـ: الإيماءُ إلى أن هذا الأمر لا يقدر على الإقدام عليه إلا نبيٌّ مرسلٌ، كثيرُ الأتباع، يكون له شأن معهم، ولا شك في كون نوح أوّلَ الرسل بهذا المعنى، فتدبر.

ويؤيّده: ما سيجيء في حديث أبي بكر الصديق: أن آدم ـ عليه السلام ـ يقول لأهل المحشر: «قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِثْلَ الَّذِي لَقِيتُمْ، انْطَلِقُوا إِلَى أَبِيكُمْ بَعْدَ أَبِيكُمْ، إِلَى نُوحٍ»، [وقوله تعالى]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

﴿ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران: ٣٣]، وفي هذا بيان أنّ نوحاً ـ عليه السلام ـ أبٌ؛ لأن الخلق بعده من ذريته، وهو المصطفى المذكور بعد آدم في هذه الآية الكبرى على شأن ليس لغيره، وفي آدم ـ عليه السلام ـ هذه الآيةُ في هذا المقام نوعُ بيان بسبب اختصاص طلب الشفاعة من نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى ـ عليهم السلام ـ دون غيرهم.

والرابع: في قوله: (اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلاً) هو مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة نسبة كرامة الخليل عند خليله، والخليل: المُخَالُّ، وهو الذي يُخالُّكَ؛ أي: يوافقك في خِلالك وأمورك، أو يُسايرك في طريقك، من الخلّ، وهو الطريق في الرّمل، أو يسد خَلَلَك كما يسدُّ خَلَلَه، أو يُداخلك خِلالَ منازلك وحجبك، والخُلَّة ـ بالضم ـ: الصداقة، وبالفتح: الفقر والحاجة، وبالكسر: واحدة خلل السيوف، وهي بطائن أغشيتها، والخلل: الفرجة بين الشيئين.

وقال ابن الأنباري: معنى الخليل: المحبّ الكامل في المحبّة، والخليلان: المحبّان اللّذان ليس في حبّهما نقص ولا خَلَلٌ، فتسميته خليلاً منه، فإنه صدق في محبة الله تعالى، وأخلص فيها حتى آثر محبته على كل محبوباته، فبذل ماله للضيفان، وولدَه للقُربان، وجسدَه للنيران.

وقال الواحدي: هذا القول هو الاختيار هاهنا؛ لأن الله تعالى خليلُ إبراهيم، وإبراهيم خليل الله تعالى، ولا يجوز أن يقال: هو من

الخَلّة التي هي الحاجة؛ لأنه لا يجوز من جانب الله تعالى.

وقيل: من الخَلَّة التي بمعنى الفقر والحاجة؛ لأنه افتقر إلى الله في حوائجه، واعتمد عليه في فاقته، حتى لم يلتفت إلى غيره؛ بحيث آلت حاله إلى أن قال له جبريل وهو في الهواء حين رمي في المنجنيق: ألك حاجة؟ فقال: أمّا إليك، فلا.

ويجاب عما ذكره الواحدي؛ بأن المراد: بيانُ ذلك من جانب إبراهيم ـ عليه السلام ـ؛ للعلم بأن المذكور في جانب الله تعالى على سبيل المجاز؛ لاستحالة حمل جميع تلك المعاني عليه حقيقة.

وقيل: من الخَلَل بين الشيئين، وذلك لِمَا يُخالل قلبه من معرفة الله تعالى، ومحبته ومراقبته، حتى كأنه مزجت أجزاء قلبه بذلك، وقد أشار بعضهم إلى هذا المعنى، فقال:

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي ... وَلِذَا سُمِّيَ الخَلِيلُ خَلِيلاَ

ولقد جمع هذه المعاني، وأحسنَ من قال في تعريف الخلة: إنها صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الأسرار، والغنى عن الأغيار.

والخامس: في قوله: (عَبْداً قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ).

قيل: ما قبل النبوّة وما بعدها.

وقيل: جميع ما فرط منه.

وقيل: ما تقدّم من حديث مارية، وما تأخر من حديث زينب.

وقيل: المراد: ذنوب أمّته.

وقيل: ما وقع منه ـ عليه السلام ـ عن سهو.

وقيل: ما تقدم لأبيك آدم، وما تأخر من ذنوب أمتك.

وقيل: المراد: أنه مغفور غير مؤاخذ بذلك لو كان.

وقيل: هو تنزيهٌ له عن الذنوب.

والسادس: في شفاعة نبيّنا عليه السلام:

* **قوله: (فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي)**؛ أي: في الشفاعة، ثم الظاهر من الأحاديث: أن جميع الأمم طلبوا الشفاعة من الأنبياء مبتدئين[1] من آدم ـ عليه السلام ـ في الخلاص من الموقف، وقد جاء مصرّحاً في قوله: «يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ، وَمَا لاَ يَحْتَمِلُونَ».

ثم المعلومُ من شفاعة نبيّنا ـ عليه السلام ـ: استخلاصُ أمّته من النار، وإخراجهم منها بعد دخولهم فيها بدفعات.

وفي رواية أبي حازم عن أبي هريرة، وأبي مالك عن حذيفة: أن الشفاعة في الجواز عن الصّراط؛ حيث قال: «فَيأْتُونَ مُحَمَّداً، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَي الصِّرَاطِ يَمِيناً

---

(١) في الأصل: «مبتدياً».

وَشِمَالاً»، وهذه الرواية تدل على أن شفاعة نبيّنا ـ عليه السلام ـ لجميع الأمم في العبور عن الصّراط، والروايات الأُخر تدل على أنها في الإخراج من النار لأمّته خاصّة، وطلبت الناس الشفاعة للخلاص من الموقف.

فقيل في الجمع بين الأحاديث: إن لنبيّنا ـ عليه السلام ـ شفاعاتٍ في مواطنَ متعددة، كما قدمنا، فذكر في كل حديث أحدَها.

وقيل: جمع الشفاعة في موطن واحد، وطلب الناس الإراحة من الموقف لوقوع الغم والكرب عليهم؛ لأجل إدناء الشمس، ورؤية الصراط على الصفة المذكورة، ورؤية الجنة والنار، فلا يقدر أحد من الأنبياء والملائكة الإقدامَ على ذلك؛ لأنه أوّل الأمر، ولا علم لأحد بالإذن في الشفاعة وقبولها، بل هولُ ذلك اليوم قد أثَّر في الجميع، حتى قال كل أحد: نفسي نفسي، فعند ذلك اهتم الناسُ لأجل ذلك، وطلبُهم الخلاصَ من الموقف هو طلبُهم العبور على الصراط، والدخول في الجنَّة.

وطلب رسول الله ﷺ الإذن من ربّه، فأذن له، وعلَّمه، فجاهد، فبدأ وحَمِد ربه، ثم خرَّ ساجداً، وطلب من ربّه خلاص القوم من تلك[1] الحيرة والدهشة، فشفع لذلك، وحكم على كل شخص بما يستحقه.

ثم لمَّا رأى هلاكَ أمته، وأن كثيراً منهم قد حُكم عليهم بدخول النار، ورأى سائر الأنبياء والملائكة قبول الشفاعة، وأذن للكل فيها،

---

(١) في الأصل: «ذلك».

شفع كل واحد لأمته، والملائكة للمؤمنين من كل أمة، والمؤمنون لإخوانهم، فشفع لهم، فتكون فضيلة رسولنا ـ عليه السلام ـ في بداية الشفاعة، وإراحة الكل من الموقف، وإخراج جميع من آمن به من النار، حتى يكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة.

ولا شك أن هذا القول هو القولُ الأوَّل بعينه، ولا خلاف بالاعتبار؛ لأن من قال: في مواطن؛ أنها واقعة مُرَتَّبة، كلٌّ واحدة بعد أخرى، لا دفعة.

ومراد من قال: في موطن واحد، يعني: الجميع واقع في يوم واحد.

والظاهر هو الأول؛ إذ النظر إلى الوقائع لا الزمان في هذا اليوم، ولهذا قيل: يومُ القيامة يومٌ ذو مواطن، وقد مَرَّ.

وفي إلهام الله تعالى المحامد له، وقوله ـ عليه السلام ـ: «فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ[1] يُلْهِمُنِيهِ اللهُ»، وقوله: «وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ[2] لأَحَدٍ قَبْلِي» إيماء إلى أن إعطاء الله تعالى المقام المحمود له، وقبوله شفاعته أولاً قبل الجميع؛ لأجل قابلية ذاته لإلقاء المحامد إليه، وإلهامه له.

وفيه: إشعار بحسن تقديم المحامد عند طلب الشفاعة، وحسن ذكر محامد من تطلب الشفاعة منه، وأنَّ حمد الله تعالى إنما يقدر عليه

---

(١) في الأصل: «إلا أن».

(٢) في الأصل: «لم يعلمه».

الإنسان بإلهام الله تعالى له، وإلقائه عليه، وأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وجاء في حديث أبي هريرة أن المحامد كانت بعد السجود، وفي حديث أنس قبل السجود، وذلك يدل على أنه ـ عليه السلام ـ أكثرَ من التحميد والثناء في هذا المقام كله في قيامه وسجوده إلى أن أسعف بطلبته.

والسابع: في قوله: (قَالَ قَتَادَةُ: أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ) إيماءٌ إلى أن التفسير الذي ذكر ـ (حَبَسَهُ القرآنُ) ـ منقول عن قتادة. وفيه نوع رمز إلى التفسير لابد وأن يكون بالنقل، فيخرج من كونه مفسّراً.

وفيه: دليل لمذهب أهل الحق في أنه لا يخلد في النار موحِّدٌ.

ولما كان في هذه الرواية الشك بأن هذا القول في المرة الثالثة أو الرابعة، أورد رواية أخرى فيها الجزمُ بأنه في الرابعة، وإنما الشكُّ فيها في اللفظ بأنه قال: (آتِيهِ)، (أَوْ أَعُودُ)، ثم أورد الرواية الأخرى المزيلة لهذا الشك ـ أيضاً ـ، فقال: وَذَكَرَ فِي الرَّابِـعَةِ: (فَأَقُولُ: يَا رَبِّ!).

* * *

٤٩٩ ـ وَحَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ المِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، قَالاَ: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ ـ وَهُوَ ابْنُ هِشَامٍ ـ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ ابْنُ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِـهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ

إِلاَّ اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِـهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِـهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً». زَادَ ابْنُ مِنْهَالٍ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ يَزِيدُ: فَلَقِيتُ شُعْبَةَ، فَحَدَّثْتُهُ بِالحَدِيثِ، فَقَالَ شُعْبَةُ: حَدَّثَنَا بِهِ قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ بِالحَدِيثِ. إِلاَّ أَنَّ شُعْبَةَ جَعَلَ مَكَانَ الذَّرَّةِ ذُرَةً. قَالَ يَزِيدُ: صَحَّفَ فِيهَا أَبُو بِسْطَامٍ.

الحديث الخامس: حديثُ أنسٍ ـ أيضاً ـ: أن النَّبيَّ ـ عليه السلام ـ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِـهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِـهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِـهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً». زَادَ ابْنُ مِنْهَالٍ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ يَزِيدُ: فَلَقِيتُ شُعْبَةَ، فَحَدَّثْتُهُ بِالحَدِيثِ، فَقَالَ شُعْبَةُ: حَدَّثَنَا بِهِ قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ بِالحَدِيثِ. إِلاَّ أَنَّ شُعْبَةَ جَعَلَ مَكَانَ الذَّرَّةِ: ذُرَة. قَالَ يَزِيدُ: صَحَّفَ فِيهَا أَبُو بِسْطَامٍ.

أخرجه البخاري، والترمذي، وفي «البخاري»: (وقال أبان عن قَتادة: مِنْ إيمانٍ) مكان (خير).

ثم قال الترمذي: وفي الباب: عن جابر، وعمران بن حصين.

وأقول: حديث جابر وعمران قد مرَّا.

إذا عرفت هذا، فاعلم أنَّ الرواية في يخرج ضم الياء وفتحها، والمشهور رواية الفتح.

والذرّة ـ بفتح الذال وتشديد الراء ـ: واحدُ الذَّرِّ المعروف، وهي أقلُّ الأشياء الموزونات، قاله المهلب.

وقال القاضي عياض: الذرُّ: النمل الصغير.

وعن بعض النقلة: أنه الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس مثل رؤوس الإبر.

ويروى عن ابن عباس: إذا وضعت كفك على التراب، ثم قبضتها، فما سقط من التراب فهو ذرّ.

وقيل: إن أربع ذرات خَرْدَلة.

وقيل: الذرَّ[ةُ] جزء من ألف وأربعة وعشرين جزءاً من شعيرة.

وقد روى شعبة: ذُرَة ـ بضم الذال وتخفيف الراء ـ، وهي الحبّة المعروفة، وهي مناسبة لذكر الشعيرة.

ونقل مسلم ـ رحمه الله ـ عن يزيد بن زريع: أنه تصحيف أبي بسطام؛ يعني: شعبة، والصواب: ذَرَّة ـ بفتح الذال وتشديد الراء ـ، وإسناد التصحيف إلى يزيد، وذكر شعبة بالكنية ربما يستدل على أن مسلماً ـ رحمه الله ـ جزم بذلك، وإسناده إلى يزيد لا يضر في ذلك، بل يؤكده؛ لأن حال الرواية إنما يعرفها الرواة، وذكر شعبة بالكنية اتباعاً لما سمع، لا أنه أراد التشريفَ، واستصوابَ الرواية.

وقد روى العذري، والخشني: دُرة ـ بضم الدال المهملة ـ، من رواية شعبة، فهو تصحيف على تصحيف.

ثم المراد من قَدْرِ الذَّرة من الإيمان قيل التصديق، الذي هو مِلاكُ

الأمر، وزيادةُ الشعيرة والبُرَّةِ عليها هو زيادة العمل قلةً وكثرةً على التصديق، فيكـون كلُّ مَنْ فـي قلبه التصديـق يخرج من النار، ولا يخلـد فيهـا، ومراتبُ الخـروج مقدمـاً ومؤخـراً بحسب مراتـب العمل وجـوداً وعدماً، قلةً وكثرةً.

وقيل: التفاوت في مقدار الشعيرة والبُرَّةِ هو التفاوت في نفس التصديق، والمراد: بيان حال الذين لا عمل لهم قط سوى التصديق، فيخرجون من النار بقدر تصديقهم قوّة وضعفاً؛ لأن قول: لا إله إلا الله لا ينفع ما لم ينضم إليه تصديق القلب، والناس متفاوتون فيه بحسب التقليد والعلم، وفيه يعلم علم اليقين، وعين اليقين.

وفي هذا الحديث: دلالة على نفع الإيمان بدون العمل، وعلى عدم خلود الفسَّاق من أهل الإيمان في النار، بل على خروجهم منها، ودخولهم الجنّة، وأنه لا يكفي في الإيمان مجردُ المعرفة، بل لابد من التصديق، وهو مذهب أهل السنة، وفي هذه المسائل خلاف لأقوام.

وربما يستدل بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه.

وقد ترجم البخاري الباب المشتمل على هذا الحديث: بيان زيادة الإيمان ونقصانه، ومدار الأمر على ما قلنا من أنَّ الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان أوّلاً، وأنَّ التصديق يقبل الزيادة والنقصان أم لا.

وربما يستدل ـ أيضاً ـ بقوله: «فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِـهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»، وهو راجعٌ ـ أيضاً ـ إلى ما ذكرنا.

* * *

٥٠٠ ـ (١٩٢/ ٣٢٦) ـ حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ العَتَكِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلاَلٍ العَنَزِيُّ ح، وَحَدَّثَنَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلاَلٍ العَنَزِيُّ، قَالَ: انْطَلَقْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَتَشَفَّعْنَا بِثَابِتٍ، فَانتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَ لَنَا ثَابِتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَأَجْلَسَ ثَابِتاً مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ! إِنَّ إِخْوَانَكَ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تُحَدِّثَهُمْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: لَهُ اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ؛ فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ؛ فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ، فَيُؤْتَى مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ؛ فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيُؤْتَى عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأُوتَى، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ لِي، يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: رَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ!

ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ». هَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ الَّذِي أَنْبَأَنَا بِهِ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرِ الجَبَّانِ، قُلْنَا: لَوْ مِلْنَا إِلَى الحَسَنِ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَخْفٍ فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ، ـ قَالَ: ـ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ! جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَبِي حَمْزَةَ، فَلَمْ نَسْمَعْ مِثْلَ حَدِيثٍ حَدَّثَنَاهُ فِي الشَّفَاعَةِ، قَالَ: هِيهِ، فَحَدَّثْنَاهُ الحَدِيثَ، فَقَالَ: هِيهِ، قُلْنَا: مَا زَادَنَا، قَالَ: قَدْ حَدَّثَنَا بِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ، وَلَقَدْ تَرَكَ شَيْئاً، مَا أَدْرِي أَنَسِيَ الشَّيْخُ، أَوْ كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ فَتَتَّكِلُوا؟ قُلْنَا لَهُ: حَدِّثْنَا، فَضَحِكَ وَقَالَ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[الأنبياء: ٣٧]، مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ هَذَا إِلاَّ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ «ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ ـ أَوْ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ ـ، وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي، وَعَظَمَتِي

وَجبْرِيَائِي! لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ». قَالَ: فَأَشْهَدُ عَلَى الحَسَنِ أَنَّهُ حَدَّثَنَا بِهِ: أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ـ أُرَاهُ قَالَ: قَبْلَ عِشْرِينَ سَنَةً، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ ـ.

الحديث السادس: حديثُ معبدِ بْنِ هلالٍ، قَالَ: انْطَلَقْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَتَشَفَّعْنَا بِثَابِتٍ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَ لَنَا ثَابِتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَأَجْلَسَ ثَابِتاً مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ! إِنَّ إِخْوَانَكَ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تُحَدِّثَهُمْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ؛ فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ؛ فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ، فَيُؤْتَى مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ؛ فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيُؤْتَى عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأُوتَى، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: رَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا.

فَأَنْطَلِقُ فَأَفعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ». هَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ الَّذِي أَنْبَأَنَا بِهِ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرِ الجَبَّانِ، قُلْنَا: لَوْ مِلْنَا إِلَى الحَسَنِ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَخْفٍ فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ - قَالَ: - فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ! جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَبِي حَمْزَةَ، فَلَمْ نَسْمَعْ مِثْلَ حَدِيثٍ حَدَّثَنَاهُ فِي الشَّفَاعَةِ، قَالَ: هِيهِ، فَحَدَّثْنَاهُ الحَدِيثَ، فَقَالَ: هِيهِ، قُلْنَا: مَا زَادَنَا، قَالَ: قَدْ حَدَّثَنَا بِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ، وَلَقَدْ تَرَكَ شَيْئاً، مَا أَدْرِي أَنَسِيَ الشَّيْخُ، أَوْ كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ فَتَتَّكِلُوا؟ قُلْنَا لَهُ: حَدِّثْنَا، فَضَحِكَ، وَقَالَ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[الأنبياء: ٣٧]، مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ هَذَا إِلاَّ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ «ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ

اللهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ ـ أَوْ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ ـ، وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي، وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي! لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ». قَالَ: فَأَشْهَدُ عَلَى الحَسَنِ أَنَّهُ حَدَّثَنَا بِهِ: أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ـ أُرَاهُ قَالَ: قَبْلَ عِشْرِينَ سَنَةً، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ ـ. أخرجه البخاري.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: في التعريف برواته سوى ما سلف.

(مَعْبَدٌ)، وهو مَعْبَدُ بْنُ هِلاَلِ بن هِلاَلٍ البصريُّ.

عن عقبة بن عامر، والحسن البصري، وجماعة.

وعنه سليمان، والحمادان، وشعبة، وخلق.

وَثَّقَهُ ابن معين، وأخرجه النسائي.

والثاني: في قوله: «وَتَشَفَّعْنَا بِثَابِتٍ» فيه إيماء إلى أن أنساً رضي الله عنه كان منزوياً عن الناس، لا يدخل إليه أحدٌ إلا أن [تكون] له معرفة به، وأنه لا يؤذن إلا لمن يعرفه، وأن الناس يطلبون مصاحبته، وسماع الحديث منه، ولا يقدرون على الدخول عليه إلا باستشفاع من يكون من إخوانه، وإلى أن ثابتاً منهم، وتعظيم أنس له، وإجلاسه على السرير ـ أيضاً ـ إيماء إلى فضيلة ثابت.

وفيه: نوع أدبٍ لمن تأمَّل في ذلك وتفطَّن، وكأن المستحَبَّ للعالم وكبير المجلس تعظيمُ الداخل عليه، وإنزالُ كل واحد من الداخلين عليه منزلته، وأنَّ صاحب المجلس إذا لم يعرف ذلك، كان من العلم

والمعرفة بمعزل، ولعمري! إنه خصلة حسنة، وخلة جميلة، وقد أمر النبي ـ عليه السلام ـ أيضاً بإنزال الناس منازلهم، ولكن ذلك صار في زماننا هذا كالشريعة المنسوخة، لا يكاد أمراء[1] المساكن وعظماء المجالس يعملون ذلك، وليتهم لم يعملوا بضده، وهم في صدده.

والثالث: في قوله: (ثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ) في ذكر اسم النبي ـ عليه السلام ـ هاهنا لطيفة، وهي أنه لما كان يحدث بحديث الشفاعة، وهو المقام المحمود الذي بعثه الله، ناسب تسميته: محمد ـ عليه السلام ـ.

وـ أيضاً ـ: ذكرُ إلهام الله المحامد له، إيماءٌ إلى سبب بعثه على المقام المحمود.

وفيه: رمز إلى تسميته محمداً؛ فإنه محمد في الدنيا، محمود في الآخرة.

والرواية في: «لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ [الآنَ]، يُلْهِمُنِيهِ» بتوحيد الضمير الراجع إلى الحمد الدال عليه (المحامد)، وتوحيدُه إيماءٌ إلى أنه لا يقدر على تحميدٍ واحدٍ بدون إلهامه تعالى، فكيف بالمحامد؟ كما قيل مثله في قوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾[النساء: ٤] الآية، في توحيد الضمير في ﴿منه﴾ الراجع إلى الصدقات، فإنه يرجع إلى بعضها.

ويحتمل أن يرجع إلى التحميد الدال عليه لفظ: (فَأَحْمَدُهُ)، وهو أحسن.

---

(١) في الأصل: «أمر».

وفيه ـ أيضاً ـ ذلك الإيماء مع الزيادة؛ لأنه لا دلالة فيه على العدد، وهو أوفى [في] تأدية الغرض.

والرابع: في قوله: (فَأَنْطَلِقُ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي) وفي حديث أبي هريرة: «فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِداً»، وبمجموع الحديثين يتم المعنى؛ إذ من حديث أبي هريرة يُعلم أن الاستئذان كان للدخول تحت العرش، وهي جنة الفردوس التي هي أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقها عرشُ الرحمن؛ كما جاء في الأحاديث؛ فإن في دخول ذلك المقام الكريم، والوصول إلى تلك الدار النعيم، لابد من طلب إذن من الخَزَنة، فذكر الإذن، وما يترتب عليه من رعاية آداب الحضرة العَلِيَّة.

وفي حديث أنس معنى هذا الحديث، فالمراد من الاستئذان: هو استئذان الدخول إلى موضع المناجاة، وهي جنة الفردوس، وأطلق النبي ـ عليه السلام ـ ذلك؛ لكونه معلوماً، وأومأ إلى إيراد لفظة (عَلَى)؛ حيث قال: (أَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي) من أن الاستئذان مما يكون من الخَزَنة لأجل الوصول إلى مقام المناجاة، وعرض الحاجة على الرب، كما ذكرنا في حديث المعراج في قوله: «فلم أَزلْ أراجع بين موسى وبين [ربي]»: أن المراد: المراجعة إلى موضع المناجاة.

والعَرْشُ: الرفعُ في الأصل، ومنه قوله: ﴿جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ﴾[الأنعام: ١٤١]؛ أي: مرفوعات البنيان.

وقيل للسرير، وسقف البيت: عرش، ويقال: لما يستظل به:

عرش، وعريش. والإضافة إلى الله تعالى على جهة الملك والتشريف؛ كما في: بيت الله تعالى، وناقة الله، وغير ذلك؛ لا أن الله استقر عليه، واستظلَّ به، كما يتوهَّم بعضُ الجهال من الاستقرار؛ فإن ذلك على الله تعالى مُحال، ولا يُفهم من الاستئذان والدخول بعده الإحاطةُ بجانب من الجوانب، والاطلاع على من يخاطبه كما يكون بين المخلوقات؛ فإن ذلك محال على الله تعالى، فإنه منزه عن الجسمية ولواحقها، بل الرؤية والتكلم وما جرى مجرى ذلك واقعةٌ بلا كيف وبلا تشبيه، كما هو المقرر، وكل من ظن غيره، فهو جاهل بصفات الله تعالى، خارج عن سلك التمييز.

وما ذكره القاضي عياض من أن الاستئذان للشفاعة، وقوله: (فأذن)[1] المراد: حصول الإذن فيها، ويخالف سياق الحديث، بل الموافق له ما ذكرنا، يُعلم بأدنى تأمل.

والرابع: في (فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا) هذه اللفظة واقعة في ثلاثة مواضع في الأخريين: (فَأَخْرِجْهُ) بتوحيد الضمير الحسي الراجع إلى النبي ـ عليه السلام ـ في رواية الأصول، وأما الموضع الأول، ففي بعضها كذلك، وفي بعضها: (فَأَخْرَجُوهُ) على الجمع، والضمير للنبي والملائكة ـ عليهم السلام ـ.

وفي بعضها: (فَأَخْرَجُوا) ـ بدون هاء ـ، وهو مثل الأول؛ لأن

---

(١) في رواية الباب: «فيؤذن».

ضمير المفعول يحذف كثيراً شائعاً.

وفي هذه الرواية إيماءٌ إلى أن الملائكة إنما يشفعون مع النبي ـ عليه السلام ـ، ويخرجون قوماً من أهل النار بشفاعتهم معه في المرة الأولى، وأما في المرتين الأخريين، فالشفاعة له وحده، والإخراج مفوَّضٌ إليه لا غير ﷺ.

والخامس: في قوله: (**هَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ**) هذا من كلام معبد بن هلال، والمعنى: انطلقت مع ثابت إلى أنس، فحدَّثَنا هذا الحديث.

(**ثم خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فلمَّا وصَلْنَا الجَبَّان**) ـ بفتح الجيم وتشديد الباء ـ: الصحراء، والجَبَّانةُ مثله، والمراد ـ هاهنا ـ: المقابر، سميت بها؛ لأنها تكون في الصحراء، ويحتمل أن يريد ـ هاهنا ـ: الصحراء، والمعنى: فلما وصلنا ظاهر الصحراء، وخرجنا من العمران، وقد علمنا أن الحسن البصري كان مختفياً من الحجاج بن يوسف الجائر هاهنا في دار أبي خليفة، «فقُلْنا: لو مِلْنَا إِلَيهِ»؛ يعني: لو ذهبنا إليه فسلَّمنا عليه، فدخلنا عليه، وذكرنا له ما حَدَّثناه أنسٌ، فنسمع الحديث، ثم قال: (تَركَ شيئاً مِنْهُ)؛ إِمَّا لأجل النسيان بطول العهد من سماعه، وإِمَّا لأجل تشويش الخاطر وتفريقه بسبب ظهور الفتن في الزمان، فأشار إلى الأول بقوله: (مَا أَدْرِي أَنَسِيَ الشَّيْخُ)، وإلى الثاني بقوله: (وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ)؛ أي: مجتمع الخاطر، فارغ البال، ثم ذكر أنه لعله ترك قصداً مع حفظه ذلك؛ لئلا يتكلوا عليه؛ لأن فيه دلالةً على أن الله تعالى يُخْرِج بكمال رحمته وغاية رأفته جميعَ من قال:

لا إله إلا الله، كما مَرَّ في الباب المتقدم من قوله: «شَفَعَتِ المَلاَئِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِـيُّونَ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

وفي سماع [الحسن][1] لحديثِ [أنسٍ][2] أولاً منهم، من غير أن يذكر هو الحديثَ، أدبٌ، وطلبٌ للزيادة في الحديث، فلما سمع منهم بعضَ ما سمع من أنس، وسألهم: هل[3] اكتفى بهذا القدر؟ ذكر أنه حدثه منذ مدة بتمامه، وذكر البقية لهم.

* وقوله: «هِيْهِ» ـ بكسر الهاء وسكون الياء، وقد تكسر الهاء الثانية، وقد تُنوّن، وقد تُسكن وقفاً ـ، والمراد منه: طلب الاستزادة في الحديث والعمل، وفي معناه (إِيهِ) بهمزة بدل الهاء، والهاء الثانية كالتي في (هيه) في الأحوال.

قال ابن السِّكِّيت: فإن وصلتَ، نوَّنْتَ، فقلتَ: إِيهٍ حَدِّثْنا.

وقال ابن السَّريِّ: إذا قلت: إيهٍ، فإنما تأمره بأن يزيدك من الحديث المعهود، وإذا نوَّنْتَ، فقد أمرتَهُ بأن يزيدك حديثاً ما؛ لأن التنوين للتنكير.

وبالجملة: يستعمل في طلب الزيادة من الشيء، وبيان الحرص على السّماع.

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) في الأصل: «سأل عنهم أنه».

وفي ضحك الحسن، وقراءة قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] إيماءٌ إلى أنه لما رأى حرصهم على الحديث، أعجبه ذلك، وصار ذلك مستحسناً عنده، فضحك، ثم أومأ إلى أن الواجب في الحكمة: التوقفُ والتثبتُ، وتركُ التعجُّل في السؤال؛ ليرى ما يوجد من صاحب المجلس؛ كما يحكى عن لقمان: أنه دخل على داود ـ عليه السلام ـ وهو يسرد الدرع، فلما فرغ منه، خطر بخاطره السؤال عنها، ثم أدركته الحكمة، فصمت، فلما صبر ساعة، لبسها داود ـ عليه السلام ـ، وقال: نِعْمَ لَبوسُ الحربِ أنتِ، فعلم لقمان أنه لباسُ الحرب، فقال: الصمتُ خيرٌ، وقليلٌ فاعلُه، ثم أخبر داود ما خطر بباله، وما عزم عليه، فقال داود ـ عليه السلام ـ: لأمرٍ ما قيل لك: حكيم.

والرواية في (جِبْرِيَائِي) ـ كسر الجيم والراء وسكون الموحدة ـ، ومعناه: بجبروتي، والجَبَّار: العظيمُ الشأن، الممتنعُ ممن يرومه، ومنه: نخلة جبّارة: إذا فاتت الأيدي طولاً، يقال منه: جبار بيِّنُ الجبرية، والجبروية، والجبورة، ولم يأت فَعَّال من أفعلت إلاَّ جَبَّار، ودَرَّاك، ويَسَّار، والجبروت ـ أيضاً ـ مبالغة بزيادة التاء؛ مثل: ملكوت، ورحموت، ورهبوت، من الملك والرحمة والرهبة، و(جِبْرِيَائِي) هاهنا لمطابقة (كِبْرِيَائِي)؛ كما قال: هو يأتينا بِالغَدَايَا وَالعَشَايَا.

وقيل: في معنى الجبار: المصلح، من قولهم: جَبَرْتُ العظمَ، وذلك لأنه يقال: يجبر القلوب المنكسرة، ويرحم عباده، فيكون

بمعنى المحسِن.

* وقوله: (فَأَشْهَدُ عَلَى الحَسَنِ) تأكيد لسماعه منه، والغرض: زيادة التمكين في قلب السامع، وأنه وإن لم يسمع من أنس بن مالك، فقد سمع من الحسن: أنه قال: حدثنا أنس، فيكون سماع أول الحديث إلى هذه الزيادة من أنس بلا واسطة، وهذه الرواية منه بواسطة الحسن.

* * *

٥٠١ ـ (١٩٤/ ٣٢٧) ـ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ـ وَاتَّفَقَا فِي سِيَاقِ الحَدِيثِ، إِلاَّ مَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا مِنَ الحَرْفِ بَعْدَ الحَرْفِ ـ، قَالاَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ، وَمَا لاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ

الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ، فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحاً، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْداً شَكُوراً، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا

إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ـ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْباً ـ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! أَدْخِلِ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».

* * *

٥٠٢ ـ (١٩٤/ ٣٢٨) ـ وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ القَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ، فَتَنَاوَلَ الذِّرَاعَ، وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ، فَنَهَسَ نَهْسَةً، فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ

يَوْمَ القِيَامَةِ»، ثُمَّ نَهَسَ أُخْرَى، فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ»، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ لاَ يَسْأَلُونَهُ، قَالَ: «أَلاَ تَقُولُونَ: كَيْفَهْ؟». قَالُوا: كَيْفَهْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ». وَسَاقَ الحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، وَزَادَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: وَذَكَرَ قَوْلَــهُ فِي الكَوْكَبِ: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[الأنعام: ٧٦]. وَقَوْلَهُ لآلِهَتِهِمْ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾[الأنبياء: ٦٣]. وَقَوْلَهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]. قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ إِلَى عِضَادَتَيِ البَابِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ هَجَرٍ وَمَكَّةَ». قَالَ لاَ: أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ.

الحديث السابع: حديثُ أبي هريرة، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ، وَمَا لاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى

إِلَى مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فيَقولُ آدمُ: إِنَّ ربـِّي غَضِـبَ اليَوْمَ غَضباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فيَأْتُونَ نُوحاً، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْداً شَكُوراً، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبـِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبـِّي قَدْ غَضِـبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ. فيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبـِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبـِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبـِّي قَدْ غَضِـبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فيَأْتُونَ مُوسَى، فيَقُولُونَ: يَا مُوسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِـتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبـِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ رَبـِّي قَدْ غَضِـبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، فيَأْتُونَ عِيسَى، فيَقُولُونَ: يَا عِيسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبـِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا

نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ـ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْباً ـ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ، وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».

وفي رواية: وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ، فَتَنَاوَلَ الذِّرَاعَ، وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ، فَنَهَسَ نَهْسَةً، فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، ثُمَّ نَهَسَ أُخْرَى، فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ لاَ يَسْأَلُونَهُ، قَالَ: «أَلاَ تَقُولُونَ: كَيْفَهْ؟». قَالُوا: كَيْفَهْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ». وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، وَزَادَ فِي

قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: وَذَكَرَ قَوْلَهُ فِي الكَوْكَبِ: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]. وَقَوْلَهُ لآلِهَتِهِمْ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[الأنبياء: ٦٣]. وَقَوْلَهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[الصافات: ٨٩]. قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ إِلَى عِضَادَتَي البَابِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ هَجَرٍ وَمَكَّةَ». قَالَ: لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ.

أخرجه البخاري في مواضع، والترمذي في (الشفاعة)، والنسائي في (الوليمة) مختصراً، وابن ماجه في (الأطعمة) كذلك.

ولما أخرجه الترمذي [قال]: وفي الباب: عن أبي بكر، وأنس، وعقبة بن عامر، وأبي سعيد.

وأقول: حديث أَنَسٍ قد مَرَّ، وحديثُ أبي بكر الصديق، قال: أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَصَلَّى الغَدَاةَ، ثُمَّ جَلَسَ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الضُّحَى، ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ جَلَسَ مَكَانَهُ حَتَّى صَلَّى الأُولَى وَالعَصْرَ وَالمَغْرِبَ، كُلُّ ذَلِكَ لاَ يَتَكَلَّمُ، حَتَّى صَلَّى العِشَاءَ الآخِرَةَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ النَّاسُ لأَبِي بَكْرٍ: أَلاَ تَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا شَأْنُهُ، صَنَعَ اليَوْمَ شَيْئاً لَمْ يَصْنَعْهُ قَطُّ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عُرِضَ عَلَيَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَأَمْرِ الآخِرَةِ، فَجُمِعَ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ بِصَعِيْدٍ وَاحِدٍ، فَفَظِعَ النَّاسُ بِذَلِكَ، حَتَّى انْطَلَقُوا إِلَى آدَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، وَالعَرَقُ يَكَادُ يُلْجِمُهُمْ، فَقَالُوا: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، وَأَنْتَ اصْطَفَاكَ اللهُ ﷻ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِثْلَ الَّذِى لَقِيتُمْ، انْطَلِقُوا إِلَى أَبِيكُمْ بَعْدَ أَبِيكُمْ، إِلَى نُوحٍ

قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى نُوحٍ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَأَنْتَ اصْطَفَاكَ اللهُ، وَاسْتَجَابَ لَكَ فِي دُعَائِكَ، وَلَمْ يَدَعْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً، فَيَقُولُ: لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي، انْطَلِقُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ اتَّخَذَهُ خَلِيلاً، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي، وَلَكِنِ انْطَلِقُوا إِلَى مُوسَى؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ كَلَّمَهُ تَكْلِيماً، فَيَقُولُ مُوسَى: لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي، وَلَكِنِ انْطَلِقُوا إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّهُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَيُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ، فَيَقُولُ عِيسَى: لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي، وَلَكِنِ انْطَلِقُوا إِلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ، انْطَلِقُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَشْفَعَ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ، فَيَأْتِي جِبْرِيلُ رَبَّهُ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِ جِبْرِيلُ، فَيَخِرُّ سَاجِداً قَدْرَ جُمُعَةٍ، وَيَقُولُ اللهُ ﷻ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. قَالَ: فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى رَبِّهِ ﷻ، خَرَّ سَاجِداً قَدْرَ جُمُعَةٍ أُخْرَى، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. قَالَ: فَيَذْهَبُ لِيَقَعَ سَاجِداً، فَيَأْخُذُ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ بِضَبْعَيْهِ، فَيَفْتَحُ اللهُ ﷻ عَلَيْهِ مِنَ الدُّعَاءِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى بَشَرٍ قَطُّ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! خَلَقْتَنِي سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ أَكْثَرُ مِمَّا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ. ثُمَّ يُقَالُ: ادْعُوا الصِّدِّيقِينَ فَيَشْفَعُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: ادْعُوا الأَنْبِيَاءَ، قَالَ: فَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ العِصَابَةُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ،

ثُمَّ يُقَالُ: ادْعُوا الشُّهَدَاءَ، فَيَشْفَعُونَ لِمَنْ أَرَادُوا، قَالَ: فَإِذَا فَعَلَتِ الشُّهَدَاءُ ذَلِكَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ ﷻ: أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَدْخِلُوا جَنَّتِي مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئاً، قَالَ: فَيَدْخُلُون الجَنَّةَ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ ﷻ: انْظُرُوا فِي النَّارِ هَلْ تَلْقَوْنَ مِنْ أَحَدٍ عَمِلَ خَيْراً قَطُّ. قَالَ: فَيَجِدُونَ فِي النَّارِ رَجُلاً، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْراً قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُسَامِحُ النَّاسَ فِي البَيْعِ وَالشِّرَاءِ. فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: أَسْمِحُوا لِعَبْدِي كَإِسْمَاحِهِ إِلَى عَبِيدِي وَأَكْثَرَ، ثُمَّ يُخْرِجُون مِنَ النَّارِ رَجُلاً، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْراً قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَمَرْتُ وَلَدِي: إِذَا مِتُّ، فَأَحْرِقُونِي بِالنَّارِ، ثُمَّ اطْحَنُونِي، حَتَّى إِذَا كُنْتُ مِثْلَ الكُحْلِ، فَاذْهَبُوا بِي في البَحْرِ، فَاذْرُونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللهِ! لا يَقْدِرُ عَلَيَّ رَبُّ العَالَمِينَ أَبَداً. فَقَالَ اللهُ ﷻ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ مِنْ مَخَافَتِكَ. قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: انْظُرْ إِلَى مُلْكِ أَعْظَمِ مَلِكٍ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَهُ، وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهِ. قَالَ: فَيَقُولُ: لِمَ تَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ المَلِكُ؟! قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي ضَحِكْتُ مِنْهُ مِنَ الضُّحَى» رواه أحمد، والبزار، وأبو يعلى، ورجاله ثقات.

وحديث عُقبةَ بنِ عامرٍ، مرفوعاً: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَقَضَى بَيْنَهُمْ، وَفَرَغَ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَهُمْ، قَالَ المُؤْمِنُونَ: قَدْ قَضَى بَيْنَنَا رَبُّنَا، فَمَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا؟ انْطَلِقُوا بنا إِلَى آدَمَ؛ فَإِنَّهُ أَبُونَا، وَخَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ، وَكَلَّمَهُ، فَيَأْتُونَهُ فَيُكَلِّمُوهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ، فَيَقُولُ: عَلَيْكُمْ بنوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحاً، فَيَدُلُّهُمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَدُلُّهُمْ عَلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَدُلُّهُمْ عَلَى عِيسَى، ثُمَّ يَأْتُونَ

عِيسَى، فيَقولُ: أَدُلُّكُمْ عَلَى النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، فَيأْتوني، فيَأْذَنُ اللهُ لِي أَنْ أَقُومَ، فيَثُورُ مَجْلِسِي مِنْ أَطْيَبِ رِيحٍ شَمَّهَا أَحَدٌ، حَتَّى آتِيَ رَبِّي - تبَارَكَ وتَعَالَى -، فَيُشَفِّعُنِي، وَيَجْعَلُ لِي نُوراً مِنْ شَعَرِ رَأْسِي إِلَى ظُفْرِ قَدَمِي، ثُمَّ يَقولُ الكُفَّارُ: هَذَا قَدْ وَجَدَ المُؤْمِنُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ، فَمَنْ يَشْفَعُ لَنَا؟ فيَقولُونَ: مَا هُوَ غَيْرُ إِبْلِيسَ هُوَ الَّذِي أَضَلَّنَا، فيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: قَدْ وَجَدَ المُؤْمِنُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ، فَقُمْ أَنْتَ فَاشْفَعْ لَنَا، فَإِنَّكَ أَنْتَ أَضْلَلْتَنَا، فيَقُومُ فيَثُورُ مَجْلِسُهُ أَنْتَنَ رِيحٍ شَمَّهَا أَحَدٌ، ثُمَّ يُورِدُهُمْ جَهَنَّمَ، وَيَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾[إبراهيم: ٢٢]» رواه الطبراني.

وحديث أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلاَ فَخْرَ، قَالَ: فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلاَثَ فَزَعَاتٍ، فَيأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فيَقُولُ: إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْباً أُهْبِطْتُ مِنْهُ إِلَى الأَرْضِ، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحاً، فَيَأْتُونَ نُوحاً، فيَقُولُ: إِنِّي دَعَوْتُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ دَعْوَةً فَأُهْلِكُوا، وَلَكِنْ اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: إِنِّي كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا مِنْهَا كَذِبَةٌ إِلاَّ مَا حَلَّ بِهَا عَنْ دِينِ اللهِ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فيَقُولُ: إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْساً، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فيَقُولُ: إِنِّي عُبِدْتُ مِنْ دُونِ

اللهِ، وَلَكِنْ ائتُوا مُحَمَّداً. قَالَ: فَيَأْتُونَنِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ» قَالَ ابْنُ جُدْعَانَ: قَالَ أَنَسٌ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الجَنَّةِ، فَأُقَعْقِعُهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي، وَيُرَحِّبُونَ بِي، فَيَقُولُونَ: مَرْحَباً، فَأَخِرُّ سَاجِداً، فَيُلْهِمُنِي اللهُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالحَمْدِ، فَيُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَقُلْ يُسْمَعْ لِقَوْلِكَ، وَهُوَ المَقَامُ المَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللهُ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]»، أخرجه الترمذي في (التفسير)، وقال: روى بعضهم هذا الحديث عن أبي نضرة، عن ابن عباس.

وأقول: الحديثُ الذي رواه أبو نضرة، قال: سمعتُ ابنَ عباس يخطب على منبر البصرة، قَالَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلاَّ لَهُ دَعْوَةٌ تَنَجَّزَهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي، وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، وَلاَ فَخْرَ، [آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي]، وَيَطُولُ يَوْمُ القِيَامَةِ عَلَى النَّاسِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى آدَمَ أَبِي البَشَرِ، فَيَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكُمْ، فَيَقْضِي بَيْنَنَا، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ! اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ آدَمُ: لَسْتُ هُنَاكَ، إِنِّي أُخْرِجْتُ مِنَ الجَنَّةِ بِخَطِيئَتِي، وَإِنَّهُ لا يُهِمُّنِي اليَوْمَ إِلا نَفْسِي، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحاً، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقْضِي بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، إِنِّي دَعَوْتُ دَعْوَةً أَغْرَقَتْ أَهْلَ الأَرْضِ، وَإِنَّهُ لا يُهِمُّنِي اليَوْمَ إِلا نَفْسِي، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ

إِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ! اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، إِنِّي كَذَبْتُ فِي الإِسْلامِ ثَلاثَ كَذِبَاتٍ: قَوْلُـــهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[الصافات: ٨٩]، وَقَوْلُـــهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[الأنبياء: ٦٣]، وَقَوْلُهُ لِلْمَلِكِ حِينَ مَرَّ بِهِ يَسْأَلُهُ: هَذِهِ أُخْتِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَاللهِ! مَا أَرَادَ بِهِمْ إِلا عِزَّةً لِدَيْنِ اللهِ، فَإِنَّهُ لا يُهِمُّنِي اليَوْمَ إِلا نَفْسِي، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى عَبْداً اصْطَفَاهُ اللهُ بِرِسَالَتِهِ، وَكَلَّمَهُ، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى! اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، إِنِّي قَتَلْتُ نَفْساً، وَإِنَّهُ لا يُهِمُّنِي اليَوْمَ إِلا نَفْسِي، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى! اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، إِنِّي اتُّخِذْتُ إِلَهاً مِنْ دُونِ اللهِ، وَإِنَّهُ لا يُهِمُّنِي اليَوْمَ إِلا نَفْسِي، أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ مَتَاعٌ فِي وِعَاءٍ مَخْتُومٍ، أَكَانَ يُقْدَرُ عَلَى مَا فِيهِ حَتَّى يُفَضَّ الخَاتَمُ؟ فَيَقُولُونَ: لا، فَيَقُولُ: فَإِنَّ مُحَمَّداً ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، [وَقَدْ حَضَرَ]، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونَنِي، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ خَلْقِهِ، نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ؟ أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ؟ فَيَجِيئُونَ، فَنَحْنُ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ: آخِرُ مَنْ يُبْعَثُ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، فَتُفْرِجُ لَنَا الأُمَمُ عَنْ طَرِيقِنَا، فَنَمْضِي غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الطُّهُورِ، فَتَقُولُ الأُمَمُ: كَادَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلُّهَا. رواه

أحمد، وأبو يعلى، وإسناده حسن.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: من أكل النبي ـ عليه السلام ـ الذراع:

* **قوله: (فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ)** وفي حديث آخر: «وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ»، قيل: لنضجها، وسرعة استوائها، مع زيادة لذتها، وحلاوة مذاقها، وبعدها عن مواضع الأذى، وهو اختيار القاضي عياض.

وقيل: لأن أسرع اللحوم نضجاً، والنبي ـ عليه السلام ـ يميل إليه تعجيلاً؛ لما روى الترمذي بإسناده عن عائشة: أنها قالت: مَا كَانَتِ الذِّرَاع أَحَبَّ اللَّحْم إِلَى رَسُول الله ﷺ، وَلَكِنْ كَانَ لاَ يَجِد اللَّحْم إِلاَّ غِبّاً، فَكَانَ يَعْجَل إِلَيْهَا؛ لأَنَّهَا أَعْجَلُهَا نُضْجاً. وهو اختيار النووي.

ويحتمل أن يكون لأجل أن لحمها قليل، وفي التقسيم إنما يُعطى لمن هو أدنى مرتبة، فاختارها النبي ـ عليه السلام ـ لنفسه، إيماءً إلى قلة الأكل، وتعليماً للناس بالاقتداء به، وأن الواجب على الإنسان أن يستعمل في المأكول بقدر ما فيه الكفاية، وأن يختار ما هو أقلُّ لحماً، وأقربُ نضجاً؛ لئلا يأكل فوق ما يحتاج، ولا يستعمل من ذلك زيادة على ما هو المحتاج.

* **وقوله: (فَنَهَسَ)** المشهور من الرواية بالسين المهملة، وروي بالمعجمة، وكلاهما بمعنى.

قال في «الأساس»: نَهَسَ اللحم، وأَنْهَسَهُ: أخذه بمقدَّمِ فيه.

وقال الهروي: قال أبو العباس: النَّهْسُ ـ بالمهملة ـ: الأخذ بأطراف الأسنان، وبالمعجمة: بالأضراس.

والغرض من إيراد هذا: بيان حاله سماع الحديث؛ ليكون أدخلَ في القبول.

وفيه: إيماء ـ أيضاً ـ إلى قلة التفات النبي ـ عليه السلام ـ بما يشتغل به الناس من المأكل، وإن جُلَّ اشتغاله بالنصيحة، والإخبار عن أحوال الآخرة في جميع الأحوال، وإن الذراع مع قلة اللحم لما يتناول منها شيئاً يسيراً، ترك الأكل، واشتغل بالنصيحة.

وأبرزَ الكلامَ في معرض الإخبار عن نفسه بأنه سيد الناس يوم القيامة، وكرر هذا القول؛ ليسأل عنه أصحابه، فلما هابوا السؤال، بيَّنَ لهم ذلك.

والسيد في الأصل: الذي يُغرق قومَه في الخير، والذي تفزع إليه الخلائق في الشدائد، قال:

فَـإِنْ كُنْـتَ سَـيِّدَنَا سُـدْتَنَا وَإِنْ كُنْـتَ لِلْخَـالِ فاذْهَـبْ فَخُـلْ

ولا شكَّ أن جميع الخير فائضٌ من عند النبي ـ عليه السلام ـ، وهو الاهتداءُ إلى الصراط المستقيم الذي منه كلُّ خير، وهو المفزَعُ لجميع الخلائق في موقف القيامة، والمُنجي لأهل الإسلام من الخذلان، ولذلك خص يوم القيامة؛ لأن السؤدَد في ذلك منحصر فيه ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ، وليس لأحدٍ مثله من الناس سواه مثل هذا السؤدَد لا ظاهراً ولا معنى؛ بخلاف سائر الأيام؛ فإن فيها من

يدَّعي السؤدَد كما اختص الملك في ذلك اليوم لله الواحد القهار.

الثاني: في احتياج الخلق إلى الشفاعة:

لما ذكر أنه سيد المرسلين، [و]الناسِ كلهم في ذلك اليوم، أراد أن يبين حال ذلك اليوم، فذكر أن الله تعالى يجمع جميع الخلائق (**فِي صَعِيدٍ**)؛ أي: أرض واسعة مستوية.

ثم بين استواء الصعيد، فقال: (**فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي**)؛ إذ لا مانع من نفوذ صوته فيهم.

(**وَيَنفُذُهُمُ البَصَرُ**) المشهور من الرواية فتح الياء وضم الذال المعجمة والفاء؛ مِنْ نَفَذَ بمعنى: بلغ، ويقال: أَنْفَذْتُ القومَ: إذا خرقتهم، ومشيت في وسطهم، فإن جزتَهم حتى تخلفتهم، قلت: نفذتهم ـ بغير ألف ـ، ويروى بضم الياء؛ من أنفذ، ويروى بفتح الياء والدال مهملة.

قال أبو حاتم: أصحابُ الحديث يروونه بالذال المعجمة، وإنما هو بالمهملة؛ أي: يبلغ أولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم، ويستوعبهم، من نفد الشيء، وأنفدته.

والمراد من البصر: الناظر، أيَّ ناظرٍ كان.

وقيل: الله سبحانه، والمعنى: يحيط بهم بصرُ الرحمن، ويدركُهم، أو يدركُهم بصرُ أيِّ ناظر كان، وهذا أحسن بحسب المقام، لأن المراد: بيان استواء الصعيد، وأن الناظر ينظر إليهم ويدركهم جملة.

وفي تأدية هذا المقصود الحملُ على بصر المخلوق أولى؛ لأن الله تعالى يحيط بجميع المخلوقات؛ سواء كانوا في صعيد واحد، أو لا، والله على كل شيء محيط.

والأوجَهُ أن قوله: (فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ) بيان لغاية اجتماع الناس، ودخول بعضهم في حجرة بعض، حتى صاروا متراكماً بعضُهم فوق بعض؛ لشدة الأمر، وغاية الحيرة، حتى لو أن داعياً دعاهم، أو بصيراً أراد أن يبصرهم، لأمكنه ذلك بسهولة؛ لقيام البعضِ بجنب البعض متداخلاً.

والغرض: بيان شدة الأمر عليهم، وأنهم مع كثرتهم مجتمعون في مكان واحد، اجتماع الشيء الكثير[1] في المكان اليسير، ولا شك أن الانقباض في المجلس، وجلوس البعض في حجرة البعض، بعد أن يكون الموضعُ صحراءَ واسعةً، لا يكون إلا للخوف، وشدة الأمر، والغرضُ بيانُ ذلك.

وقيل: المراد من الداعي: هو الذي يدعوهم إلى العرض والحساب؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾[القمر: ٦].

* وقوله: (مَا قَدْ بَلَغَنَا)[2] الرواية فتح الغين، ويروى بسكونها أيضاً، والمعنيان متقاربان.

---

(١) في الأصل: «القليل».

(٢) في الأصل: «إلى ما قد بلغنا».

* وقوله: (فَيَبْلُغُ النَّاسَ) وقوله: (مَا قَدْ بَلَغَكُمْ) يؤكدان فتح الغين، فتدبر.

والثالث: في غضب الله ذلك اليوم:

* **قوله: (إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ)** المراد من غضب الله تعالى: هو إرادة الانتقام من العصاة، ولاشك أنه تعالى ما أراد كمال الانتقام قبل ذلك اليوم، بل لم يزل يُفيض نعمَه على جميع خلقه، المطيعين منهم والعاصين، ولا يريد بعد ذلك اليوم ـ أيضاً ـ بعد الفصل والحساب، ودخول كل فريق داراً يستحقونها.

ويحتمل أن يراد باليوم: ساعة الهول في الموقف؛ حيث يكون جميع المخلوقات من الملائكة وغيرهم محبوسين، لا إذن لأحد في شيء قط، وكلهم متحيرون مترصِّدون نزولَ ما أراد الله تعالى عليهم، ساكتون عن القول، ساكنون عن الفعل، وذلك زمان غاية الشدة، وحال تفاقمِ الأمر.

والرابع: في صفة آدم عليه السلام:

* **قوله: (خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ)** قد مَرَّ أن الله تعالى منزهٌ عن الجسمية، ولواحقها، وأن اليد تستعمل في كلام العرب بمعنى: القدرة، والنعمة، والملك، ويحمل ما ورد في صفات الله تعالى على الأليق في كل موضع، أو يسكت، ويفوِّض الأمر إلى الخالق، مع الجزم على أنه منزه عن كل ما [لا] يليق بذاته، وهو أسلمُ.

والمؤولون قالوا: الأليقُ بهذا الموضع أن يكون بمعنى: القدرة، واختصاص آدم بذلك؛ لأنه خُلق بلا واسطة ولا أطوار؛ بخلاف غيره من ولده.

والمراد من الروح المذكور في قولـه: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة: ٩]: هو المذكور في قوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾[القدر: ٤]، وفي قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[الشعراء: ١٩٣]، والإضافة للتشريف؛ كما قـال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[التحريم: ١٢] على ما مَرَّ من الوجوه فيه، وأن الأحسن منها: أن المراد به: جبريل ـ عليه السلام ـ، والمعنى: أن كل واحد من آدم وعيسى ـ عليهما السلام ـ من نفخة المَلَك، وصار المنفوخ فيه ذا روح من ريحِ نفختِه، هذا أقربُ الوجوه المذكورة، ولا يُلتفت إلى ما سواه.

والخامس: في نوح عليه السلام:

* **قوله: (قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي)** يريد: قوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح: ٢٦] كما جاء مصرحاً من حديث أبي سعيد ـ على ما مَرَّ ـ، ولا ينافي ذلك ما جاء من حديث أبي بكر الصديق، من جعلِ الناسِ ذلك بيانَ شرفِ نوحٍ ـ عليه السلام ـ؛ لأنه تشريف لقبول دعائه [عن] وقوع خطئه، بالنظر إلى كمال مرتبته ـ عليه السلام ـ على ما مَرَّ.

والسادس: في إبراهيم عليه السلام:

* قوله: (وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ)، وقد فسَّرها في الرواية الأخرى بقوله في الكوكب: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[الأنعام: ٧٦]، وقوله لآلهتهم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[الأنبياء: ٦٣]، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[الصافات: ٨٩]، وليس في شيء منها كذبٌ على التحقيق، بل الكلُّ من معاريض الكلام.

أما الأول: فلأن المراد من قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[الأنعام: ٧٦] ـ والله أعلم ـ: إجراء الكلام على حسب مرام القوم؛ ليجتمعوا عنده، ويتهيؤوا لاستماع كلامه، ويُلقمهم الحجر عند بيان أن هذا لا يليق بالربوبية حصولُ التغير والنقص فيه، وإرشاداً إلى أن على العاقل أن ينظر في ملكوت السماوات والأرض، ويستدل فيها على الرب الخالق الرازق، ويعلم أنه لا يُشبه شيئاً من المخلوقات، وأنه منزه عن صفات المُحْدَثات.

والإسنادُ إلى السبب كثيرٌ في كلام العرب، وعلى هذا الأسلوب نزل الكتاب العزيز ـ أيضاً ـ، قال الله تعالى: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾[القصص: ٤]، وقال: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[الأنفال: ٢]، وقال: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾[الأعراف: ٢٧]، وغير ذلك من الإسناد إلى الأسباب، وأسند إبراهيم ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ إلى السبب في هذه الآية، فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[الأنعام: ٧٦]؛ أي: هذا هو السبب بمعرفة الرب تعالى؛ فإن النظر فيه وفيما هو مثلُه من الأجرام العلوية هو السببُ الموصل إلى معرفة الربِّ ـ تعالى وتقدس ـ، وبيَّن لهم طريقةَ الاستدلال، فبدأ بالكوكب، ثم بالقمر، ثم بالشمس، وذكر في

كل واحد أنه أكبر من الذي [قبله]؛ أي: يكون فيه معنى زائد، ثم بيَّن أن الكل مُعرَّضةٌ للأُفول والتغير، فلا يصلُح شيء منها للربوبية، والتفاوتُ الذي في كل واحد منها لا يصلحه كذلك، ولا يخرجه عن حيز المخلوقية، ولا يبلغه إلى درجة الربوبية.

وكذا قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾[الأنبياء: ٦٣] إيراد للكلام في صورة [ما] له معنى غير الظاهر؛ فإن كبير الأصنام إنما يكون بتمكين الله تعالى لإبراهيم ـ عليه السلام ـ واقتداره، فيكون في الحقيقة هو بقدرته وأمره، وإبراهيم ـ عليه السلام ـ واسطة، والكفار ـ أيضاً ـ يعتقدون كونَ الله تعالى هو الكبير، وسائر آلهتهم شفعاؤهم عنده، فأضاف القول إليه تعالى حقيقة، وأشار بهذا إليه في الحقيقة، وإن ذهب وَهْمُ الكفرة إلى أن يراد به: الصنم الكبير، ثم بنى الكلام على أسلوب التنكير، فقال: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾[الأنبياء: ٦٣].

وأما في الثالث، فلأن الغيظ التي كان في باطنه من الأصنام هو غرض نفساني، ومداواته هو الذي همَّ بها من كسر الأصنام، والأغراض النفسانية انتقام، فتدبر.

وأما ما جاء في بعض الأحاديث في الثالث قوله لسارة: «هذه أختي»، فهو ـ أيضاً ـ ظاهر؛ لأنه لم يكن في ذلك الوقت على الأرض مُسْلِم غيره وغيرها، فظهر أنه ليس شيء من تلك الكلمات كذب، ولهذا قال النبي ـ عليه السلام ـ: «وَاللهِ! مَا أَرَادَ بِهِمْ إِلا عِزَّةً لِدِينِ اللهِ» ـ على ما مَرَّ من حديث ابن عباس ـ.

السابع: في مصاريع أبواب الجنة:

* **قوله: «مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ»**، وفي رواية أخرى: (إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ إِلَى عِضَادَتَيِ البَابِ)، والغرض: بيان سعة الباب، وأن مقدار سعة أبواب الجنة ليس بمقدار سعة أبواب بيوت ملوك الدنيا، بل بحسب سعة فضاء الجنة؛ فإنها لما كان عرضُها عرض السماوات والأرض، لابد أن يكون سعةُ أبوابها مناسباً لذلك.

والمراد من (بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ): هي المسافة التي يكون المصراعان فيها، وهي سعة الباب، وإنما ذُكر المصراعان؛ إيماءً إلى أن أبواب الجنة ذوات مصاريع، وأن مسافة كل واحد من مصاريعه مسافة بعيدة.

وقيل: المراد: ما بين المصراعين من الفرجة.

وقيل: ما بين المصراعين إلى العضادة من كل واحد من الجانبين.

ولا يخفى ضعفُ الوجهين، والقولُ ما قدمناه.

* **وقوله: (لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى)** قيل: لفظ (أَوْ) من كلام النبي ـ عليه السلام ـ، والغرضُ: الإيماء إلى أن المراد: بيان بعد المسافة، لا التحديد؛ كما سيجيء في صفة الحوض؛ يعني: أن سعة الباب، وتباعد أطرافه كما بين هذا وهذا، وهذا وذاك، فبأيتهما مَثَّلْتَ، فأنت مصيب؛ كما قيل في قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[البقرة: ١٩] الآية.

وقيل: شك من الراوي.

وبُصْرى: بلدة في الشام على ثلاث مراحل من دمشق، وهي مدينة حوران، بين مكة وبينها شهر.

وهَجَرٌ: مدينة عظيمة هي قاعدة البحرين.

قال الجوهري: هو مذكَّر مصروف.

وقال الزجاجي: يذكر ويؤنث.

وهَجَرُ التي تُنسب إليها القِلال؛ كما جاء في حديث القلتين: «إِذَا بَلَغَ المَاءُ قُلَّتَيْنِ بِقِلاَلِ هَجَرَ»، فقرية من قرى المدينة، تُصنع بها القِلال، وهي مؤنث غيرُ منصرف.

* **وقوله: (كَيْفَهْ يَا رَسُولَ اللهِ؟)** هي هاء السكت تلحق فيالوقف، وهي تلحق الأسماء والأفعال والحروف لثلاث علل:

لصحة الحركة التي قبلها آخر الكلمة؛ كقولهم: عَلاَّمَهْ، و﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، و﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، على وجه، وكيفَهْ.

أو لتمام الكلام المنقوص؛ كقولهم: عَمَّهْ، ولَمَّهْ، وفِيْمَهْ.

أو للحاجة عند مدِّ الصوت في النداء.

وإثباتها إنما يكون في الوقف؛ كما في قول النبي ـ عليه السلام ـ: «أَلاَ تَقُولُونَ: كَيْفَهْ؟».

أما إثباتها في الدَّرْج كما في قول الصحابة[1]، فقيل: بعضُ العرب يُجري الوصل مجرى الوقف، وهذا على لغتهم.

---

(١) أي: جوابهم لرسول الله ﷺ بسؤاله: «كَيْفَهْ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

وقيل: اتباعاً للفظ النبي ـ عليه السلام ـ.

وقيل: يكتب، ولا يلفظ عند الدرج، فإذا وقف، يلفظ بها، كما قيل: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠] الأحسن: الوقف لثبوت الهاء في خط المصحف.

وقيل: الهاء ضمير راجع إلى قوله: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ»، والأصل: كيف هو؟ بحذف الواو، ووصل الهاء كتابة، ويؤيده رواية: «كَيْفَ هُوَ؟».

* * *

٥٠٣ ـ (١٩٥/ ٣٢٩) ـ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَرِيفِ بْنِ خَلِيفَةَ الْبَجَلِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الأَشْجَعِيُّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبُو مَالِكٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا! اسْتَفْتِحْ لَنَا الجَنَّةَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلاَّ خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ؟ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ ـ قَالَ: ـ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيماً. فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً ﷺ، فَيَقُومُ، فَيُؤْذَنُ لَهُ،

وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالبَرْقِ». قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِـي أَنْتَ وَأُمِّي! أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ البَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى البَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِـيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ، يَقُولُ: رَبِّ! سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ العِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفاً ـ قَالَ: ـ وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ». وَالَّذِي نَفْسُ أَبِـي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ! إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفاً.

الحديث الثامن، والحديث التاسع: حديثُ أبي هريرة، وحديثُ حذيفة، قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ النَّاسَ، فَيَقُومُ المُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا! اسْتَفْتِحْ لَنَا الجَنَّةَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلاَّ خَطِيئَةُ أَبِـيكُمْ آدَمَ؟ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ ـ قَالَ: ـ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيماً. فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِيناً

وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُم كَالبَرْقِ». قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِـي أَنْتَ وَأُمِّي! أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ البَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى البَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ! سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ العِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفاً ـ قَالَ: ـ وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ». وَالَّذِي نَفْسُ أَبِـي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ! إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفاً.

وهذا الحديث من أفراد مسلم.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: في التعريف برواته سوى ما سلف.

(مُحَمَّدٌ)، وهو أبو جعفر مُحَمَّدُ بْنُ طَرِيفِ بْنِ خَلِيفَةَ الْبَجَلِيُّ، الكوفيُّ.

عن عمرو بن عبيد، وأبي بكر بن عيَّاش، وأبي معاوية، وجماعة.

وعنه الدارمي، وأبو زرعة، وخلق.

وأخرج له مسلم، والأربعة سوى النسائي.

قال أبو زرعة: لا بأس به.

والثاني: قول الخليل ـ عليه السلام ـ: **(مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ)** الروايةُ

بتكريره، قيل: الصوابُ: الفتحُ فيهما، كذا ادعى أبو الخطاب بنُ دِحية، مثل: شَذَرَ مَذَرَ، وشَغَرَ بَغَرَ، ونحوها.

وقال أبو اليمن: الصواب: الضمُّ فيهما؛ لأن تقديره: من وراءِ ذلك، أو من وراءِ شيءٍ آخرَ.

وفي «الصحاح»: الوراء بمعنى: خَلْف، وبمعنى قُدَّام، وهي من الأضداد، وعن الأخفش: يقال: لقيتُه من وراءُ، فيرفعه على الغاية إذا كان غير مضاف؛ لقولك: من قبلُ ومن بعدُ، وأنشد:

إِذَا أَنا لَمْ أُومَنْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِقَـــاؤكَ إِلاَّ مِـــنْ وَرَاءُ وَرَاءُ

بضمِّهما.

فالأول؛ لما مَرَّ من الرفع على الغاية، وأما الثانية، فيحمل أن تكون كالأولى على تقدير حذف (من)؛ لدلالة الأول عليه، ويحتمل أن يكون تأكيداً لفظياً للأولى، وأن يكون بدلاً منها، أو عطفَ بيان، كما قالوا في قولهم:

يـــا نَـــصْرُ نَـــصْرٌ نَـــصْراً

وقولهم ـ وذاك أوسع ـ: نصبت بالفعل المقدر، وهو تأخر.

والوراء ـ أيضاً ـ: ولد الولد.

وقال القرطبي: الصحيح المدُّ والفتح في الهمزتين، كأنه مبني؛ لتضمنه الحرف، كما قالت العرب: هو جاري بَيْتَ بَيْتَ؛ أي: بيته إلى بيتي، وكان التقدير في الحديث: من وراء إلى وراء، ونحو:

خمسةَ عشرَ، وسائر الأعداد المركبة، ومنه قولهم: هي همزةٌ بَيْنَ بَيْنَ، وآتيكَ صَباحَ مَساءَ، ويَوْمَ يَوْمَ.

ثم قال: وقد وجدت في أصل شيخي أبي الصبر أيوب بن محمدٍ الفهري: «مِنْ وَرَاءَ مِنْ وَرَاءَ» بتكرير (مِنْ)، وفتح الهمزتين مقيداً تقييداً حسناً، ووجهُه: أن (وَرَاءَ) قُطعت عن الإضافة، ولم يقصد قصد مضاف بعينه، وصارت كأنها اسمُ علم، وهي مرتبة على ما قاله الجوهري، مستدلاً على أنهم يقولون في التصغير: وُرَيِّة، فاجتمع فيها التعريف والتأنيث، فمنع الصرف.

وقال الفراء: تقول العرب: فلان يكلمني مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ - بالنصب على الظرف -، ومن وراءَ وراءِ بجعل الأولى ظرفاً، والثانية غاية، ومن وراءِ وراءِ بجعلهما غايتين، ومن وراءِ وراءَ يضيف الأولى إلى الثانية، ويمنع الثانية من الجر، ومن وراءَ وراءَ على البناء.

وحكى ثعلب عن بعض الناس قالوا: من وراءٍ وراءٍ بالتنوين فيهما.

ونقل النووي عن صاحب «التحرير»: أن المعنى؛ أي: بعيد من تلك المنزلة بمرتبتين؛ لأن المكارم التي أعطيتُها كانت بواسطة سفارة جبريل - عليه السلام -، وقد حصل لموسى - عليه السلام - سماعُ الكلام بغير واسطة، وحصل لمحمد - عليه الصلاة والسلام - الكلامُ والرؤية، [فقال إبراهيم: أنا][1] وراء موسى الذي هو وراء محمد

---

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (٣/ ٧١).

ـ عليهما الصلاة والسلام ـ. هذا كلامه.

ولا يخفى أنه لا تعلق له بالخلة، وبنى على رؤية النبي ـ عليه السلام ـ ربه في المعراج، وعدم رؤية غيره من الأنبياء، وقد عرفت ما فيه.

والظاهر: أن المراد: أي: إنما كنت خليلاً من بُعْد، وفي الغَيْبَة، لا في القرب والمشافهة، قاله تواضعاً منه، واعترافاً ببعيد درجته عن حضرة الكبرياء؛ إذ أكثر ما تستعمل هذه اللفظة مكررة بهذا المعنى.

قال في «الأساس»: وقيل للمخبّل: قاوم الزبرقان، فقال: إنه أندى مني صوتاً، وأكثر مني ريقاً، وإني لا أقوم له في المواجهة، ولكن دعوني أهاديه الشعر من وراء وراء؛ أي: في غيبته، ومن بُعد.

والغرض: بيان أن كمال الخُلَّة إنما يصح لمن يصح له في ذلك اليوم المقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون، وذلك لم يصلح ولا يصلح إلا لمحمد ﷺ.

ويحتمل أن يكون إيماء إلى أنه إنما صار خليله بالصبر والحلم في الأمور، لا بالجسارة والإقدام على الأمور بغير إذن، ويكون تلميحاً إلى قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾، وإلى قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[هود: ٧١ ـ ٧٥] على ما يحكى: أنه إنما اتخذه الله خليلاً في ذلك الوقت لسبب تلك القضية.

والثالث: في قوله: (قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِـي أَنْتَ وَأُمِّي) القائلُ أبو هريرة؛ بدليل قوله في آخر الحديث: (وَالَّذِي نَفْسُ أَبِـي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ!).

* وقوله: (قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا) هو النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، والظاهر أن من قوله: (قَالَ: قُلْتُ) إلى آخر الحديث رواية أبي هريرة معنى قول النبي ـ عليه السلام ـ؛ لأن قوله: (وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ)، وقوله: (وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ!) ظاهر إلى أنه نقل بالمعنى، فيكون اتفاق رواية حذيفة مع أبي هريرة إلى قوله: (قَالَ: قُلْتُ)، والباقي لأبي هريرة، وإنما أورد مسلم ـ رحمه الله ـ كذلك؛ محافظة على السماع.

وأما إرسال الأمانة والرحم، وقيامهما على جنبي الصراط، فللإيماء إلى عِظَم حقهما، وأن من أدى الأمانة، ووصل الرحم في الدنيا، يكون من أهل السلامة في العبور على الصراط، ومن أخلَّ بهما، أو بواحد منهما، فإنه يسقط عن جانبٍ من جانبي الصراط إلى النار.

ثم قيل: ذلك تمثيل، وقيل: يصوران بصورة يريدها الله تعالى، على ما قيل: من [أن] المعاني تصور صوراً في الآخرة.

* وقوله: (وَشَدِّ الرِّجَالِ) الرواية المشهورة بالجيم؛ جمع رَجُل، ووقع في رواية ابن ماهان بالحاء المهملة؛ كأنه سُميت الراحلة بالرحل، ثم جمع، يريد: كجري الرواحل، وفيه بُعد.

الرابع: في قوله: (تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ) يعني: سرعةُ مرورهم على الصراط بقدر أعمالهم، ألا تراه كيف قال: (حَتَّى تَعْجزَ أَعْمَالُ العِبَادِ)، وهذا كله من فضل الله تعالى، وإظهاره ذلك لعباده، فالكلُّ

برحمته، لا إله غيرُه.

وروي: (تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ) ـ بزيادة الباء ـ. قال القاضي عياض: لا معنى لدخول الباء فيها.

وأقول: يحتمل أن يكون بمعنى (مع)، وفيه إيماءٌ إلى أن الجري ليس بسبب الأعمال، بل بقدرة الله تعالى.

والرواية المشهورة في قوله: (وَمَكْدُوسٌ) ـ بالدال ـ على ما مَرَّ، وفي بعض الأصول في هذا الموضع: (مُكَرْدَسٌ) ـ بالراء ثم الدال ـ، وهو قريب إلى معنى الأول، يقال كَرْدَسَ الرجل خيله: إذا جمعها كراديس؛ أي: قطعاً كباراً، ويحتمل أن يكون من الكردسة، وهو الوثاق، يقال: كُردس الرجل: جمعت يداه ورجلاه.

الخامس في قوله: (إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفاً) هكذا الرواية في معظم الأصول: (سَبْعِينَ) ـ بالياء ـ، واختلف في توجيهه، فقيل: على لغة من يحذف المضاف، ويُبقي المضافَ إليه على إعرابه الأول، كما قيل في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾[الأنفال: ٦٧]، والتقدير: لمدة سبعين خريفاً، كما أن التقدير في الآية: والله يريد عَرَض الآخرة.

وقيل: (قَعْرَ) مصدر، و(سَبْعِينَ) ظرف زمان، و(في) مقدَّرَة، والتقدير: إن بلوغ قعر جهنم لكائن في سبعين خريفاً.

والصحيحُ الرفعُ كما جاء في بعض الروايات، وتفسيره ما جاء في حديث آخر: «إِنَّ الصَّخْرَةَ العَظِيمَةَ لَتُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَتَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَاماً»، ثم المراد بالسبعين؛ إما التحديد؛ كما هو الظاهر

من التقييد بالعام والخريف، وإما التكثير، إذ كثيراً ما يستعمل، ويراد التكثير لا التحديد؛ كما قيل في قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[التوبة: ٨٠] الآية، وفي قول علي رضي الله عنه:

لأُصْبِحَنَّ العَاص وَابْنَ العَاصِ سَبْعِينَ أَلْفاً عَاقِدِي النَّوَاصِي

والمرادُ من الخريف: السنة، وإنما عبَّر عنها به؛ لأن الخريف من بين الفصول أشبهُ بالموت من غيره؛ فإنه زمان ذُبول النبات، وسقوط الأوراق، وانتهاء أجلِ كل نبات وفاكهة، والواقعُ في قعر النار هالكٌ لا خلاصَ له، كما أن الورق الساقط في الخريف كذلك، فناسبَ في ذكر ذلك التعبير عنها.

* * *

[٨٧ ـ باب
فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
«أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً»]

٥٠٤ ـ (١٩٦/ ٣٣٠) ـ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: قَالَ قُتَيْبَةُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ المُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً».

٥٠٥ ـ (١٩٦/ ٣٣١) ـ وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ العَلاَءِ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسٍ

ابْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ».

٥٠٦ ـ (١٩٦/ ٣٣٢) ـ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنِ المُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، قَالَ: قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيّاً مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ».

٥٠٧ ـ (١٩٧/ ٣٣٣) ـ وَحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالاَ: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ القَاسِمِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ المُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ».

الحديث العاشر: حديثُ أنسٍ: «أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ».

وفي رواية: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً».

وفي رواية: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيّاً مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ».

وفي رواية: «آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ». وهذا الحديث من أفراد مسلم.

وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ».

وفي رواية: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَأُكْسَى الحُلَّةَ مِنْ حُلَلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الخَلاَئِقِ يَقُومُ ذَلِكَ المَقَامَ غَيْرِي» أخرجه أبو داود، والترمذي.

وعن أُبيٍّ بن كعب، عن النبيِّ ـ عليه السلام ـ، قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ، وَخَطِيبَهُمْ، وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ».

وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلاَ فَخْرَ».

وعن أنسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، وَلِوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي، وَلاَ فَخْرَ».

وعن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «أَنَا حَبِيبُ اللهِ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الحَمْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ

وَالآخِرِينَ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حلَقَ الجَنَّةِ [وَلاَ فَخْرَ]، فَيَفْتَحُ اللهُ لي، فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ المُؤْمِنِينَ، وَلاَ فَخْرَ».

أخرج الكلَّ الترمذي.

والمعنى ظاهر، وهو بيان فضله ﷺ على الخلق، وبيان ما خصه الله تعالى من هذه الأنواع من الفضائل، وقد مَرَّ ذكر بعضها، وسيجيء بعضها في (كتاب الفضائل) ـ إن شاء الله تعالى ـ.

* وقوله: **(أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ)** يعني: في دخول الجنة قبل الناس، ويدل عليه قوله: «وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ»، وقول الخازن: «بِكَ أُمِرْتُ، لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»، وهذه إحدى شفاعاته.

* وقوله: **(أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ)** يمكن حملُه على هذا ـ أيضاً ـ، وعلى الشفاعة في رفع الدرجات، وهو أوجه.

وقد سلف التعريفُ **برواته** سوى **(معاوية)**، وهو أبو الحسن معاويةُ ابنُ هشامٍ القَصَّارُ، الكوفيُّ.

عن حمزة الزيات، وعلي بن صالح، وهشام بن سعد، وجماعة.

وعنه أحمد، وإسحاق، ومحمود بن غيلان، وخلق.

وَثَّقَهُ أبو داود، وأخرج له الستة إلا البخاري.

وقال ابن معين: صالح، وليس بذاك.

وقال يعقوب بن شيبة: كان من أعلمهم بحديث شريك هو وإسحاق الأزرق.

وقال ابن حبان: مات سنة أربع وخمسين ومئتين.

* * *

٥٠٨ ـ (١٩٨/ ٣٣٤) ـ حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا، فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ».

٥٠٩ ـ (١٩٨/ ٣٣٥) ـ وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، وَأَرَدْتُ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ».

٥١٠ ـ (١٩٨/ ٣٣٦) ـ حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيُّ مِثْلَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

٥١١ ـ (١٩٨/ ٣٣٧) ـ وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ: أَنَّ عَمْرَو بْنَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ

أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيِّ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لِكَعْبِ الأَحْبَارِ: إِنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا، فَأَنَا أُرِيدُ - إِنْ شَاءَ اللهُ - أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»، فَقَالَ كَعْبٌ لأَبِي هُرَيْرَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: نَعَمْ.

٥١٢ - (١٩٩/ ٣٣٨) - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ - وَاللَّفْظُ لأَبِي كُرَيْبٍ -، قَالاَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللهُ - مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً».

٥١٣ - (١٩٩/ ٣٣٩) - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ - وَهُوَ ابْنُ القَعْقَاعِ -، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، فَيُسْتَجَابُ لَهُ، فَيُؤْتَاهَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ».

٥١٤ - (١٩٩/ ٣٤٠) - حَدَّثَنَا عُبَيْدُاللهِ بْنُ مُعَاذٍ العَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدٍ - وَهُوَ ابْنُ زِيَادٍ -، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ،

فَاسْتُجِيبَ لَهُ، وَإِنِّي أُرِيدُ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ أَنْ أُؤَخِّرَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ».

الحديث الحادي عشر: حديثُ أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا، فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ».

وفي رواية: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً».

وفي رواية: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، فَيُسْتَجَابُ لَهُ، فَيُؤْتَاهَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»

وفي رواية: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ، وَإِنِّي أُرِيدُ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ أَنْ أُؤَخِّرَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»، أخرجه البخاري، والترمذي، وابن ماجه.

إذا عرفت هذا، فالكلام عليه في مواضع:

الأول: في التعريف برواته سوى ما سلف.

(عَمْرٌو)، وهو ابنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيُّ، المدنيُّ، حليفُ بني زهرةَ.

عن عمرو بن عمرو، وأبي موسى، وجماعة.

وعنه ابن أخيه عبد الملك بن عبدالله بن أبي سفيان، وعبدالله بن عبد الرحمن، وخلق.

ذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج له الشيخان، والنسائي.

(مُحَمَّدٌ) في الإسناد الآخر، فهو أبو الحارث مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ القرشيُّ، الجمحيُّ، مولى عثمان بن مظعون.

عن عائشة، وابن عمر، وابن الزبير، وغيرهم.

وعنه إبراهيم بن طهمان، والحمادان، وخلائق.

وَثَّقَهُ أحمد، وابن معين، والنسائي، وأخرج له الستة.

وفي الكتب الخمسة محمدُ بن زياد، ثلاثة، وليس في مسلم سواه.

والثاني: فيما يتعلق بالمعنى:

ثم المفهوم من الروايات: أن الله تعالى عيَّن لكل نبي دعوة واحدة، يدعو لأجل أمته، وتستجاب تلك الدعوة بالجزم، وأما باقي الدعوات، فالإجابةُ على الطمع والرجاء، لا بالجزم واليقين، وأن جميع الأنبياء قد تعجَّلوا في تلك الدعوة، ودعوها في الدنيا، وأن نبينا ﷺ أخبأ دعوته لأجل شفاعة أمته يوم القيامة، وهذا منه غايةُ رحمته على أمته، ونهاية شفقته عليهم.

وفيه: دقة علمه ـ عليه السلام ـ بغوامض الأمور؛ حيث لم يعجل بدعوته كما فعل غيره، بل أَخَّرَهَا إلى يوم القيامة؛ [حيث] يحتاج إليه الخلق أجمعون.

وقيل: المراد: أن لكل نبي دعوةً لنفسه يدعوها، وقد دعا سائر الأنبياء في الدنيا، وأنه أخبأ [دعوته] لشفاعة أمته يوم القيامة، إلا أن الروايات المشتملة على ذكر الأمة؛ مثل قوله: «دَعَا بِهَا في أُمَّتِهِ»، و«دَعَاهَا لِأُمَّتِهِ» تأبى هذا المعنى.

ويحتمل أن يراد: أن لكل نبي[1] دعوة وشفاعة لأمته يوم القيامة، وأن جميعهم لمَّا رأوا هولَ الموقف، قد تعجَّلوا في طلب الخلاص لأنفسهم، وقال كل واحد منهم: «نَفْسِي نَفْسِي»، «وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي[2] شَفَاعَةً لأُمَّتِي»، وقلت: «أُمَّتِي أُمَّتِي»، فيكون المعنى: أن لكل واحد منهم أن يطلب أمته، ويخلِّصهم من العذاب، وقد أعطى الله ذلك لجميعهم، ولكن ما طلبوا ذلك، وطلبوا أنفسهم، وأنا طلبت أمتي، ففيه زيادة قوة نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ على كل الأنبياء؛ حيث طلب كلٌّ منهم خلاصَ نفسه في ذلك اليوم، وهو ما التفتَ إلى ذلك، بل طلب خلاصَ أمته، وعلى هذا قوله: «دَعَا بِهَا فِي أُمَّته، فَاسْتُجِيبَ لَهُ» على ما في رواية محمد بن زياد عن أبي هريرة، يحتاج إلى تأويل؛ لأن ظاهره: أن كل نبي قد دعا بتلك الدعوة المستجابة، وحصل له الإجابة، وهو ينافي أن يكون كل نبي ترك ذلك، واختار نفسه، فقيل: هو ماضٍ بمعنى المستقبل؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾[الأعراف: ٤٤] الآية، ويدل عليه: رواية أبي زرعة، عن أبي هريرة: «يَدْعُو بِهَا،

---

(١) في الأصل: «أمة».

(٢) في الأصل زيادة: «وأخرتها».

فَيُسْتَجَابُ لَهُ»، وقيل: (إن) مقدَّرة، والتقدير: إن دعاها، وهو بعيد.

والثالث: في ذكر المشيئة:

ولما كان طلب الشفاعة لأمته في الآخرة، وهو أمر مُغَيَّب في زمان الإخبار، وإن كان قد علم النبي ـ عليه السلام ـ ذلك على سبيل الجزم واليقين، ذكر المشيئة تبركاً وامتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤] الآية، وتعليماً لأمته بأنه ـ مع جلالة قدره، وإحاطة علمه بوقوع ذلك ـ لا يخبر عنه إلا بهذا الطريق، فالواجب عليهم أن يقولوا في الأمور المستقبلية ـ أيضاً ـ كذلك، بل آكد؛ لأن المستقبل بالنسبة إليهم مظنون.

* * *

٥١٥ ـ (٢٠٠/ ٣٤١) ـ حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ ابْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَانَا ـ وَاللَّفْظُ لأَبِـي غَسَّانَ ـ، قَالُوا: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ ـ يَعْنُونَ: ابْنَ هِشَامٍ ـ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِـي، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ نَبِـيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِـيٍّ دَعْوَةٌ دَعَاهَا لأُمَّتِهِ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٥١٦ ـ (٢٠٠/ ٣٤٢) ـ وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَابْنُ أَبِـي خَلَفٍ، قَالاَ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ بِهَذَا الإِسْنَادِ ح.

٥١٧ ـ (٢٠٠/ ٣٤٣) ـ وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ح،

وَحَدَّثَنِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الجَوْهَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ جَمِيعاً، عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ بِهَذَا الإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ وَكِيعٍ قَالَ: قَالَ: «أُعْطِيَ». وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٥١٨ ـ (٢٠١/ ٣٤٤) ـ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى، حَدَّثَنَا المُعْتَمِرُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ.

الحديث الثاني عشر: حديثُ أنس: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَاهَا لأُمَّتِهِ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»، أخرجه البخاري، وأبو داود.

والكلام عليه في مواضع:

الأول: في التعريف برواته سوى ما سلف.

(مُحَمَّدٌ)، وهو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي خلف محمد السلميُّ، مولاهم، البغداديُّ.

عن ابن عيينة، وأبي خالد الأحمر، وإسحاق الأزرق، وجماعة.

وعنه مسلم، وأبو داود، وأخرجا له، والدارمي، وطائفة.

قال أبو حاتم: صدوق ثقة.

قيل: توفي سنة ست وثلاثين ومئتين.

و**(مُحَمَّدٌ)**، وهو أبو عبدالله محمد بن عبد الأعلى الصنعانيُّ، القيسيُّ، البصريُّ.

عن ابن زريع، وابن عُيينة، وعبد الرزاق، وجماعة.

وعنه مسلم، والأربعة سوى أبي داود، وقد أخرجوا له، وطائفة غيرهم.

وَثَّقَهُ أبو حاتم، وأبو زرعة.

توفي بالبصرة سنة خمس وأربعين ومئتين.

الثاني: في الإسناد:

* **قوله: (حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ المِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَانَا)** ربما اعترض بأن قوله: (حَدَّثَانَا) زائد؛ لأن بدونه يستقيم، وأجيب بأن في ذكره نكتة، وهي أن المقرر في القاعدة: أن من سمع وحده، يستحب أن يقول: حدثني، ومع غيره: حدثنا، ومسلم لما سمع من ابن غسان وحده، قال: (حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ)، ولما سمع من ابن المثنى، وابن بشار مع جماعة، قال: (حَدَّثَانَا)، وهذا من غاية احتياطه، ونهاية إتقانه، وإنما يغلط فيه من لا معرفة له بدقائق الإسناد.

وكذا قوله: (غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ وَكِيعٍ قَالَ: قَالَ: أُعْطِيَ، وفي حديثِ أبي أُسامةَ عنِ النَّبيِّ عليه السلام) معناه: أن في إسناده عن قتادة: أنه قال أنس: قال رسول الله ﷺ: (أعطي لكل نبي دعوة)، وأن أبا أسامة قال: (إنَّ أنساً قال: عنِ النَّبيِّ عليه السلام لِكُلِّ نَبِـيٍّ دَعْوَةٌ)، فيكون التفاوت بين رواية وكيع، ورواية هشام زيادة لفظة: (أُعْطِيَ)، وبين روايته ورواية أبي أسامة قوله: (عَنِ النَّبِـيِّ ـ عليه السلام ـ) بدل

قوله: (أَنَّ نَبِـيَّ اللهِ[1] ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال)، فتدبر.

* وقوله: قال: (حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى) هذه مبالغة أخرى، والفرق بينها وبين التي قبلها: أن الروايات فيها: (عن قتادة، عن أنس)، وفي هذه: (عن المعتمر، عن أبيه، عن أنس).

والثالث: في معناه: وهو ظاهر فيما مرَّ.

* * *

٥١٩ ـ (٢٠١/ ٣٤٥) ـ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِـي خَلَفٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ سَمِعَ جَابِـرَ بْنَ عَبْدِاللهِ يَقُولُ: عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ «لِكُلِّ نَبِـيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، وَخَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ».

* * *

الحديث الثالث عشر: حديثُ جابرِ بن عبدالله: عن النبي ـ عليه السلام ـ: «لِكُلِّ نَبِـيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، وَخَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ». وهذا الحديث من أفراد مسلم، وقد مرَّ معناه.

* * *

---

(١) في الأصل: «أن النبي».

[٨٩ ـ باب
دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لأُمَّتِهِ، وَبُكَائِهِ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ]

٥٢٠ ـ (٢٠٢/ ٣٤٦) ـ حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى الصَّدَفِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الحَارِثِ: أَنَّ بَكْرَ بْنَ سَوَادَةَ حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تلاَ قَوْلَ اللهِ ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾[إبراهيم: ٣٦] الآيَةَ. وَقَالَ عِيسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوءُكَ.

الحديث الرابع عشر: حـديثُ عبدِالله بنِ عمرِو بنِ العـاص: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تلاَ قَوْلَ اللهِ ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾[إبراهيم: ٣٦] الآيَةَ. وَقَالَ عِيسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ

وَالسَّلَامُ ـ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ». وهذا من أفراد مسلم.

وعن ابن عباس: عُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا هُوَ مَفْتُوحٌ عَلَى أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَفْراً كَفْراً، فَسُرَّ بِذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[الضحى: ٥]، فَأَعْطَاهُ اللهُ فِي الجَنَّةِ أَلْفَ قَصْرٍ، فِي كُلِّ قَصْرٍ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الوِلْدَانِ وَالخَدَمِ».

رواه الطبراني.

إذا عرفت هذا، فالكلام ـ هاهنا ـ في مواضع:

الأول: في التعريف برواته سوى ما سلف: بَكْرٌ، وشيخه.

أمّا (بكر)، فهو أبو يمامة بَكْرُ بْنُ سَوَادَةَ بنِ ثمامةَ المصريُّ، أحدُ الأئمة.

عن عبدالله بن عمرو، وأبي ثور الفهمي، وجماعة.

وعنه جعفر بن ربيعة، والإفريقيُّ، والليث، وخلائق.

وَثَّقَهُ ابن معين وغيرُه، وأخرج له الخمسة، والبخاري تعليقاً.

وأما (شيخه)، وهو عبد الرحمن [بن] جبير المصريُّ المؤذنُ.

عن عقبة بن عامر، وجمع، وعن أبي ذر، وأبي الدرداء، وعمرو ابن العاص مرسلاً.

وعنه كعب بن علقمة، وعمران بن أبي أنس، وجماعة.

وَثَّقَهُ النسائي، واحتج له مسلم والأربعة سوى النسائي، له عند الجماعة أربعة أحاديث.

والثاني: قوله: (وَقَالَ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -) هكذا في الأصول: (وَقَالَ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -) معطوفاً على قوله: (تَلاَ قَوْلَ اللهِ ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ)، ووجهُه: أن (قال) - هاهنا - مصدرٌ، لا فعلٌ، يقال: قال قَوْلاً وقالاً وقِيلاً.

وقيل: معطوف على (تلاَ)، والتقدير: تلا رسول الله ﷺ قولَ الله، وقال: قال عيسى - عليه السلام - كذا، فحذف (قال) الثاني؛ للعِلْمِ به.

* **وقوله: (فِي إِبْرَاهِيمَ)** معناه: تلا رسولُ الله ﷺ قولَ الله تعالى في شأن إبراهيم - عليه السلام - حكايةً عنه.

والثالث: فيما يتعلق بمعناه:

قال القرطبي: لما كان كل واحد من إبراهيم وعيسى لم يجزما في الدعاء لعصاة أمته، ولم يجهدا أنفسهما في ذلك، ولم يكن عندهما من فرط الشفقة ما كان ينبغي لهما، ألا ترى أنهما في الاثنين كأنهما تبرأا من عُصاة أمتهما، ولما فهم النبي - عليه السلام - ذلك انبعث بحكم ما وجده من شفقته ورأفته، وكثرة حرصه على نجاة أمته، وبحكم ما وهبه الله تعالى من رفعة مقامه على غيره، جازماً في الدعاء، مجتهداً فيه، متضرعاً باكياً. هذا كلامه بعبارته.

والغرض: أن النبي ـ عليه السلام ـ لما فهم عدمَ الجزم في الدعاء من إبراهيم وعيسى ـ عليهما السلام ـ في شأن عصاة قومهما، ورأى منهما[1] التبرؤ منهم، جزمَ في الدعاء.

وفَهْمُ هذا المعنى من الاثنين يحتاج إلى ضرب من التأويل؛ فإن إبراهيم وعيسى ـ عليهما السلام ـ جزما بطلب المغفرة في شأن عصاة قومهما، قال إبراهيم: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨]، وهذا هو طريقة الدعاء في هذا المقام؛ فإن فيه الدعاء مع ذكر السبب، والأظهر أن يقال: لما كان المفهوم من دعاء إبراهيم، وقول عيسى ـ عليهما السلام ـ الميل إلى قومهما؛ حيث ذكر إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[إبراهيم: ٣٦]، وفيه طلب المغفرة للعاصي، وذكر عيسى ـ عليه السلام ـ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، فإن في جعلهم عباده استجلابَ المغفرة منه لهم، ثم صرح بقوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨] القويُّ القادرُ على كل شيء، الحكيمُ الذي يفعل الحسن والجميل في كل ما يفعله، رفعَ النبي ـ عليه السلام ـ يديه للدعاء، ودعا لأمته مع البكاء، فَقَبِل الله تعالى دعاءه، ووعده المغفرة لأمته؛ بحيث يصير راضياً، ولا يحصل له سوء وحزن قَطُّ في شأن أمته، فيكون طلبُ إبراهيمَ وعيسى ـ عليهما

---

(١) في الأصل: «منهم».

السلام ـ المغفرة لعصاة أمتهما، وهو الداعي لطلب النبي ـ عليه السلام ـ ذلك، ومبالغته فيه، قرأ الآيتين أولاً، ثم دعا، وبالغ، فأجيب بما فيه الوعد العظيم، والرجاء الجسيم لهذه الأمة، وهو أرجى الأحاديث.

وفيه: بيان عظم مرتبة النبي ـ عليه السلام ـ عند ربه؛ حيث قَبِل دعاءه، ووعده الإرضاء، وأن لا يلحقه سوء وحزن قَطّ، وبشارة عظيمة لهذه الأمة، بل منقبة جليلة لها، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[الضحى: ٥]، والتأكيد بقوله: «وَلاَ نَسُوءُكَ»، فإن هذا إرضاء تام، وهي مغفرة جميع ما سأله ـ عليه السلام ـ؛ بحيث لا يبقى منهم أحد يحصل له بسببه حزن ما.

وقد قال بعض العلماء: والله! ما يرضى محمدٌ وواحدٌ من أمته في النار، وهذا كله يدل على أن الله تعالى خصَّ نبينا ـ عليه السلام ـ بأكرم الخُلق، وبطيب النفس، ومقام الفتوة، ما لم يخص به أحداً غيره، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]، وبقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[التوبة: ١٢٨] الآية، فصلَّى الله عليه أفضلَ ما صلَّى على أحد من خليقته، وجازاه عنا أفضلَ ما جازى نبياً عن أمته.

الرابع: في أول من يشفع له:

عن ابن عمر، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ أَشْفَعُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَهْلُ بَيْتِي، ثُمَّ الأَقْرَبُ فَالأَقْرَبُ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ الأَنْصَارُ، ثُمَّ مَنْ آمَنَ بِي وَاتَّبَعَنِي مِنَ اليَمَنِ، ثُمَّ مِنْ سَائِرِ العَرَبِ، ثُمَّ الأَعَاجِمِ، وَأَوَّلُ

مَنْ أَشْفَعُ لَهُ أُولُو الفَضْلِ».

وعن عبد الملك بن عبَّاد بن جعفر: أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «أَوَّلُ مَنْ أَشْفَعُ لَهُ مِنْ أُمَّتِي أَهْلُ المَدِينَةِ، وَأَهْلُ مَكَّةَ، وَأَهْلُ الطَّائِفِ» رواه الطبراني.

الخامس: في كعب الأحبار:

ولما جرى ـ هاهنا ـ ذكره، نريد أن نذكر نبذاً من حاله، فهو أبو إسحاق كعبُ بنُ مَاتِعٍ ـ بكسر التاء المثناة الفوقانية ـ بنِ هَيْتُوْع ـ بفتح الهاء وسكون الياء التحتانية وضم التاء المثناة الفوقانية وسكون الواو وآخرهما عين مهملة ـ، ويقال: هيشوع ـ بالشين المعجمة بدل التاء ـ، ويقال: عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حمير بن قطن بن عوف بن زهير بن أيمن بن سبأ الحميري.

أدرك زمن النبي ـ عليه السلام ـ، ولم يره، وأسلم في خلافة أبي بكر.

وقيل: في خلافة عمر، وأكثر الروايةَ عنه.

وروى ـ أيضاً ـ عن صهيب، وعائشة، وبثَّ كثيراً من الإسرائيليات.

روى عنه جماعة من الصحابة، منهم: ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبو هريرة، وخلائق من التابعين، منهم: ابن المسيب، وغيره.

قدم من اليمن فأسلم، ثم خرج إلى الشام، فسكن حمص.

قال أبو الدرداء: إن عنده علماً كثيراً.

واتفقوا على توثيقه، وجلالة قدره، أخرج له البخاري، والأربعة سوى ابن ماجه، وليس له في هذا الكتاب رواية.

توفي في خلافة عثمان سنة ثنتين وثلاثين متوجهاً إلى الغزو، ودفن بحمص، يقال له: كعب الأحبار، وكعب الحبر ـ بكسر الحاء وفتحها ـ؛ لكثرة علمه ومناقبه، وأحواله كثيرة مشهورة رضي الله عنه.

* * *



فهرس الأبواب

الباب	الصفحة

تابع

(٢)

كتاب الإيمان

❑❑❑